آيات الرشد والغي في القرآن الكريم

دراسة تحليلية موضوعية

تأليف

خميس سبع حميد القرغولي

DKI

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: ĀYĀT AL-RUŠD WAL-ĞAYY FĪ AL-QUR'ĀN AL-KARĪM
(Verses of "Right" and "Error" in the Holy Qur'an)

Author: Ḥamīs Sab' Ḥamīd al-Qarğūli

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 232

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: آيات الرشد والغيّ
في القرآن الكريم

المؤلف: خميس سبع حميد القرغولي

الناشر: دار الكتب العلميـــة ــ بيروت

عدد الصفحات: 232

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5352-8 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5352-4 (13 dig)
9 782745 153524 90000

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢ / ١١ / ٥٨٠٤٨١٠ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٥٨٠٤٨١٣ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

سُورَةُ البقرة: الآية ٢٥٦

الإهداء

إلى : الذين يطلبون الحقيقة ولا يخشون المجابهة
ويرفضون التجاهل و الاستجداء
والذين يؤمنون أن الإسلام رسالة لإخراج
الناس من الظلمات إلى النور
وجعل الإنسان خليفة في الأرض
والذين يسعون إلى معرفة
حقيقة الإسلام الخالدة
أهدي هذا الجهد

الباحث

شكر وعرفان

بعد شكر الله تعالى

أتقدم بشكر من أمرنا الله تعالى بشكرهما والديّ الكريمين

وأتقدم بشكري وتقديري إلى أستاذي الدكتور رافع أسعد عبد الحليم لما قدمه لي من وقت وجهد، فأعانني على تخطي المصاعب، وعزز في نفسي روح الجد والمثابرة مما أظهر البحث بالشكل الذي هو عليه الآن .

كما أتقدم بالشكر الجزيل، لكل الجهود المخلصة التي أسهمت في تقديم نصيحة أو عون.

فجزى الله الجميع عني خير الجزاء .

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد للّه الذي تواترت ألسنة الذاكرين بذكره وتمجيده، وتواطأت قلوب المحبين على حبه وتعظيمه وتوحيده.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على إنسان عين الوجود الباهر المخصوصة أمته السعيدة بالقرآن المحكم المتواتر، وعلى آله السادة، وصحابته النجوم البررة القادة، وسلم اللهّم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن اللغة العربية تعدّ من أعرق اللغات وأبدعها، لما تحتويه من كثرة في المفردات، وغزارة في المادة وقد شرفها الله سبحانه وتعالى من بين سائر اللغات الأخرى بنزول قرآنه الكريم بلغة العرب، وقد وسعت سنة نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآثار العرب العلمية والأدبية منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا .

إن القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الخالد والمنهاج الذي ارتضاه الخالق لإصلاح الخلق، وهو حجة الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآيته الكبرى وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها وتستمد علومها المختلفة منه .

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته والمسلمين جميعاً.

وقد انفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية الأخرى بعناية العلماء والفقهاء واهتمامهم، وأخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، فتارة ترجع إلى أسلوبه وإعجازه، وأخرى إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى كتابته ورسمه، وتارة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك من علومه العديدة، فكان أن خص العلماء كل جانب من هذه الجوانب بالبحث والدراسة والتأليف.

وموضوع هذه الرسالة (**آيات الرشد والغي ـ دراسة تحليلية وموضوعية**) هي دراسة لآيات قرآنية جمعها موضوع الرشد والغي في الْقُرْآن الْكَرِيم .

وقد اقتضت طبيعة البحث ومنهجيته أن أقسم الرسالة على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتنهيها خاتمة.

تضمن الفصل الأول مبحثين :

المَبْحَث الأَوْل: تعريف الرشد

المَبْحَث الثَّانِي: تعريف الغي

وتضمن الْفَصْل الثاني: دراسة آيات الرشد، وفيه أربعة مباحث هي:

المَبْحَث الأَوْل: الهداية إلى الرشد

المَطْلَب الأَوْل: الدعوة إلى الرشد

المَطْلَب الثَّانِي: هداية الْقُرْآن الْكَرِيم إلى الرشد

المَطْلَب الثَّالِث: هداية الصالحين إلى الرشد

المَبْحَث الثَّانِي: إيناس الرشد

المَبْحَث الثَّالِث: سمات الراشدين

المَبْحَث الرَّابِع: الرشد الإلهي

المَطْلَب الأَوْل: الدعاء بالرشد

المَطْلَب الثَّانِي: التقرب بالرشد

المَطْلَب الثَّالِث: توقيف الرشد

المَطْلَب الرَّابِع: إقرار الأنبياء بالرشد الإلهي

المَطْلَب الخَامِس: المنّ على الأنبياء بالرشد

المَطْلَب السَّادِس: الرشد والإسلام

وفي الْفَصْل الثالث درست آيات الغي، وتضمن ستة مباحث :

المَبْحَث الأَوْل: علاقة الغواية بالإرادة الإلهية

المَطْلَب الأَوْل: الفصل بين الرشد والغي

المَطْلَب الثَّانِي: النصح والغواية

المَبْحَث الثَّانِي: غواية الأنبياء

المَطْلَب الأَوْل: غواية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ

المَطْلَب الثَّانِي: تبرئة رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ من الغواية
المَبْحَث الثَّالِث: غواية الناس بعضهم بعضا
المَطْلَب الأَوْل: المد في الغي
المَطْلَب الثَّانِي: تبادل الغواية
المَطْلَب الثَّالِث: الاعتراف بالغواية
المَبْحَث الرَّابِع: غواية الشيطان
المَطْلَب الأَوْل: التبرؤ من الغواية
المَطْلَب الثَّانِي: التهديد بالغواية
المَطْلَب الثَّالِث: التزين بالغواية
المَطْلَب الرَّابِع: الحفظ من غواية الشيطان
المَبْحَث الخَامِس: سبيل الغَيّ
المَطْلَب الأَوْل: الانسلاخ من الآيات
المَطْلَب الثَّانِي: اتباع سبيل الغي
المَطْلَب الثَّالِث: مخالفة الهدي
المَطْلَب الرَّابِع: اتباع الشعراء
المَطْلَب الخَامِس: المشاكسة
المَبْحَث السَّادِس: جزاء الغواية
المَطْلَب الأَول: إبراز الجحيم
المَطْلَب الثَّانِي: الكب في النار
المبحث السابع: الفصل بين الرشد والغي
المَطْلَب الأَوْل: المقابلة بين الرشد والغي
المَطْلَب الثَّانِي: اختلاط الرشد والغي

وقد اعتمدتُ في تقصي القراءات على مصادر كثيرة منها كتب

تفسير القرآن الكريم ولا سيما التفاسير التي تعج بالقراءات وتعرض لتوجيهها اللغوي والنحوي، كتفسير الطبري والكشاف للزمخشري، وتفسير القرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، ومنها أيضاً كتب القراءات وتوجيهها، لا سيما كتب القراءات السبع، ومنها كتاب السبعة لابن مجاهد، والحجة لابن خالويه والحجة لأبي علي الفارسي، وحجة القراءات لأبي زرعة، والكشف في علل القراءات لمكي، والتيسير للداني، والعبر لابن الجزري، والاتحاف للدمياطي وغيرها، ومنها معاني النحو واللغة، وفي مقدمتها معاني القرآن للأخفش والأوسط، ومعاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج وإعراب القرآن لابن النحاس والتبيان في إعراب القرآن للكعبري .

أما منهجي في كتابة البحث فألخصهُ بما يأتي :

١ ـ أن أذكر في البدء النص القرآني، ثم أذكر وجه المناسبة وسبب نزول الآية إن وجد .

٢ ـ أحلل الألفاظ الغريبة الواردة في الآية .

٣ ـ أذكر القراءات الواردة في الآية، وركزت على القراءات الصحيحة، أو القراءات الشاذة التي لها ارتباط بموضوع البحث. وخرجتها من كتب القراءات إلا ما لم اقف عليه فخرجته من كتب التفسير .

٤ ـ بينت بعض الوجوه الإعرابية المختلف فيها، أو ذات العلاقة بمضمون الآية .

٥ ـ بينت القضايا البلاغية في الآيات موضوعة البحث .

٦ ـ أوجزت المعنى العام للآيات القرآنية .

٧ ـ ثم بينت ما يستفاد من النص .

لقد واجهتني صعوبات جمة في إعداد هذه الرسالة، لعل أهمها وأصعبها تعقيدات الظرف الأمني، والتهديدات المحتملة التي لا يكن توقعها ولا توقع أسبابها، ومعرفة الجميع بها يغني عن التوسع فيها .

وبعد :

وختاماً، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد وأخلصت له النية وعشت في أرجائه أسعد الأوقات؛ لأنه دراسة في رحاب القرآن الكريم لمعرفة خفاياه، فإن جاء هذا العمل وافياً بالغرض محققاً للقصد فبتوفيق الله سبحانه وتعالى وعنايته، وإن جاء غير ذلك فقد اجتهدت وبذلت ما في وسعي، وللمجتهد إن أصاب أجران وإن أخطأ فله أجر .

الفصل الأول

تعريف الرشد والغي

ويتضمن مبحثين :

المَبْحَث الأَوْل: تعريف الرشد

المَبْحَث الثَّانِي: تعريف الغي

المبحث الأول
تعريف الرشد

أولاً ـ الرُّشْدُ فِي اللُّغَةِ :

الرُّشْدُ فِي اللُّغَةِ: الصَّلاحُ، وَإِصَابَةُ الصَّوَابِ، وَالاسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ مَعَ تَصَلُّبٍ فِيهِ. وَهُوَ خِلافُ الْغَيِّ وَالضَّلال[1] .

قَالَ فِي الْمِصْبَاحِ: رَشِدَ رُشْدًا مِنْ بَابِ تَعِبَ، وَرَشَدَ يَرْشُدُ مِنْ بَابِ قَتَلَ، فَهُوَ رَاشِدٌ. وَالاسْمُ الرَّشَادُ. وَالرَّشِيدُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، وَالَّذِي حَسُنَ تَقْدِيرُهُ[2] .

وقال ذو الرمة[3] :

وكائنْ تَرَى من رَشْدة في كريهة ... ومن غَيَّةٍ يُلْقَى عليه الشراشرُ

قَالَ فِي اللِّسَانِ: وَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الرَّشِيدُ: هُوَ الَّذِي أَرْشَدَ الْخَلْقَ إِلَى مَصَالِحِهِمْ، أَيْ: هَدَاهُمْ، وَدَلَّهُمْ عَلَيْهَا، فَهُوَ رَشِيدٌ بِمَعْنَى مُرْشِدٍ، أي: فَعِيل بمعنى مُفْعِل[4].

وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي تَنْسَاقُ تَدْبِيرَاتُهُ إِلَى غَايَاتِهَا عَلَى سَبِيلِ السَّدَادِ مِنْ

---

(١) ينظر إصلاح المنطق لابن السكيت. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. (ت ٢٤٤ هـ). تحقيق: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام محمّد هارون. الطبعة الرابعة. دار المعارف. القاهرة. ١٩٤٩م: ١٧٣؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري. (ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا. الطبعة الثانية. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م مادة (رشد) ٢/ ٤٧٤ .

(٢) ينظر العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. (ت ١٧٥هـ). تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي. بغداد. الطبعة الأولى. طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥م: مادة (رشد) ٦/ ٢٤٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد ابن مُحَمَّد بن علي الفيومي المقرئ. (ت ٧٧٠هـ). تصحيح: مصطفى السقا. الطبعة الأولى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ١٣٢٢هـ: ١/ ٢٢٧ .

(٣) ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي. (ت ١١٧هـ). قدم له وعلق على حواشيه: سيف الدين الكاتب، وأحمد عاصم الكاتب. منشورات مكتبة الحياة. بيروت. لبنان (د. ت.): ٢ / ١٠٣٧ .

(٤) ينظر لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ). الطبعة الأولى. دار صادر. بيروت. لبنان. ١٩٦٨م: مادة (رشد) ٣/ ١٧٥ .

غَيْرِ إشَارَةِ مُشِيرٍ وَلا تَسْدِيدِ مُسَدِّدٍ[١] .

والرُّشْد والرَّشَد والرَّشاد: نقيض الغيّ. رَشَد الإنسان ـ بالفتح ـ يَرْشُد رُشْداً ـ بالضم ـ ورَشِد ـ بالكسر ـ يَرْشَد رَشَداً ورَشاداً، فهو راشِد ورَشيد، وهو نقيض الضلال، إذا أصاب وجه الأمر والطريق[٢] .

وفي الحديث الشريف: ((عليكم بسُنَّتي وسنَّة الخُلفاء الراشدين من بعدي))[٣] الراشد اسم فاعل، من رشد يرشُد رُشداً، ورشِد يرْشَد رَشَداً، وأرشَدْته أنا. ويريد بالراشدين أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وإن كان عاماً في كل من سار سيرتهم من الأئمة[٤] .

وأَرشَدَه الله وأَرْشَدَه إلى الأمر ورشَّده: هداه. واستَرْشَده: طلب منه الرشد. ويقال: استَرْشَد فلان لأمره إذا اهتدى له، وأَرشَدْتُه فلم يَسْتَرْشِد، ومنه الحديث الشريف: ((وإرْشاد الضالّ))[٥]، أي:

---

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمّد بن محمّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير. (ت ٦٣٠هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُحَمَّد الطناحي. الطبعة الأولى. المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م: ٢/ ٢٢٥ .

(٢) ينظر مختار الصحاح. مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (ت ٧٢١هـ). تحقيق: محمود خاطر. الطبعة الأولى. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م: مادة (رشد) ١٣٣؛ القاموس المحيط. أبو الطاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). المؤسسة العربية للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. (د. ت) مادة (رشد) ١/ ٢٩٤ .

(٣) سُنَن التِّرْمِذيّ. أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى التِّرْمِذيّ السلمي. (ت ٢٧٩هـ). تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرين. دار إحياء التراث العربي. بيروت. (د. ت): ٥/ ٤٤ رقم (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٢٥.

(٥) سُنَن النَّسَائي الكبرى. أبو عبد الله أحمد بن شُعَيب بن علي بن عبد الرحمن النسائي. (ت ٣٠٣هـ). تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م: ٦/ ٤١٨ رقم (١١٣٦٢) من حديث طلحة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ. والحديث رجاله ثقات. ينظر مَجْمَع الزوائد ومَنْبَع الفوائد. نور الدين علي بن أبي بَكْر الهَيْثَمي. (ت ٨٠٧هـ). الطبعة الأولى. دار الريان للتراث. =

هدايته الطريق وتعريفه[١].

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((من ادعى ولداً لغير رِشْدة فلا يرث ولا يُورَث))[٢]. يقال: هذا ولد رِشْدة إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضده: ولدُ زِنْية، بالكسر فيهما[٣].

وقال الأزهري في فصْل بغى: كلام العرب المعروف: فلان ابن زَنْية وابن رَشْدة، وقد قيل زِنْية ورِشْدة، والفتح أفصح اللُّغتين[٤].

وَالرَّشَدُ أَخَصُّ مِنْ الرُّشْدِ فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، وَالرَّشَدُ مُحَرَّكَةٌ فِي الأُمُورِ الأُخْرَوِيَّةِ لا غَيْرُ[٥].

والرَّشَدى: اسم للرشاد. وإذا أَرشدك إنسان الطريق فقل: لا يَعْمَ عليك الرُّشْد. ومنهم من جعل رَشَدَ يَرْشُدُ و رَشِدَ يَرْشَد بمعنى واحد في الغيّ والضلال. و الإرشاد: الهداية والدلالة. والرَّشَدى: من الرشد، والمَرَاشِدُ: المقاصد[٦].

ثانياً ـ الرُّشْدُ فِي الاصْطِلاَحِ:

لا يَخْرُجُ تَعْرِيفُهُ فِي الاصْطِلاحِ عَنْ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ.

فَقَدْ قَالَ أَصْحَابُ كُتُبِ الاصْطِلاحَاتِ فِي تَعْرِيفِ الرَّشَدِ: الرُّشْدُ

= بيروت، ودار الكتاب العربي. القاهرة. ١٤٠٧هـ: ٨/ ٦٢.

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٢٥.

(٢) سُنَن أبي داود. أبو داود سُليمان بن الأشعث السِّجِسْتَاني الأزدي. (ت ٢٧٥هـ). تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر للطباعة والنشر. (د. ت): ٢/ ٢٧٩ رقم (٢٢٦٤) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. والحديث حسن.

(٣) ينظر النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٢٥.

(٤) ينظر تهذيب اللغة. أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري. (ت ٣٧٠هـ). تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني. مراجعة: علي محمّد البجاوي. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة. مصر. (د. ت.): ١١/ ٣٢١.

(٥) ينظر مجمع البحرين. فخر الدين الطريحي. (ت ١٠٨٥هـ). تحقيق: أحمد الحسيني. الطبعة الثانية. مكتب نشر الثقافة الإسلامية. ١٤٠٨هـ: مادة (رشد) ٢/ ١٧٩.

(٦) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس. محيي الدين أبو الفضل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزَّبِيدِيّ. (ت ١٢٠٥هـ). مكتبة الحياة. بيروت. (د. ت): مادة (رشد) ٢/ ٣٥٢.

والرَّشَدُ والرَّشَادُ نَقِيضُ الغَيِّ. وَقِيل: هُو إِصَابةُ الخَيْر. وَقَالَ الهَرَوِي: هُوَ الهُدى وَالاسْتِقَامَة، يُقَالُ: رَشَدَ - بفتح الشين - يَرشُد بضمها رُشْداً - بضم الراء - ورَشِدَ - بكسر الشين - يَرشَدُ - بفتحها - رَشَداً - بفتح الراء والشين - ورَشَاداً فَهُو رَاشِدٌ ورَشِيدٌ وَأَرْشَدَهُ غَيْره إلى الأمرِ ورَشَدَه هَدَاهُ واسْتَرْشَدَه طَلَبَ مِنْهُ الرُّشْدَ[١].

وَهَذا ذَاتُ مَا ذَهَبتْ إليه كُتُبُ اللغة. وَعَلى هَذا يُمْكِن تَعْرِيف الرُّشْدَ بأَنَّه إِصَابةُ الخَيْر وَطَرِيقُ الاسْتِقَامَةِ مَعَ التَّمسُّكِ بِهِ.

ثالثاً - الأَلْفَاظُ ذَاتُ الصِّلَةِ:

١ - الأَهْلِيَّةُ:

الأَهْلِيَّةُ: الصَّلاَحِيَةُ[٢].

وَهِيَ نَوْعَان: أَهْلِيَّةُ وُجُوبٍ، وَأَهْلِيَّةُ أَدَاءٍ.

فَأَهْلِيَّةُ الْوُجُوبِ هِيَ: صَلاحِيَةُ الإِنْسَانِ لِوُجُوبِ الْحُقُوقِ الْمَشْرُوعَةِ لَهُ وَعَلَيْهِ.

وَأَهْلِيَّةُ الأَدَاءِ هِيَ: صَلاحِيَةُ الإِنْسَانِ لِصُدُورِ الْفِعْلِ مِنْهُ عَلَى وَجْهٍ يُعْتَدُّ بِهِ شَرْعًا[٣].

هَذَا وَالرُّشْدُ هُوَ الْمَرْحَلَةُ الأَخِيرَةُ مِنْ مَرَاحِلِ الأَهْلِيَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ الشَّخْصُ رَشِيداً كَمُلَتْ أَهْلِيَّتُهُ وَارْتَفَعَتْ عَنْهُ الْوِلايَةُ وَسُلِّمَتْ إِلَيْهِ أَمْوَالُهُ[٤].

ب - الْبُلُوغُ:

الاحْتِلامُ وَالإِدْرَاكُ[٥].

---

(١) ينظر تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه). أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. (ت ٦٧٦ هـ). تحقيق: عبد الغني الدقر. الطبعة الأولى. دار القلم. دمشق. ١٤٠٨هـ: ١٩٩؛ المطلع على أبواب الفقه. أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي. (ت ٧٠٩هـ). تحقيق: محمد بشير الأدلبي. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م: ٢٢٨.

(٢) ينظر لسان العرب: مادة (أهل) ١١ / ٢٩.

(٣) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف. مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي. (ت ١٠٣١هـ). تحقيق: د. مُحَمَّد رضوان الداية. الطبعة الأولى. دار الفكر المعاصر - دمشق، دار الفكر - بيروت. ١٤١٠هـ: ١٠٤.

(٤) ينظر المصدر نفسه: ١٠٤.

(٥) ينظر أساس البلاغة. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي. (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: عبد الرحيم محمود. مطبعة أورفاند بالقاهرة. الطبعة الأولى. ١٩٥٣م. وهي طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١هـ: مادة (بلغ) ٢٩.

وَأَمَّا عِنْدَ الْفُقَهَاءِ فَهُوَ: قُوَّةٌ تَحْدُثُ لِلشَّخْصِ تَنْقُلُهُ مِنْ حَالِ الطُّفُولَةِ إِلَى حَالِ الرُّجُولَةِ، وَهُوَ يَحْصُلُ بِظُهُورِ عَلامَةٍ مِنْ عَلامَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالاحْتِلامِ، وَكَالْحَبَلِ وَالْحَيْضِ فِي الأُنْثَى، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْعَلامَاتِ كَانَ الْبُلُوغُ بِالسِّنِّ[١].

وَالرُّشْدُ وَالْبُلُوغُ قَدْ يَحْصُلانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ يَتَأَخَّرُ الرُّشْدُ عَنْ الْبُلُوغِ تَبَعًا لِتَرْبِيَةِ الشَّخْصِ وَاسْتِعْدَادِهِ[٢].

ج ـ التَّبْذِيرُ:

هُوَ فِي اللُّغَةِ: مُشْتَقٌّ مِنْ بَذْرِ الْحَبِّ فِي الأَرْضِ[٣].

وَفِي الاصْطِلاحِ: تَفْرِيقُ الْمَالِ عَلَى وَجْهِ الإِسْرَافِ. وَالتَّبْذِيرُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ عَدَمُ الصَّلاحِ فِي الْمَالِ، فَمَنْ كَانَ مُبَذِّرًا كَانَ سَفِيهًا أَيْ غَيْرَ رَشِيدٍ[٤].

د ـ الْحَجْرُ:

وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ: الْمَنْعُ مِنْ التَّصَرُّفِ[٥].

وَفِي الاصْطِلاحِ: صِفَةٌ حُكْمِيَّةٌ تُوجِبُ مَنْعَ مَوْصُوفِهَا مِنْ نُفُوذِ تَصَرُّفِهِ فِي الزَّائِدِ عَلَى قُوتِهِ أَوْ تَبَرُّعِهِ بِمَالِهِ، أَوْ الْمَنْعِ مِنْ التَّصَرُّفَاتِ الْمَالِيَّةِ. وَالصِّلَةُ بَيْنَ الْحَجْرِ وَالرُّشْدِ أَنَّ الْحَجْرَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ فُقْدَانِ الرُّشْدِ[٦].

---

(١) ينظر المطلع: ٤١ .

(٢) ينظر المصدر نفسه: ٤١ .

(٣) ينظر لسان العرب: مادة (بذر) ٤/ ٥٠.

(٤) ينظر التعريفات. أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف. (ت ٨١٦هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري. الطبعة الأولى. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٠٥هـ: ٧٢.

(٥) ينظر مختار الصحاح: مادة (حجر) ٦٠ .

(٦) ينظر أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء. قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي. (ت ٩٧٨هـ). تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي. الطبعة الأولى. دار الوفاء. جدة. ١٤٠٦هـ: ٢٦٦ .

هـ ـ السَّفَهُ:

وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ وَأَصْلُهُ الْخِفَّةُ[١]. وَفِي الاصْطِلاحِ: خِفَّةٌ تَعْتَرِي الإِنْسَانَ فَتَبْعَثُهُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ بِخِلاَفِ مُقْتَضَى الْعَقْلِ، مَعَ عَدَمِ الاخْتِلاَلِ فِي الْعَقْلِ. وَالسَّفَهُ نَقِيضُ الرُّشْدِ[٢].

(١) ينظر العباب الزاخر واللباب الفاخر. الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني. (ت ٦٥٠ هـ). تحقيق: مُحَمَّد حسن آل ياسين. الطبعة الأولى. دار الرشيد للنشر. بغداد. ١٩٨١م: حرف الفاء ص ٣٠٠ .

(٢) ينظر الحُدُودُ الأَنِيقَة والتعريفات الدقيقة. أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري. (ت ٩٢٦هـ). تحقيق: د. مازن المبارك. الطبعة الأولى. دار الفكر المعاصر. بيروت. ١٤١١هـ: ٧٣.

المبحث الثاني
تعريف الغي

١ ـ الغي في اللغة :

الغين والياء المشدَّدة أو المضاعفة أصلٌ صحيح يدلُّ على إظلال الشَّيء لغيره[١] .

الغَيُّ: الضَّلالُ والخَيْبَة. غَوَى ـ بالفَتح ـ غَيّاً وغَوِيَ غِوَايَةً ضَلَّ. ورجلٌ غَاوٍ وغَوٍ وغَوِيٌّ وغَيَّان: ضالٌّ، وأَغْواه هو؛ قال المرقش :

فمَنْ يَلْقَ خَيراً يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَه ... ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائماً[٢]

وقال دُرَيدُ بن الصِّمَّة[٣] :

وهَلْ أَنا إلاَّ مِنْ غَزِيَّة إن غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّة أَرْشُدِ

ونقل عن ابن الأَعرابي أن الغَيَّ: الفسادُ، وغَوٍ هو اسمُ الفاعِلِ مِنْ غَوِيَ لا من غَوَى، وكذلك غَوِيٌّ، ونظيره رَشَدَ فهو راشِدٌ ورَشِدَ فهو رَشِيدٌ[٤] . وفي الحديث الشريف: ((مَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَه فقد رَشَد، ومن يَعْصِهما فَقَدْ غَوَى))[٥] .

وفي حديث الإسراء: ((لو أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ))[٦]،أي:ضلَّت.وغَوَوْا، أي: ضلّوا[٧] .

---

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. (ت ٣٥٩هـ). تحقيق: عبد السلام هارون. دار الكتب العلمية. بيروت. (د. ت): ٤/ ١٢٣ .

(٢) ينظر لسان العرب: مادة (غوي) ١٥/ ١٤٢ .

(٣) ينظر شعر دريد بن الصمة. دار صادر. بيروت. لبنان. (د. ت): ٤٤ .

(٤) ينظر لسان العرب: مادة (غوي) ١٥/ ١٤٢ .

(٥) صحيح مُسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيسابوري. (ت ٢٦١هـ). تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بَيْرُوت. (د. ت): ٢/ ٥٩٤ رقم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ .

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ صَحِيح البُخَاريّ، لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد ابن إسماعيل البُخَاريّ الجعفي، (ت ٢٥٦هـ)، تَحْقِيق: د. مصطفى ديب البغا، الطَّبْعَة الثالثة، دَار ابن كثير، اليمامة، بَيْرُوت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٣/ ١٢٤٣ رقم (٣٢١٤)؛ صحيح مسلم: ١/ ١٥٤ رقم (١٦٨) .

(٧) ينظر غريب الحديث. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي. (ت ٢٢٤هـ). تحقيق: د. محمد عبد =

وفي حديث موسى وآدم ـ عليهما السلام ـ: ((أَغْوَيْتَ الناس))[١]، أَي: خَيَّبْتَهُم؛ يقال: غَوَى الرجُلُ خابَ وأَغْواه غَيْرُه.

والغَوَّةُ والغَيَّةُ واحد. ومصدر غَوَى الغَيَّ[٢].

والغَوايةُ: الانْهماكُ في الغَيِّ. ويقال: أَغْواه الله إِذا أَضلَّه. وحكي عن بعض العرب: غَواهُ بمعنى أَغْواه[٣].

وأَرْضٌ مَغْواةٌ: مَضَلة. والأُغْوِيَةُ: المَهْلَكة: والمُغَوَّياتُ ـ بفتح الواو مشددة ـ جمع المُغَوَّاةِ: وهي حُفْرَةٌ كالزُّبْيَة تُحتَفَر للأَسَدِ[٤].

وأَنشد لمُغَلِّس بن لَقِيط[٥]:

وإِنْ رَأَياني قد نَجَوْتُ تَبَغَّيا ... لِرِجْلي مُغَوَّاةً هَياماً تُرابُها

وقيل: مَن حَفَرَ مُغَوَّاةً أَوْشَكَ أَن يَقَعَ فيها[٦].

وَوَقَعَ الناسُ في أُغْوِيَّة، أَي: في داهيَة[٧].

والمُغَوَّيات بالتشديد وفتح الواو، واحدتها مُغَوَّاةٌ، وهي حُفْرةٌ كالزُّبْية تُحْتَفَرُ للذئب ويجعلُ فيها جَدْيٌ إِذا نَظَر الذئب إِليه سقَطَ عليه يريدهُ فيُصادُ، ومن هذا قيلَ: (لكلِّ مَهْلَكة مُغْوَاةٌ)[٨].

وقال رؤبة[٩]:

=

المعيد خان. الطبعة الأولى. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٣٩٦هـ: ٣/ ٣٢٤.

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٤٣ رقم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) ينظر مختار الصحاح: مادة (غوي) ٢٥٢.

(٣) ينظر القاموس المحيط: مادة (غوي) ٤/ ٣٧٢.

(٤) ينظر مجمع البحرين: مادة (غوي) ٣/ ٣٤١.

(٥) ينظر لسان العرب: مادة (غوي) ١٥/ ١٤٢.

(٦) ينظر مجمع الأمثال. أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري. (ت٥١٨هـ). تحقيق: محمّد محيى الدين عبد الحميد. دار المعرفة. بيروت. (د. ت): ٢/ ٢٩٧.

(٧) ينظر الصحاح: مادة (غوي) ٦/ ٢٤٥١.

(٨) ينظر العين: مادة (غوي) ٤/ ٤٥٦.

(٩) ينظر ديوان رؤبة بن العجاج. صححه وليم بن الورد. الطبعة الثالثة. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ١٩٨٠م: ١/ ١٤٧.

إِلــى مُغَــوَّاةِ الفَتــى بالــمِرْصاد

يريـد إلــى مَهْلَكَتِـه ومَنِـيَّته، شَـبَّهَها بتلـك الــمُغْوَاةِ، وإنمـا أَراد عمرــ رضـي الله عنـه ـ أَن قريشـاً تريـدُ أَن تكـونَ مهلكـةً لِـمال اللَّـه كـإهلاكِ تلـك الــمُغْوَاة لــما سقط فـيها، أَي: تكونَ مصايدَ للـمال ومَهالِكَ كتلك الَـمُغَوَّيات[1].

وتَغَـاوَوْا علــيه، أَي: تَعـاوَنُوا علــيه فقتَلُـوه. وتَغَـاوَوْا علــيه: جـاؤوه مـن هُنـا وهُنا وإن لــم يَقْتُلُـوه. والتَّغـاوي: التَّــجمُّع والتَّعـاوُن علــى الشَّرِّ، وأَصـلهُ مـن الغَوايـة أَو الغَي[2].

٢ ـ الغيّ في الاصطلاح :

تعريـف الغـي في الاصـطلاح لا يكـاد يختلـف عـن تعريـف أهـل اللغـة لـه، فقيـل في تعريفـه أنـه: جهـل مـن اعتقـاد فاسـد. وقـال الحرالـي: سـوء التصـرف في الشيء وإجراؤه على ما يسوء عاقبته[3].

ولكن وضعوا فروقاً بين الغي ومرادفاته، من ذلك :

أ ـ الفرق بين الغيّ والضلال:

إن أصل الغـي الفسـاد، ومنـه يقـال: غـوى الفصـيل إذا بشـم مـن كثـرة شـرب اللبن، وإذا لم يـرو مـن لـبن أمـه فمـات هـزلاً. فالكلمـة مـن الأضـداد، وأصـل الضـلال الهـلاك ومنـه قـولهم: ضـلت الناقـة إذا هلكـت بضـياعها. وفي القـرآن: ﴿ **وَقَـالُوا أَئِـذَا ضَـلَلْنَا فِـي الأَرْضِ** ﴾[4]، أي: هلكنـا بتقطـع أوصـالنا. فالــذي يوجبـه أصــل الكلمتين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه[5].

ويسـتعمل الضـلال أيضـاً في الطريـق كمـا يسـتعمل في الـدين، فيقـال ضـل عن الطريق إذا فارقه، ولا يستعمل الغي إلا في الدين خاصة، فهذا فرق آخر[6].

---

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٣٩٨ .

(٢) ينظر تاج العروس: مادة (غوي) ١٠/ ٢٧٣ .

(٣) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف: ٥٤٥ .

(٤) سورة السجدة: من الآية ١٠ .

(٥) ينظر الفروق اللغوية. أبـو هـلال الحسـن بـن عبـد الله بـن سـهل العسـكري. (ت ٣٩٥هـ). ضـبطه وحققه: حسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. (د. ت): ٣٩٢ .

(٦) ينظـر الكليـات (معجـم في المصـطلحات والفـروق اللغويـة). أبـو البقـاء أيـوب بـن موسـى الحسـيني

وربما استعمل الغي في الخيبة يقال: غوى الرجل إذا خاب في مطلبه وأنشد قول الشاعر[١]:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقيل أيضاً: معنى البيت أن من يفعل الخير يحمد، ومن يفعل الشر يذم، فجعل من المعنى الأول .

ويقال أيضاً: ضل عن الثواب، ومنه قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾[٢]، والضلال بمعنى الضياع يقال: هو ضال في قومه أي: ضائع، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾[٣]، أي: ضائعاً في قومك لا يعرفون منزلتك. ويجوز أن يكون ضالاً، أي: في قوم ضالين، لأن من أقام في قوم نسب إليهم، كما قيل: خالد الحذاء لنزوله بين الحذائين، وأبو عثمان المازني لإقامته في بني مازن لم يكن منهم، وقال أبو علي الفارس في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾ أي: وجدك ذاهباً إلى النبوة فهي ضالة عنك، كما قال تعالى: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾[٤]، وإنما الشهادة هي الضلالة عنها، وهذا من المقلوب المستفيض في كلامهم، ويكون الضلال الإبطال ومنه: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٥]، أي: أبطلها. ومنه: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾[٦]، ويقال: ضللني فلان، أي: سمّاني ضالاً، والضلال يتصرف في وجوه لا يتصرف الغي فيها[٧].

=

الكفوي. (ت ١٠٩٤هـ). قابلة على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري. دار الكتب الثقافية. دمشق. ١٩٧٥م: ٣ / ١٢٩ – ١٤٣، و٣ / ٤٣ .

(١) ينظر الفروق اللغوية: ٣٩٢ .

(٢) سورة غافر: من الآية ٧٤ .

(٣) سورة الضحى: الآية ٧ .

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٨٢.

(٥) سورة مُحَمَّد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ: من الآية ١ .

(٦) سورة الفيل: الآية ٢ .

(٧) ينظر المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم بن حسين بن محمّد المعروف بالراغب =

ب ـ الفرق بين الغي والفساد:

إن كل غي قبيح، ويجوز أن يكون فساداً ليس بقبيح كفساد التفاحة بتعينها، ويذهب بذلك إلى أنها تغيرت عن الحال التي كانت عليها، وإذا قلنا: فلان فاسد، اقتضى ذلك أنه فاجر، وإذا قلت: إنه غاو، اقتضى فساد المذهب والاعتقاد[1].

=

الأصفهاني. (ت ٥٠٢هـ). أعده للنشر وأشرف على الطبع: د. محمّد أحمد خلف الله مكتبة الأنجلو المصرية. (د. ت.): ٤٤٠، و٥٥١. التعريفات: ١٤٣.

(١) ينظر الفروق اللغوية: ٣٩٣.

الفصل الثاني

آيات الرشد في القرآن الكريم
ويتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول: الهداية إلى الرشد

المبحث الثاني: إيناس الرشد

المبحث الثالث: سمات الراشدين

المبحث الرابع: الرشد الإلهي

المَبْحَث الأَوْل
الهداية إلى الرشد
ويتضمن ثلاثة مطالب :

المَطْلَب الأَوْل: الدعوة إلى الرشد

المَطْلَب الثَّانِي: هداية الْقُرآن الْكَرِيم إلى الرشد

المَطْلَب الثَّالِث: هداية الصالحين إلى الرشد

المَبْحَث الأَوْل
الهداية إلى الرشد

تضمنت آيات القُرآن الكَريم الدعوة إلى كلّ خير، والتحذير من كلّ شرّ، ومما دعا إليه القُرآن الكَريم الرشد، فقد ورد ذلك في عدد من الآيات الشريفات التي حثت الناس على اتباع الرشد والاهتداء إليه، وفي هذا المبحث سأتناول هذه الآيات على وفق المنهج التحليلي لآيات القُرآن الكَريم .

المَطْلَب الأَوْل

الدعوة إلى الرشد

قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾[1] .

سبب النزول :

اختلف في سبب نزول الآية على الأقوال الآتية :

١) روي أن أعرابياً قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت[2] .

٢) وروى عبد الرزاق في تفسيره عن الحسن قال: سأل أصحاب رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فقالوا للنبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ: أين ربنا ؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦ .

(٢) يُنْظَرْ تفسير القُرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ والصَّحَابَة والتابعين. للإمام الحافظ عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم. (ت ٣٢٧هـ). تَحْقِيق: أسعد مُحَمَّد الطيب. الطَبْعَة الأول. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة. ١٩٩٧م: ١/ ٢٠٨؛ أَنْوَار التَّنْزِيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البَيْضَاوي. لأبي سعيد ناصر الدِّين عَبْدُ اللَّهِ بن عُمَر بن مُحَمَّد الشِّيرَازي البَيْضَاوي الشَّافِعِيّ. (ت ٦٨٥هـ). تَحْقِيق: عَبْد القادر عرفات العشا حسونة. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م: ١/ ٤٦٧. والحديث في سنده ضعف. ينظر العجاب في بيان الأسباب. لأبي الْفَضْل شهاب الدِّين أَحْمَد بن علي. (ت ٨٥٢ هـ). تَحْقِيق: عَبْد الحكيم مُحَمَّد الأنيس. الطَبْعَة الأُولَى. دَار ابن الجوزي. الدمام. ١٩٩٧م: ١ / ٤٣٤ .

(٣) تفسير القُرآن. لعَبْد الرَّزَّاق بن همام الصنعاني. (ت ٢١١ هـ). تَحْقِيق: د. مصطفى =

٣) وروي عن عطاء[١] أنه بلغه لما نزلت: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢] قال الناس: لو نعلم أي ساعة ندعو فنزلت ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية. وروي عن الضحاك[٣] قال: سأل بعض الصحابة النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فذكر نحوه[٤].

٤) روي عن مقاتل بن سليمان[٥] في تفسيره: اعترف رجال من المسلمين أنهم كانوا يأتون نساءهم بعد أن يناموا في الصيام، فقالوا ما توبتنا ؟ فنزلت: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾. وروي مطولاً ذكرت فيه القصة عن عمر بن الخطاب، وعن

=

مسلم مُحَمَّد. الطَبْعَة الثانية. مكتبة الرشد. الرياض. ١٤١٠هـ: ١/ ٧١ .

(١) هو عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح: أسلم، أبو محمّد، مولى بني فهر القرشي مولاهم المكي، من مولدي الجند، نشأ بمكة وعلم الكتابة بها، وكان أسود وأعور وأفطس كان من أجلة فقهاء التابعين بمكة ومن زهادهم المشهورين، سمع من كبار الصحابة، وروى عنه الكثير وقد انتهت إليه فتوى مكة في زمانه؛ ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال توفي وهو ابن ثمانين سنة ١١٥ هـ وقيل غير ذلك. ينظر: الكَاشِف فِي معرفة من له رواية فِي الكتب الستة. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد عوامة. الطَبْعَة الأُولَى. دَار القبلة للثقافة الإِسْلامِيّة، مؤسسة علو. جدة. ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م: ٢/ ٢٣١ .

(٢) سورة غافر: من الآية ٦٠ .

(٣) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير، قال الامام الذهبي: كان من أوعية العلم، لقي سعيد بن جبير فأخذ عنه توفي سنة ٤٥ هـ؛ سِيَر أَعْلام النُّبَلاء. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: شعيب الأرناؤوط، ومُحَمَّد نعيم العرقسوسي. الطَبْعَة التاسعة. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٤١٣هـ: ٤/ ٥٩٨-٦٠٠ .

(٤) العجاب في بيان الأسباب: ١ / ٤٣٥؛ لباب النقول فِي أسباب النزول. لأبي الْفَضْل عَبْد الرَّحْمَن ابن أَبِي بَكْرٍ بن مُحَمَّد السيوطي. (ت ٩١١ هـ). دَار إِحْيَاء الْعُلُوم. بَيْرُوْت. (د.ت): ٣٣ .

(٥) هو الإمام مقاتل بن سليمان، من الزيدية مولاهم الخراساني، له كتاب التفسير الكبير، ولم يذكر ابن النديم تأريخ وفاته، وذكره الذهبي مع ترجمة مقاتل بن حيان، وقد حدث عن الشعبي وعكرمة، كان بحراً في التفسير ورمي بالتجسيم، وهو متروك الحديث عند بعضهم، توفي سنة ١٥٠هـ؛ ينظر الفِهْرِسْت. لأبي الفَرَج مُحَمَّد بن أَبِي إِسْحَاق النَّديم البَغْدَادي. (ت ٣٨٥هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م: ٢٥٣.

صرمة بن أنس أبي قيس[١] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ وهذا يستلزم أن هذه الآية مؤخرة في النزول، وإن كانت متقدمة في التلاوة[٢].

٥) ذكر الماوردي ونسبه لابن الكلبي[٣]، ونسبه غيره لابن عباس[٤] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: إن يهود المدينة قالوا للنبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ: كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا و بين السماء خمسمائة عام، وإن غلظ كل سماء خمسمائة عام، فنزلت[٥].

---

(١) صحابي جليل، أتى أهله في رمضان وهو شيخ كبير، اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، فقيل قيس ابن صرمة، وقيل: صرمة بن قيس، وقيل: قيس بن مالك أبو صرمة، وقيل: قيس بن أنس أبو صرمة، وفرق ابن حبان بين قيس بن مالك، وقيس بن صرمة فقال: في كل منهما له صحبة. ينظر الإصَابَة فِي تمييز الصَّحَابَة. لأبي الْفَضْل شهاب الدِّين أَحْمَد بن علي بن مُحَمَّد الكِنَاني العَسْقلاني المعروف بابن حَجَر. (ت ٨٥٢هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الجيل. بَيْرُوْت. ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م: ٥/ ٤٧٨ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي الْقُرآن المعروف بـ(تفسير الطَّبَري). لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرير بن يزيد بن خالد الطَّبَري. (ت ٣١٠هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤٠٥هـ: ٣/ ٥٠٨؛ العجاب في بيان الأسباب: ١ / ٤٣٥؛ لباب النقول: ٣٣ .

(٣) الكلبي: هو أبو النضر محمد بن السائب بن جزء الكلبي الكوفي كان سيئاً مرجئاً كذبه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: مجمع على تركه، توفي سنة ١٤٦هـ الجَرْح والتَّعْدِيل لأبي مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي حاتم مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التَّمِيمي الرَّازي. (ت ٣٢٧هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. ١٢٧١ هـ ـ ١٩٥٢م. وهي طبعة مصورة عَلَى الطَبْعَة الأُولَى التي طبعت سنة ١٩٥٢م. بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن: ٧/ ٢٧٠ .

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحد العبادلة الأربعة، وحبر الأمة والصحابي الجليل، وترجمان القرآن دعا له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ضمه إلى صدره بالتفقه في الدين ومعرفة التأويل، كف بصره بأخر عمره، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وشهد مع علي الجمل وصفين. مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمره ثلاث عشرة سنة = = توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ وقيل ٦٩ وقيل ٧٠ هـ ينظر الاسْتِيعَاب فِي معرفة الأصحاب. لأبي عُمَر يوسف بن عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد بن عَبْد البَرّ بن عاصم النَّمَري القُرْطُبي. (ت ٤٦٣هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الجيل. بَيْرُوْت. ١٤١٢هـ: ٢ / ٣٥٠ .

(٥) النكت والعيون (المسمى: تفسير الماوردي). لأبي الْحَسَن علي بن حبيب البصري. (ت ٤٥٠هـ). الطبعة الأولى. تَحْقِيق: خضر مُحَمَّد خضر. مطابع مقهوي. الكويت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م: ١/ ١٨٧؛ الكشَّاف =

والـذي يبـدو راجحـاً هـو القـول الأول، لصـحة سـنده بالمقارنـة مـع الأقوال الأخرى، ولأنه أوفق بالسياق القرآني .

تحليل الألفاظ:

دَعْوَةَ :

مَعنى الدُّعاء هُنا عَلـى ثَلاثةِ أَوْجه[1]:

فضـربٌ منهـا توحيـدُه والثنـاءُ علـيه كقولـك: يـا اللَّـهُ لا إلـه إلا أَنـت، وكقولك: ربَّنا لكَ الـحمدُ، إذا قُلْتَـه فقـد دَعوتـه بقولـك ربَّنـا، ثـم أَتـيتَ بالثنـاء والتوحيد، ومثله قوله عـز وجـل: ﴿ **وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْتَجِبْ لَكُـمْ** ﴾[2]؛ فهـذا ضَرْبٌ من الدعاء .

الضرب الثاني مسـأَلةُ الله العفـو والرحمـة ومـا يُقَـرِّب منـه كقولـك: اللـهم اغفـر لنا .

والضـرب الثالـث مسـأَلة الـحَظِّ مـن الدنـيا كقولـك: اللـهم ارزقنـي مـالاً وولداً، وإنما سمي هذا جميعه دعـاء لأَن الإِنسـان يُصَـدّر فـي هـذه الأَشـياء بقولـه: يـا الله، يا ربّ، يا رحمنُ، فلذلك سُمِّي دعاء[3].

فَلْيَسْتَجِيبُوا :

الـمُـجِيبُ مِـن أَسْـمَائِهِ تَعَـالَى هُـوَ الـذِّي يُقَابِـلُ الـدُّعاء والسُّـؤَال بالعَطَـاءِ والقَبُول. والـجَوابُ: رَدِيـدُ الكـلام، والفِعْـل: أَجـابَ يُجِيـبُ. قـال اللَّـه تعالـى:﴿ **فَإِنِـي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْتَـجِيبُوا لِـي** ﴾، أَي:فَلْيُجِيبونـي. وقـال الفـرَّاءُ:

=

عن حقائق التَّنزِيـل وعيـون الأقاويـل فِـي وجـوه التأويـل. لأبـي القاسـم جـار الله محمـود بـن عُمَـر الزَّمَخْشَـرِي الخُوَارِزْمِي. (ت ٥٣٨هـ). مطبعة مصطفى البابي الحَلَبِي وأولاده. مصر. ١٩٤٨م: ١/ ١١٤ .

(١) ينظـر المجمـل. لأبـي الحسـين أَحْمَـد بـن فـارس بـن زكريـا. (ت ٣٩٥هــ). تَحْقِيـق: مُحَمَّـد محيـي الـدِّين عَبْـد الحميـد. مطبعـة السـعادة. مصـر. ١٩٤٧ م: ٢ / ٣٢٦؛ المفـردات: ١٦٩؛ لسـان العرب: مادة (دعا) ١٤ / ٢٥٦ .

(٢) سورة غافر: من الآية ٦٠ .

(٣) ينظر مجمل اللغة: ٢ / ٣٢٦؛ المفردات: ١٦٩؛ لسان العرب: مادة (دعا) ١٤ / ٢٥٦ .

يقال: إنها التَّلْبِيةُ، والمصدر الإجابةُ، والاسم الإجَابةُ، بمنزلة الطاعةِ والطاقة. والإجابةُ: رَجْعُ الكلام، تقول:أَجابَه عن سُؤَاله، وقد أَجابه إجابةً وإجاباً وجواباً وجابةً واستَجْوبَه واستَجابه واستَجَابَ له[١] .

يَرْشُدُونَ :

الرُّشْد والرَّشَد والرَّشاد: نقيض الغيّ. رَشَد الإنسان يَرْشُد رُشْداً ورَشِد يَرْشَد رَشَداً ورَشاداً، فهو راشِد ورَشيد، وهو نقيض الضلال، إذا أَصاب وجه الأَمر والطريق. والراشدُ اسم فاعل من رَشَد يَرْشُد رُشْداً و أَرْشَدته أَنا. و رَشِدَ أَمرَه: رَشِدَ فيه وأَرشَدْتُه فلم يَسْتَرْشِد. والرَّشَدى: اسم للرشاد[٢] .

القراءات القرآنية :

عِبَادِي :

قرأ نعيم بن ميسرة[٣]: (عبادِ)[٤] .

---

(١) مَعَانِي الْقُرآن. لأبي زَكَرِيا يحيى بن زياد الفَرَّاء. (ت ٢٠٧هـ). تَحْقِيق: أَحْمَد يوسف نجاتي، ومُحَمَّد علي النَّجّار. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب المصرية. ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م: ١/ ١١٥؛ المفردات: ١٠٢؛ لسان العرب: مادة (جوب) ١/ ٢٨٣ .

(٢) ينظر كتاب الأفعال. أبو القاسم علي بن جعفر السعدي. (ت ٥١٥هـ). الطبعة الأولى عالم الكتب. بيروت. ١٩٨٣م: ٣/ ٨٥؛ لسان العرب: مادة (رشد) ٣/ ١٧٥؛ بصائر ذوي التمييز. أبو الطاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). تحقيق: مُحَمَّد علي النجار. البقاهرة. ١٩٦٤هـ ـ ١٩٦٩م: ٣/ ٧٥ .

(٣) هو نعيم بن ميسرة، أبو عمرو الكوفي، سكن الري سمع أبا إسحاق الهمداني وعبد العزيز بن عمر، روى عنه محمد بن حميد ويحيى بن يحيى، مات بمدينة الري سنة أربع وسبعين ومائة وقدم مرو، كناه الفضل بن موسى. يُنْظَرُ التَارِيْخ الكَبِيْر. لأبي عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبْرَاهِيم الْبُخَارِيّ الجعفي. (ت ٢٥٦هـ). تَحْقِيق: السيد هاشم الندوي. دَار الفكر للطباعة والنشر. (د. ت): ٨/ ٩٩ .

(٤) السبعة فِي القراءات. لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البَغْدَادي. (ت ٣٢٤ هـ). تَحْقِيق: د. شوقي ضيف. الطَبْعَة الثانية. دَار المعارف. القاهرة. ١٤٠٠هـ: ١٩٨ .

الدَّاعِ :

١) قرأ أبو عمرو[١]، ونافع[٢]، وقالون[٣]، ويعقوب[٤]: (الداعي) وصلاً ووقفاً[٥].

٢) قرأ أبو عمرو، وورش[٦]، وقالون: (الداعي) وصلاً[٧].

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام مقرئ أهل البصرة اسمه زبان على الأصح، وقيل: العريان، وقيل: يحيى، وقيل: محبوب، وقيل: جنيد، وقيل: عينة، وقيل: عثمان، وقيل: عياد، وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان. وقيل: ابن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي ثم المازني، ولد أبو عمرو سنة ثمان وستين. وقيل: سنة سبعين، وأخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، وتلمذ على الحسن البصري، وقال أبو عمرو الداني يقال: إنه ولد بمكة سنة ثمان وستين ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة (سنة ١٥٥ هـ)، وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالبصرة. وقال فيه أبو عبيدة: أبو عمرو أعلما لناس بالقراءات العربية وأيام العرب والشعر. ينظر معرفة القراء الكبار عَلَى الطَبَقَات والأعصار. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: بشار عواد معروف. وشعيب الأرناؤوط. وصالح مهدي عباس. الطَبْعَة الأُولَى. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٤٠٤هـ: ١/ ١٠٠-١٠١ .

(٢) هو أبو عبد الله نافع بن هرمز، ويقال كاوس العدوي المدني، مولى ابن عمر تابعي ثقة ثبت فقيه مشهور كثير الحديث، قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر، توفي سنة ١١٧ هـ وقيل غيرها، تَقْرِيْب التَهْذِيب، لأبي الْفَضْل أَحْمَد بن علي بن حَجَر العَسْقلاني الشَّافِعِيّ، (ت ٨٥٢ هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد عوامة، الطَبْعَة الأُولَى، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م: ٢/ ٢٩٦ .

(٣) قالون: هو عيسى بن صنعاء بن عيسى قارئ أهل المدينة، لقب بقارون لجودة قراءته، وهي كلمة رومية معناها: جيد،، توفي سنة ٢٢٠ هـ؛ العبر فِي خبر من غبر. لأبي عَبْد اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي (ت ٧٤٨هـ) تَحْقِيق: د. صلاح الدِّين المنجد. الطَبْعَة الثانية. مطبعة حكومة الكويت. ١٩٤٨م: ١/ ١٥٥-١٥٦.

(٤) يعقوب: هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة، توفي سنة ٢٠٥ هـ؛ تذكرة الحُفّاظ. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ. بَيْرُوْت (د. ت). وهي الطَبْعَة المصورة عَلَى الطَبْعَة الثالثة بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. ١٣٧٥هـ: ١/ ١٥٨ .

(٥) حجة القراءات. لأبي زرعة عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن زنجلة. (ت ٥٩٠هـ). تَحْقِيق: سعيد الأفغاني. الطَبْعَة الثانية. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م: ١٢٦ .

(٦) ورش: هو عثمان بن سعيد ورش، ولد سنة ١١٠ هـ وختم القراءة وجودها على نافع، وهو الذي لقبه بذلك لشدة بياضه، انتهت رياسة الإقراء اليه في الديار المصرية، توفي سنة ١٦٧ هـ؛ العبر: ١/ ١٥٢-١٥٥.

(٧) النشر فِي القراءات العشر. لأبي الخير مُحَمَّد بن مُحَمَّد الدمشقي الشهير بـ(ابن الجزري). (ت =

دَعَانِ :

١) قرأ أبو عمرو، ونافع، ويعقوب: (دعاني) وصلاً ووقفاً[١]

٢) قرأ أبو عمرو، وورش، وأبو جعفر، وقالون: (دعاني) وصلاً[٢] .

بِيَ :

قرأ نافع، وورش: (بيَ)[٣] .

يَرْشُدُونَ:

١) قرأ أبو حيوة[٤]، وإبراهيم بن أبي عبلة[٥]: (يَرْشِدُون)[٦] .

=

٨٣٣هـ). الطَبْعَة الثانية. صححه وراجعه علي مُحَمَّد الضباع. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. لُبْنَان. ١٩٧٨ م: ٢/ ١٣٧ .

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر المسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات). لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الغني الدمياطي الشَّافِعِيّ الشهير بالبناء. (ت ١١١٧هـ). الطَبْعَة الأُولَى. تَحْقِيق: د. شعبان مُحَمَّد إسماعيل. عالم الكتب. بَيْرُوْت. ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م: ١٥٤ .

(٢) السبعة في القراءات: ١٩٨؛ حجة القراءات: ١٢٦؛ النشر في القراءات العشر: ٢/ ١٣٧؛ إتحاف فضلاء البشر: ١٥٤ .

(٣) التيسير في القراءات السبع. لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. (ت ٤٤٤هـ). تَحْقِيق: أوتو برتزل. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٩٩٦م: ٨٦ .

(٤) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي أبو المقدام، ويقال جندل بن الأحنف بن السمط، ويقال: أبو نصر، الفلسطيني، تابعي، فقيه، ومحدث، يقال أن لجده صحبة، وكان شيخ أهل الشام في عصره، وكان ملازماً لعمر بن عبد العزيز في إمارته وخلافته، وهو الذي أشار على سليمان بتوليته الخلافة، توفي سنة: ١١٢. ينظر: طبقات الحُفَّاظ. لأبي الْفَضْل عَبْد الرَّحْمَن بن أَبي بَكْرٍ السُّيُوطي. (ت ٩١١هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤٠٣هـ: ١٤٥ .

(٥) هو الامام القدوة إبراهيم بن أبي عبلة أبو إسحاق العقيلي الشامي المقدسي، ولد بعد الستين وروى عن واثلة بن الأسقع، توفي سنة ١٥٢ هـ. ينظر سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٢٥، تَهْذِيب التَهْذِيب، لأبي الْفَضْل أَحْمَد بن علي بن حَجَر العَسْقلاني الشَّافِعِيّ، (ت ٨٥٢هـ(الطَبْعَة الأُولَى، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م: ١/ ١٤٢ .

(٦) التبيان في إعراب الْقُرآن. لأبي البقاء محب الدِّين عَبْدُ اللَّهِ بن أَبي عَبْدُ اللَّهِ الحسين بن أَبي البقاء عَبْدُ اللَّهِ بن الحسين العكبري. (ت ٦١٦ هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوى. إِحْيَاء الكتب العَرَبِيّة. (د. ت): ١/ ٤٨ .

٢) قرئ ـ دون نسبة ـ: (يُرْشَدُون)[١].

٣) قرئ ـ دون نسبة ـ: (يَرْشَدُون)[٢].

٤) قرئ ـ دون نسبة ـ: (يَرْشَدُون)[٣].

٥) قرأ أبو السمال[٤]: (يُرَشَّدون)[٥].

٦) قرأ أبو حيوة: (يُرَشِّدون)[٦].

القضايا البلاغية :

فَإِنِّي قَرِيبٌ :

فيها استعارة لعلمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم وإطلاعه على سائر أحوالهم. والقرب حقيقة في القرب المكاني المنزه عنه تعالى[٧].

---

(١) مَعَانِي الْقُرْآن. صنفه الأخفش الأوْسَط. للإمام أبو الْحَسَن سعيد بن مسعده المجاشعي البلخي البصري. (ت ٢١٥هـ). تَحْقِيق: د. فائز فارس. الطَّبْعَة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م: ١/ ١٦٠.

(٢) الكشاف: ١/ ١١٤؛ التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٤٨؛ البحر الْمُحِيط. لأبي عَبْدُ اللَّهِ أثِيْر الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي بن يوسُف بن حيَّان الأَندلُسي. الشهير بابن حيَّان وبأبي حيَّان. (ت ٧٥٤هـ). مطبعة السعادة. مصر. ١٣٢٩هـ: ٢/ ٤٧.

(٣) مُخْتَصَر شواذ الْقُرآن (كِتَاب القراءات الشاذة) من كِتَاب البديع. لأبي عَبْدُ اللَّهِ الحسين بن أَحْمَد بن خالويه. (ت ٣٧٠ هـ). عنى بنشره برجستراسر. دَار الهجرة. (د. ت.): ١٢.

(٤) هو أبو سمية، أبو السمال العدوي، اسمه معتب بن هلال، المقرئ البصري، له حروف شاذة لا يعتمد على نقله ولا يوثق به. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: الشيخ علي مُحَمَّد معوض، والشيخ عادل أَحْمَد عَبْد الموجود. الطَّبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٩٩٥م: ٧/ ٣٧٨.

(٥) المصدر نفسه: ١٢.

(٦) مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكَبِيْر)، وبـ(تفسير الرازي). لأبي عَبْدِ اللَّهِ فَخْر الدِّين مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِيّ الْمَذْهَب الرَّازي. (ت٦٠٦هـ). الطَّبْعَة الثالثة. المطبعة البهية المصرية. ميدان الأزهر. مصر. (د. ت.): ٢/ ١٣٣؛ البحر المحيط: ٢/ ٤٧.

(٧) روح المَعَانِي فِي تفسير الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثَّنَاء شِهاب الدِّين السيد محمود بن عَبْدِ اللَّهِ الآلُوسي البَغْدَادي. (١٢٧٠هـ). دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. (د. ت): ٢/ ٦٣.

المعنى العام :

في تلوين[١] الخطاب مع توجيهه لرسول الله ـ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ما لا يخفى من التشريف ورفع المحل. والمعنى: إذا سألك عبادي عني، أي: عن قربي وبعدي إذ ليس السؤال عن ذاته تعالى، فقل لهم: إني قريب، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم (أجيب دعوة الداع إذا دعان) تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة (فليستجيبوا لي) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات والمداومة عليه (لعلهم يرشدون) راجين إصابة الرشد، وهو إصابة الحق[٢] .

فَإِنِّي قَرِيبٌ :

أي فقل لهم ذلك بأن تخبر عن القرب بأي طريق كان، ولا بد من التقدير إذ بدونه لا يترتب على الشرط، ولم يصرح بالمقدر كما في أمثاله للإشارة إلى أنه تعالى تكفل جوابهم ولم يكلهم إلى رسوله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ تنبيهاً على كمال لطفه، والقرب حقيقة في القرب المكاني المنزّه عنه تعالى، وهو دليل للقرب المعنوي وتقرير له فالقطع لكمال الاتصال[٣] .

وفي معنى قوله تعالى: (فإني قريب) أقوال، قيل: قريب بالإجابة، وقيل بالعلم، وقيل قريب من أوليائي بالإفضال والإنعام[٤] .

---

(١) التلوين: هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة. التعريفات (الجرجاني): ٩١؛ التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٠٤ .

(٢) ينظر أنوار التنزيل: ١/ ٤٦٧؛ روح المعاني: ٢/ ٦٣ .

(٣) ينظر عناية القاضي وكِفَايَة الراضي حَاشِيَة الشهاب الخفاجي عَلَى تفسير البيضاوي. لشهاب الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر الخفاجي. (ت ١٠٦٩ هـ). مطبعة بولاق. مصر. ١٢٨٣هـ: ١ / ٤٦٧؛ روح المعاني: ٢/ ٦٣ .

(٤) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن، لأبي عَبْد اللَّه شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي، (ت ٦٧١هـ)، تَحْقِيق: أَحْمَد عَبْد العليم البردوني، الطَبْعَة الثانية، دَار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ: ٢/ ٣١٢ .

والله تعالى يجيب دعوة ((الداع)) إذا دعاه أي يقبل عبادة من عبده، فالدعاء بمعنى العبادة، والإجابة بمعنى القبول .

ودليله ما رواه النعمان بن البشير[١] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((الدعاء هو العبادة، قال ربكم: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢]))[٣]، فسمي الدعاء عبادة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٤]، أي: دعائي، فأمر تعالى بالدعاء وحضّ عليه وسماه عبادة، ووعد بأن يستجيب لهم[٥] .

وكان خالد الربعي[٦] يقول: عجبت لهذه الأمة في ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٧]، أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة وليس بينهما شرط، قال له قائل: مثل ماذا ؟ قال: مثل قوله ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[٨]، فها هنا شرط، وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[٩]، فليس فيه

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، صحابي قتل بحمص سنة ٦٥هـ. يُنْظَرْ الاستيعاب: ٣/ ٥٥٠، أُسد الغابة في معرفة الصَّحَابَة. لعزّ الدِّين أبو الْحَسَن علي بن أَبِي الكَرَم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَبْد الكريم الشَّيْبَانِيّ الجَزَرِي المعروف بابن الأَثِيْر. (ت ٦٣٠هـ). الناشر: المكتبة الإسْلامِيّة بطِهْران سنة ١٣٧٧هـ. وهي طبعة مصورة عَلَى مطبوعة الطَّبْعَة الوهبية بمصر سنة ١٢٨٠هـ: ٤/ ٢٦٢ .

(٢) سورة غافر: من الآية ٦٠ .

(٣) سُنَن التِّرْمِذِيّ: ٥/ ٢١١ رقم (٢٩٦٩) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) سورة غافر: الآية ٦٠ .

(٥) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٢/ ٣١٢ .

(٦) خالد الربعي: يروى عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ ، روى عنه هشام بن حسان، وأبو الأشهب، وحميد سنان العنبري. لم أقف على سنة وفاته. يُنْظَرْ الثِّقَات، لأبي حاتم التميمي مُحَمَّد بن حِبَّانَ بن أَحْمَد البستي، (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: السيد شرف الدِّين أَحْمَد، الطَّبْعَة الأُولَى، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م: ٤/ ٢٠٠ .

(٧) سورة غافر: من الآية ٦٠ .

(٨) سورة البقرة: من الآية ٢٥ .

(٩) سورة يونس: من الآية ٢ .

شرط العمل، ومثل قوله: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[١] فها هنا شرط، وقوله: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢] ليس فيه شرط، وكانت الأمم تفزع إلى أنبيائها في حوائجهم حتى تسأل الأنبياء لهم ذلك[٣] .

إن قيل: ما سبب عدم إجابة دعاء بعض الداعين ؟

الجواب: أن يعلم أن قوله الحق في الآيتين أجيب أستجيب لا يقتضي الاستجابة مطلقاً لكل داع على التفصيل، ولا بكل مطلوب على التفصيل، فقد قال ربنا تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٤] وكل مصر على كبيرة عالماً بها، أو جاهلاً فهو معتد، وقد أخبر أنه لا يحب المعتدين، فكيف يستجيب له، وأنواع الاعتداء كثيرة هذه منها[٥] .

وقال بعض العلماء: أجيب إن شئت كما قال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء، فيكون هذا من باب المطلق والمقيد، وقد دعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ثلاث فأعطي اثنتين ومنع واحدة[٦] .

وقيل: إنما مقصود هذا الإخبار تعريف جميع المؤمنين أن هذا وصف ربهم سبحانه أنه يجيب دعاء الداعين في الجملة، وأنه قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطراره فيجيبه بما شاء وكيف شاء، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾[٧] .

وقد يجيب السيد عبده، والوالد ولده، ثم لا يعطيه سؤله، فالإجابة كانت حاصلة لا محالة، ثم وجود الدعوة؛ لأن أجيب واستجيب خبر لا ينسخ، فيصير المخبر كذاباً[٨] .

---

(١) سورة غافر: من الآية ١٤ .

(٢) سورة غافر: من الآية ٦٠ .

(٣) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ٢/ ٣١٢ .

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٥ .

(٥) يُنْظَرْ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ٢/ ٣٠٩؛ تفسير الْقُرآن العظيم المسمى تفسير ابن كَثِير. لأبي الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عُمَر كَثِير القُرَشي الدِّمَشْقي. (ت ٧٧٤هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤٠١هـ: ٢/ ٨٩ .

(٦) صَحِيح مُسْلِم: ٤/ ٢٢١٦ رقم (٢٨٩٠) من حديث عامر بن سعد عن أبيه .

(٧) سورة الأحقاف: الآية ٥ .

(٨) يُنْظَرْ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ٢/ ٣٠٩

وقيل: إن الله يجيب كل الدعاء، فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفر عنه، وإما أن يدخر له في الآخرة، لما روي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له، وإما أن يكفّ عنه من السوء بمثلها. قالوا: إذن نكثر ؟ قال: الله أكثر))[1]، فهذا كله من الإجابة .

وقال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ: كل عبد دعا أستجيب له فإن كان الذي يدعو به رزقاً له في الدنيا أعطيه، وإن لم يكن رزقاً له في الدنيا ذخر له[2] .

والحديث وإن كان إذناً بالإجابة في إحدى ثلاث، فقد دل على صحة ما تقدم من اجتناب الاعتداء المانع من الإجابة، حيث قال فيه: ((ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم))، وزاد مسلم: ((ما لم يستعجل، قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء))[3] .

ويحتمل أن قوله: ((يستجاب لأحدكم))، هو الإخبار عن وجوب وقوع الإجابة، والإخبار عن جواز وقوعها، فإذا كان بمعنى الإخبار عن الوجوب والوقوع، فإن الإجابة تكون بمعنى الثلاثة، فإذا قال: قد دعوت فلم يستجب لي بطل وقوع أحد هذه الثلاثة الأشياء، وإن كان بمعنى جواز الإجابة، فإن الإجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصة، ويمنع من ذلك قول الداعي: قد دعوت فلم يستجب لي؛ لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين[4] .

ويمنع من إجابة الدعاء أيضاً أكل الحرام، وما كان في معناه، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك))[5] .

---

(١) سُنَن التِّرْمِذِيِّ: ٥/ ٥٥٦ رقم (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٢/ ٣١٠.

(٣) صَحِيح مُسْلِم: ٤/ ٢٠٩٦ رقم (٢٧٣٥) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ .

(٤) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٢/ ٣١٠؛ تفسير ابن كثير: ١/ ٣١٠.

(٥) سُنَن النَّسَائِيّ الْكُبْرَى: ٢/ ٧٠٣ رقم (١٠١٥) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ .

وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء من هذه صفته، فإن إجابة الدعاء لا بد لها من شروط: في الداعي، وفي الدعاء، وفي الشيء المدعو به. فمن شرط الداعي: أن يكون عالماً بأن لا قادر على حاجته إلا الله وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنباً لأكل الحرام، وألا يملّ من الدعاء[١].

ومن شرط المدعو فيه: أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً، كما قال ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ: ((ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم))، فيدخل في الإثم كل ما وقع فيه من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ قيل في معناها: فليدعوا لي[٣].

وقال ابن عطية: المعنى فليطلبوا أن أجيبهم، وهذا هو باب استفعل، أي: طلب الشيء إلا ما شذ، مثل: استغنى الله[٤].

وقال مجاهد، وغيره: المعنى فليجيبوا إليّ فيما دعوتهم إليه من الإيمان، أي: الطاعة والعمل، ويقال: أجاب واستجاب بمعنى. وكذا: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا ﴾[٥].

ما يستفاد من النص:

الرشد في الآية يعني الهدي والاستقامة، وهي تبين أن اتباع ما أنزله تَعَالَى اسمُهُ هو سبب للهداية، في الأمور العامة والخاصة، والحكم هنا مطلق غير مقيد، أي أن ما يترتب على الاستجابة لله تعالى هو الرشد[٦].

---

(١) يُنْظَرْ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٢/ ٣١٠.

(٢) يُنْظَرْ فَتْح الْقَدِير الْجَامِع بين فني الرواية والدِّرَايَة من علم التفسير. لمُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني. (ت ١٢٥٠هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت): ١/ ١٧٠ .

(٣) يُنْظَرْ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٢/ ٣١٠.

(٤) المحرر الوجيز فِي تفسير الكِتَاب العزيز (المعروف بتفسير ابن عطية). لأبي مُحَمَّد عَبْد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي. (ت ٥٤١هـ). تَحْقِيق: عَبْد اللَّهِ بن إبْرَاهِيم الأنصاري، والسيد عَبْد العال السيد إبْرَاهِيم. الطَبْعَة الأُولَى. مؤسسة دَار الْعُلُوم. الدوحة. ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م: ١/ ٢١٨ .

(٥) يُنْظَرْ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٢/ ٣١٠.

(٦) يُنْظَرْ جامع البيان: ٢/ ١٦٠؛ زاد المسير فِي علم التَفْسِيْر. لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَنِ بن علي

المَطْلَب الثَّانِي

هداية الْقُرْآن الْكَرِيم إلى ا لرشد

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[١] .

مناسبة السورة لما قبلها :

عن وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها - أي سورة نوح - قال السيوطي: " فكرت فيه مدة، فلم يظهر لي سوى أنه سبحانه قال في سورة نوح: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾[٢]. وقال عز وجل في هذه السورة لكفار مكة: ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾[٣]. وهذا بين في الارتباط "[٤] .

واعترض الآلوسي على قوله: " لكفار مكة " بأن الآية عامة وليس هناك من وجه لتخصيصها بكفار مكة، وقال: " ويجوز أن يضم إلى ذلك اشتمال هذه السورة على شيء مما يتعلق بالسماء كالسورة السابقة، وذكر العذاب لمن يعصى الله عزّ وجلّ في قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[٥] .

فإنه يناسب قوله تعالى: ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾[٦] على وجه "[٧] .

=

ابن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي. (ت ٥٩٧هـ). الطَّبْعَة الثالثة. المكتب الإِسْلامِيّ للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤٠٤ هـ - ١٩٩٠م: ١/ ١٨٩؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٢/ ٣١٤ .

(١) سورة الجن: الآيتان ١ - ٢ .

(٢) سورة نوح: الآية ١٠ -١١.

(٣) سورة الجن: الآية ١٦ .

(٤) تناسق الدرر فِي تناسب السور. لجلال الدِّين السيوطي. (ت ٩١١هـ). تَحْقِيق: عَبْد اللَّهِ مُحَمَّد الدرويش. الطَّبْعَة الثانية. دَار عالم الكتب. بَيْرُوْت. لُبْنَان. ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م: ١٤٦.

(٥) سورة الجن: الآية ٢٣ .

(٦) سورة النور: الآية ٢٥ .

(٧) رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٨٣ .

أما أبو حيان فقد قال في ذلك: إنه تعالى لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر والعكوف على عبادة الأصنام، وكان أول رسول إلى أهل الأرض، كما أن مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ آخر رسول إلى أهل الأرض والعرب الذين هو منهم ـ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ كانوا عباد أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء، أو عينها، وكان ما جاء به ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلام ـ هادياً إلى الرشد. وقد سمعته العرب وتوقف عن الإيمان به أكثرهم أنزل الله تعالى سورة الجن، وجعلها أثر سورة نوح تبكيتاً لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، وكانت الجن خيراً منهم، إذ أقبل للإيمان من أقبل منهم، وهم من غير جنس الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى كادوا يكونون عليه لبداً [١].

تحليل الألفاظ :

نَفَرٌ :

النفر في المشهور ما بين الثلاثة والعشرة[٢].

وقال الحريري: إن النفر إنما يقع على الثلاثة من الرجال إلى العشرة[٣].

واعترض عليه أنه قد يطلق على ما فوق العشرة في الفصيح. وقد ذكره غير واحد من أهل اللغة، وفي كلام الشعبي حدثني: بضعة عشر نفراً، ولا يختص بالرجال، بل ولا بالناس لإطلاقه على الجن هنا[٤].

والرهط والنفر يستعمل إلى الأربعين[٥].

---

(١) الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ٣٤٦ .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الْقُرآن الكريم. لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي. (ت ٩٨٢هـ). دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. (د. ت): ٩/ ٤٢ .

(٣) حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٤ .

(٤) روح المعاني: ٢٩/ ٨٣ .

(٥) المفردات: ٢٠٤ .

والفرق بينهما: إن الرهط يرجعون إلى أب واحد بخلاف النفر[١] وقد يطلق على القوم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[٢] أو قول امرئ القيس :

فهو لا تنمي رميته وماله لا عد من نفره[٣]

ونقل الرازي عن الكرماني قوله: للنفر معنى آخر في العرف، وهو الرجل وارداً بالعرف، عرف اللغة، لأنه فسر به الحديث الصحيح[٤] .

الجِنِّ :

الجِنُّ ضد الإنس الواحد جِنِّيٌّ، سميت بذلك لأنها تُتقى ولا تُرى، وأجَنَّ الشيء في صدره: أكنه، واجنَّتِ المرأة ولداً والجَنينُ الولد ما دام في البطن وجمعه أجِنّةٌ، والجُنَّةُ بالضم ما استترت به من سلاح، والجُنة السترة والجمع جُنَنٌ، واسْتَجَنَّ بجنة: استتر بسترة والمِجَنُّ بالكسر الترس وجمعه مَجَانٌّ بالفتح، والجَنَّةُ البستان، ومنه الجَنَانُ بالفتح القلب، والجِنَّةُ الجن أَيْضًا، والجَانُّ: أبو الجن، والجان أيضاً حية بيضاء[٥] .

فهذه المعاني تعود كلها إلى أصل واحد هو الاستتار .

والجن في الصحيح من الأقوال: وهم أجسام عاقلة تغلب عليها النارية[٦]، كما يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾[٧] .

القراءات القرآنية :

أُوحِيَ :

١ ـ قرأ ابن أبي عبلة، والعتكي عن أبي عمرو، وجؤبة بن عائذ الأسدي: (وُحِيَ)[٨] بلا همزة، وهو بمعنى أوحي بالهمز ومنه قول العجّاج :

---

(١) الصحاح: مادة (رهط) .

(٢) سورة الكهف: الآية ٣٤ .

(٣) ينظر ديوان امرئ القيس. تحقيق: مصطفى عبد الشافي. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٨٣ م: ٢٣٤ .

(٤) مفاتيح الغيب: ٨/ ١٣٥ .

(٥) يُنْظَرُ النِّهَايَة فِي غَرِيب الْحَدِيث والأثَر: ١/ ٣٠٨؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (جنن) ١٣/ ٩٨؛ مُخْتَار الصِّحَاح: مادة (جنن) ٤٨ .

(٦) إرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٢ .

(٧) سورة الرحمن: الآية ١٥ .

(٨) المحرر الوجيز: ١٥/ ١٢٨. البحر المحيط: ٨/ ٣٤٦ .

وُحِيَ لَهَا القَرَارُ فَاسْتَقَرَّت[١]

وقرأ زيد بن علي، وجؤبة فيما روى عنه الكسائي، وابن أبي عبلة في رواية: (أُحِيَ)[٢] بإبدال (واو) وحي همزة، كما قالوا في وعد: أعد. قال الزمخشري: وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة. وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً كإشاح، وإعاء، وإسادة[٣].

وهذا أحد قولين للمازني[٤].

والقول الآخر قصر ذلك على السماع، وما ذكره من إطلاق الجواز في المضمومة تعقب بأن المضمومة قد تكون أولاً، وحشواً، وآخراً[٥].

ونقل الشهاب قلب الواو والمضموم ما قبلها، فقال: إنه أيضاً مقيس مطرد، وأنه قد يرد في ذلك في المفتوحة كأحد[٦].

قُرآناً :

قرأ ابن كثير: قُراناً[٧].

الرُّشْدِ :

قرأ عيسى: (الرُّشُد) بضمتين، وعنه أيضاً فتحهما[٨].

بعض الأوجه الإعرابية :

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ :

الجار والمجرور متعلق بما عنده. ونائب الفاعل (أنه) الخ، على أنه في تأويل المصدر، والضمير للشأن[٩].

---

(١) الرجز لرؤبة، ينظر ديْوَان رؤبة: ٢/ ٤٠٨ .

(٢) إعْرَاب القُرآن. لأبي جعفر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إسماعيل النحاس. (ت ٣٣٨هـ). تَحقِيق: د. زهير غازي زاهد. عالم الكتب. مكتبة النهضة العَرَبِيّة. (د. ت.): ٣/ ٥٢٠؛ البحر المحيط: ٨/ ٣٤٦ .

(٣) الكشاف: ٤/ ٦٢٢ .

(٤) الكشاف: ٤/ ٦٢٢؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٣؛ البحر المحيط: ٨/ ٣٤٦ .

(٥) البحر المحيط: ٨/ ٣٤٦ .

(٦) حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٤ .

(٧) إتحاف فضلاء البشر: ٤٢٥ .

(٨) المحرر الوجيز: ١٥/ ١٣٠؛ البحر المحيط: ٨/ ٣٤٨ .

(٩) البحر المحيط: ٨/ ٣٤٨؛ روح المعاني: ٢٩/ ٨٣ .

اسْتَمَعَ :

أي: القرآن، كما ذكر في الأحقاف[١]. وقد حذف لدلالة ما بعده عليه[٢].

وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا :

عن سبب عدم عطف هذه الجملة بالفاء قال الخفاجي: " لأن نفيهم للإشراك، إما لما قام عندهم من الدليل العقلي، فحينئذ لا يترتب على الإيمان بالقرآن، وإما لما سمعوه من القرآن، فحينئذ يكفي في ترتبها عليه عطف الأول بالفاء خصوصاً، والباء في (به) تحتمل السببية، فيعم الإيمان به الإيمان بما فيه، فإنك إذا قلت: ضربته فتأدب وانقاد إلى فهم ترتب الانقياد على الضرب، ولو قلت: فانقاد لم يترتب على الأول، بل على ما قبله[٣].

وقيل: عطفت بالواو، ولتفويض الترتب إلى ذهن السامع. وقد يقال ان مجموع (فآمنا ولن نشرك) مسبب عن مجموع (إنا سمعنا) الخ فكونه قرآناً معجزاً يوجب الإيمان به، وكونه يهدي إلى الرشد يوجب قلع الشرك من أصله والأول أولى. وجوز أن يكون (به) لله عز وجل، لأن قوله سبحانه: (بربنا يفسره)[٤].

المعنى العام :

السورة مكية بالاتفاق[٥].

---

(١) أي قول الله تبارك وتعالى في سورة الأحقاف: الآية ٢٩: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ** ﴾.

(٢) روح المعاني: ٢٩/ ٨٤.

(٣) حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٥.

(٤) يُنْظَرُ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٨٤.

(٥) الكشاف: ٤/ ٦٢٢؛ المحرر الوجيز: ١٥/ ١٢٧؛ مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٣؛ البحر المحيط: ٨/ ٣٤٦؛ اللباب في علوم الكِتَاب. لأبي حفص عُمَر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي. (ت ٨٨٠هـ). الطَبْعَة الأُولَى. تَحْقِيق وتعليق عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض. شارك في تحقيقه: د. مُحَمَّد سعد رمضان حسن، ود. مُحَمَّد المتولي الدُّسُوقي الحرب. منشورات مُحَمَّد علي. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٩٩٨م: ١٩/ ٤٠٤؛ إرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٢؛ حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٤.

ولقد اتفق حضور نفر من الجن في بعض أوقات قراءة النَّبِيّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ للقرآن فسمعوها، فأخبر الله به رسوله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فقالوا لما رجعوا إلى قومهم: إنا سمعنا(قرآناً) أي: كتاباً وفسر بذلك للإشارة إلى ما ذكروه في وصفه مما يأتي له كله دون المقروء منه فقط. والمراد أنه من الكتب السماوية. والتنوين للتفخيم أي: قرآنا جليل الشأن[١].

(عجباً) بديعاً مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه، وهو مصدر وصف به للمبالغة [٢].

(يهدي إلى الرشد) إلى الحق والصواب[٣].

وقيل: إلى التوحيد والإيمان[٤].

(فآمنا به) بذلك القرآن من غير ريب، (ولن نشرك بربنا أحداً) على ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد، أو حسبما نطق به الدلائل العقلية على التوحيد[٥].

---

(١) يُنْظَرُ حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٥ .

(٢) يُنْظَرُ معالم التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر البغوي). لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (ت ٥١٦هـ(. تَحْقِيق: خالد العك، ومروان سوار. الطَبْعَة الثانية. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م: ٤/ ٤٠١؛ أنوار التنزيل: ٥/ ٣٩٧؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٤/ ٤٢٩؛ إرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٢؛ تَفْسِيْر الجلالين. لمُحَمَّد بن أَحْمَد المحلي (ت ٨٦٤هـ(، وعَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ السيوطي. (ت ٩١١هـ(. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الْحَدِيث. القاهرة. (د. ت): ٧٧٠؛ فتح القدير: ٥/ ٣٠٧ .

(٣) مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٩؛ إرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٢ .

(٤) مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٩ .

(٥) يُنْظَرُ معالم التنزيل: ٤/ ٤٠١؛ زاد المسير: ٨/ ٣٧٧؛ مدارك التَّنْزِيل وحقائق التأويل، المعروف بتَفْسِيْر النسفي. لعَبْد اللَّهِ بن أَحْمَد بن محمود النسفي. (ت ٧١٠هـ(. دَار الكِتَاب العَرَبِيّ. طبع بهامش تَفْسِيْر الخازن. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. لُبْنَان. (د. ت.): ٤/ ٢٨٦؛ أنوار التنزيل: ٥/ ٣٩٧؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٤/ ٤٢٩؛ إرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٢؛ حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٥؛ فتح القدير: ٥/ ٣٠٧ .

واختلف المفسرون في عدد المستمعين على قولين :

قال زر بن حبيش[١]: سبعة، ثلاثة من أهل حران[٢]، وأربعة من أهل نصيين[٣] قرية باليمن غير القرية التي بالعراق[٤] .

وقال عكرمة: أنهم كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل[٥] .

وبين القولين تباين كبير، عللـه بعضهم أن النفر كانوا من علية القوم[٦] .

وفي الكشاف كانوا من الشيصبان[٧]، وهم أكثر الجن عدداً وعامة جنود إبليس منهم[٨] .

واختلف المفسرون أَيْضًا فيما استمعه الجن من القرآن على قولين :

قال: عكرمة: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[٩] .

---

(١) هو زر بن حبيش بن خباشة أبو مريم الأسدي الكوفي أحد الأعلام عرض على ابن مسعود وعثمان وعلي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ وعرض عليه عاصم والأعمش وغيرهما، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية وقد وثقه ابن معين توفي سنة ٨٢ هـ. ينظر طبقات الْقُرَّاء، شمس الدِّين أبو الخير مُحَمَّد بن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٢هـ .عني بنشره: ج، براجستراسر، طبع لأول مرة، ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢م: ١ / ٢٩٤ .

(٢) حران: بتشديد الراء، وهي مدينة عظيمة مشهورة، وهي قصبة بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. يُنْظَرْ: مُعْجَم الْبُلْدَان، لأبي عَبْد اللَّه شهاب الدِّين يَاقُوت بن عَبْد اللَّه الحموي الرُّومِيّ البَغْدَادي، (ت ٦٢٦هـ(، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، (د. ت): ٢/ ٢٣٥ .

(٣) نصيبين: بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح، والأكثر يجعلونها بمنزلة ما لا ينصرف من الأسماء، والنسبة إليها نصيبي ونصيبيني، وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. الْمَصْدَر نَفْسِه: ٥/ ٢٨٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٤؛ البحر المحيط: ٨/ ٣٤٧ .

(٥) البحر المحيط: ٨/ ٣٤٧ .

(٦) رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٨٤ .

(٧) الشَّيْصَبَان: الذَّكَرُ من النَّمْل، ويقال: هو جُحْر النَّمل. وقالوا هو: الشَّيْطان الرَّجِيمُ. وهو من أَسماءِ الشَّيْطانِ. والشَّيْصَبان: أَبُو حيّ من الجِنِّ. يُنْظَرْ: لِسَان العَرَب: مَادَةُ (شصب) ١/ ٤٩٥ .

(٨) الكشاف: ٤/ ٦٢٣ .

(٩) سورة العلق: من الآية ١ .

وقيل: سورة الرحمن[١] .

والراجح هو القول الثاني، إذْ يؤيده ما روي عن رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ أنه قال لأصحابه حين قرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: ((لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[٢] قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب))[٣] .

ما يستفاد من النص:

في هاتين الآيتين جملة من الفوائد التي يمكن الوقوف عليها، وسأشير إلى أهمها بإيجاز :

أوّلاً ـ حقيقة الجن :

اختلف العلماء في حقيقة الجن وماهيتهم، على أقوال :

قيل: الجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية .

وقيل: نوع من الأرواح المجردة .

وقيل: نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها[٤] .

وقد ترى بصور غير صورها الأصلية، بل وبصورها الأصلية التي خلقت عليها كالملائكة ـ عليهم السلام ـ. وهذا للأنبياء ـ صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ـ، ومن شاء الله تعالى من خواص عباده عز وجل ولها قوة على الأعمال الشاقة، ولا مانع عقلاً من أن تكون بعض الأجسام اللطيفة النارية مخالفة لسائر أنواع الجسم اللطيف في الماهية ولها قبول لإفاضة الحياة والقدرة على أفعال عجيبة مثلاً[٥] .

---

(١) البحر المحيط: ٨/ ٣٤٦

(٢) سورة الرحمن: الآية ١٣ وغيرها .

(٣) سُنَن التِّرْمِذِيّ: ٥/ ٣٣٩ رقم (٣٢٩١) وقال الترمذي: حديث غريب .

(٤) يُنْظَرُ معالم التنزيل: ٤/ ٤٠١؛ زاد المسير: ٨/ ٣٧٧؛ مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٣؛ مدارك التنزيل: ٤/ ٢٨٦؛ أنوار التنزيل: ٥/ ٣٩٧؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٤/ ٤٢٩؛ روح المعاني: ٢٩/ ٨٤؛ فتح القدير: ٥/ ٣٠٧ .

(٥) يُنْظَرُ روح المعاني: ٢٩/ ٨٤؛ حَاشِيَة الشيخ محيي الدِّين أَحْمَد القنوجي. والمسمى حَاشِيَة الشيخ

وأكثر الفلاسفة على إنكار الجن[١].

ونقل الرازي عن ابن سينا قوله: " الجني حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة. وهذا شرح الاسم، وظاهره نفي أن يكون لهذه الحقيقة وجود في الخارج "[٢].

ونفي ذلك كفر صريح، كما لا يخفى[٣].

وبعض الفلاسفة وأصحاب الروحانيات يعترف بوجودهم ويسمونهم بالأرواح السفلية[٤].

والمشهور عندهم أن الجن جواهر قائمة بأنفسها ليست أجساماً، ولا جسمانية، وهي أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض فبعضها خيرة وبعضها شريرة، ولا يعرف عدد أنواعها وأصنافها إلا الله عز وجل، وعلى هذا أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة يعجز عنها البشر، بل لا يبعد أيضاً ـ على ما قيل ـ أن يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم، وزعم بعضهم أن الأرواح البشرية والنفوس الناطقة، إذا فارقت أبدانها ازدادت قوة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانية فإذا اتفق حدوث بدن آخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن تعلقت النفس به تعلقاً ما، وتصير كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن، فإن هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكاً وتلك الإعانة إلهاماً، وأن اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين

=

زاده عَلَى تَفْسِيْر البيضاوي. (ت ١٣٠٧هـ). المطبعة السلطانية. الإستانة ١٢٨٣هـ: ٣/ ٥٥٣.

(١) مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٦؛ حاشية زاده: ٣/ ٥٥٣ .

(٢) مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٣ .

(٣) مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٣؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩ / ٨٤ .

(٤) آكام المرجان في أحكام الجان. لبدر الدين الشبلي. (ت ٧٦٩ هـ). مطبعة ديانا. بغداد ١٩٨٨م. وقد طبع مؤخراً باسم (غرائب الجان) وتعقبه الإمام السيوطي فأضاف إليه ونقح فيه، وسمى كتابه (لقط المرجان في أحكام الجان): ١٩ –٢٦ .

شيطانا، وتلك الإعانة وسوسة[١].

وكل هذه الأقوال مخالف لظاهر الآيات والأحاديث، وجمهور العلماء معترفون بوجودهم، وأن اختلفوا في حقيقتهم[٢].

ثانيًا ـ رؤية رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ للجن :

الآية ظاهر في أنه ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة. وقد وقع في عددٍ من الأحاديث أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رآهم، وجمع ذلك بتعدد القصة قال في آكام المرجان ما محصله[٣] في الصحيحين في حديث ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: ((ما قرأ رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ على الجن، ولا رآهم، وإنما انطلق بطائفة من الصحابة به لسوق عكاظ. وقد حيل بين الجن والسماء بالشهب، فقالوا: ما ذاك إلا لشيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فمر من ذهب لتهامة منهم به ــ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يصلي الفجر بأصحابه بنخلة، فلما استمعوا له قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين السماء ورجعوا إلى قومهم، وقالوا: ﴿ يَا قَوْمَنَا ﴾[٤] الخ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿قُلْ أُوحِيَ ﴾ إلخ، ثم قال: ونفي ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ إنما هو في هذه القصة، واستماعهم تلاوته ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ في الفجر في هذه القصة لا مطلقا ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾[٥] إلخ، فإنها تدل على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كلمهم ودعاهم وجعلهم رسلاً لمن عداهم[٦].

وروى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ عن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ قال: ((أتاني داعي الجن فذهبت معه

---

(١) يُنْظَرُ مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٣؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٨٤؛ حاشية زاده: ٣/ ٥٥٤.

(٢) ينظر مفاتيح الغيب: ٨/ ٣١٣؛ آكام المرجان: ١٩ -٢٦؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٨٤ .

(٣) آكام المرجان: ٦٨.

(٤) صحيح البخاري: ١/ ٢٦٧ رقم (٧٣٩)؛ صحيح مسلم: ١/ ٣٣١ رقم (٤٤٩). الدُّرّ المنثور. لعَبْد الرَّحْمَنِ بن الكمال جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطي. (ت ٩١١هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٩٩٣م: ٧/ ٢٩٦- ٢٩٧ .

(٥) سورة الأحقاف: الآية ٢٩ .

(٦) حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٥ .

وقرأت عليهم القرآن. قال: وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم))[١] إلخ.

وقد دلت الأحاديث، على أن وفادة الجن كانت ست مرات. وقال ابن تيمية: إن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ علم ما دلّ عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود، وأبو هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ من إتيان الجن له ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ومكالمتهم إياه ـ عليه الصلاة والسلام ـ[٢].

وقصة الجن كانت قبل الهجرة بثلاث سنين. وقال الواقدي: " كانت سنة إحدى عشرة من النبوة، وابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ ناهز الحلم في حجة الوداع، فقد علمت أن قصة الجن وقعت ست مرات[٣].

وروي من طرق شتى عن ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ: ((أن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ صلى العشاء، ثم انصرف فأخذ بيدي حتى أتينا مكان كذا فأجلسني وخط علي خطاً، ثم قال: لا تبرحن خطك فبينما أنا جالس، إذ أتاني رجال منهم كأنهم الزط))' فذكر حديثاً طويلاً، ((وأنه ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ما جاءه إلى السحر، قال: وجعلت أسمع الأصوات، ثم جاء ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فقلت: أين كنت يا رسول الله ؟ فقال: أرسلت إلى الجن، فقلت: ما هذه الأصوات التي سمعت؟ قال: هي أصواتهم حين ودعوني وسلَّموا عليَّ))[٤].

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ٣٣٢ رقم (٤٥٠)؛ مُسْنَد أَحْمَد بن حنبل. لأبي عَبْد اللَّهِ أَحْمَد بن حنبل الشَّيْبَانِيّ. (ت ٢٤١هـ). شرحه ووضع فهارسه: أَحْمَد مُحَمَّد شاكر. دَار المعارف للطباعة والنشر بمصر. ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م: ١/ ٤٣٦؛ سنن الترمذي: ٥/ ٣٨٢؛ السنن الكبرى للنسائي: ٦/ ٤٩٩ رقم (١١٦٢٣)؛ صَحِيح ابْن حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان. لأبي حاتم مُحَمَّد بن حِبَّانَ بن أَحْمَد التميمي البستي. (ت ٣٥٤هـ). تَحْقِيق: شعيب الأرناؤوط. الطَبْعَة الثانية. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م: ١٤/ ٢٣٥ رقم (٦٣٢٠)؛ السُنَن الكُبْرَى. لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن الحسين بن علي بن موسى البَيْهَقي. (ت ٤٥٨هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد عَبْد القادر عطا. مكتبة دَار الباز. مكة المكرمة. ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م: ١/ ٦٦.

(٢) مَجْمُوْع الْفَتَاوَى. لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني. (ت ٧٢٨هـ). دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. (د. ت): ١٩/ ٣٨.

(٣) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي. (ت ٢٧٥ هـ). تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش. الطبعة الثانية. دار خضر. بيروت. ١٤١٤هـ: ٤/ ٢٤.

(٤) سنن الترمذي: ٥/ ١٤٥، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب؛ الْبَحْر الزَّخَّار =

وقد يجمع الاختلاف في القلة والكثرة بأن ذلك لتعدد القصة أيضاً.

ثَالِثًا ـ هداية الْقُرْآن الْكَرِيم :

لقد نطق الجن بالحكم عن فهم بيّن، وعن عقول ذكية في استماع آيات في مقام واحد، فدعوا إلى إجابة الله عز وجل، وأملوا المغفرة والنجاة من العذاب الأليم، وأخبروا أنه من أعرض عما تلا نبيه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ من كلام ربه عز وجل لا يعرف الله، وأن مصيره إليه هذا الأدب والفهم من استماع آيات في مقام واحد في أقل من ساعة، فكيف بمن وعى القرآن كله من صغره ويكرر تلاوته، ويتكرر منه سماعه دون أن يكون هادياً وواعظاً له[1] ؟

المَطْلَب الثَّالِث

هداية الصالحين إلى الرشد

قال جَلَّ شَأْنُه: ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾[2] .

من الضروري الوقوف على مضمون الآيات التي سبقت هذه الآية والتي تحكي قصة موسى مع العبد الصالح (الخضر) ـ عَلَيْهِمَا السَّلام ـ قبل الاسترسال في تحليل هذه الآية ودراستها .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ**

=

المعروف بـ(مُسْنَد البزار). لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن عمرو بن عَبْد الخالق البزار. (ت ٢٩٢هـ). تَحْقِيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. الطَبْعَة الأُولَى. مؤسسة علوم الْقُرْآن. بيروت، ومكتبة الْعُلُوم والحكم. المدينة. ١٤٠٩هـ. لأبي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار. (ت ٢٩٢ هـ). تحقيق: د. محفوظ أحمد زين الله. الطبعة الأولى. موسوعة علوم القرآن ـ مكتبة العلوم والحكم، بيروت ـ المدينة. ١٤٠٩هـ ٥/ ٢٧١ .

(١) فهم الْقُرْآن ومعانيه. لأبي عَبْد اللَّهِ الحارث بن أسد بن عَبْد اللَّهِ المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) تَحْقِيق: حسين القوتلي. الطَبْعَة الثانية. دَار الكندي، ودَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٩٨هـ: ٣٢٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٦ .

مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[1] .

ملخص الآيات :

يخبر الله تعالى عن نبيه موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ شدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه، أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو (يوشع بن نون) الذي نبأه الله بعد ذلك: ﴿ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾، أي: لا أزال مسافراً وإن طالت علي الشقة ولحقتني المشقة حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبداً من عباد الله العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك. ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾، أي: مسافة طويلة. والمعنى: أن الشوق والرغبة حملا موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ أن قال لفتاه هذه المقالة. وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه[2] .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا ﴾، أي: هو وفتاه ﴿ مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ وكان معهما حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وُعِدَ أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت سبيله، أي: طريقه في البحر سرباً وهذا من المعجزات. قال المفسرون: إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حياً .

---

(١) سورة الكهف: الآيات ٦٠ - ٦٦ .

(٢) يُنْظَرُ الوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز. لأبي الْحَسَن علي بن أَحْمَد الواحدي(ت ٤٦٨هـ(تَحْقِيق: صفوان عدنان داوودي. الطَبْعَة الأُولَى. دَار القلم، والدار الشامية. دمشق، وبَيْرُوْت. ١٤١٥هـ: ٥/ ٢٣٢؛ مَعَالِم التَّنْزِيل: ٣/ ١٧١؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١١/ ١٠؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٣/ ٩٣ .

فلما جاوز موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه: ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾، أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل، الذي وصلا به إلى مجمع البحرين، لم يجدا من التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ على وجود مطلبه[1].

وأيضاً، فإن الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا غايتهما وجدا مسّ التعب. فلما قال موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ لفتاه هذه المقالة قال له فتاه:

﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾، لأنه السبب في ذلك ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾، أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه كان ذلك من العجائب. كان ذلك المسلك للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً. فلما قال له الفتى هذا القول[2] ــ وكان عند موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وعد من الله أنه إذا فقد الحوت وجد الخضر، فقال موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ :

﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾، أي: نطلب ﴿ فَارْتَدَّا ﴾، أي: رجعا ﴿ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾، أي: رجعا يقصان أثرهما الذي نسيا فيه الحوت. فلما وصلا إليه، وجدا عبداً من عبادنا ـ وهو الخضر ـ وكان عبداً صالحاً لا نبياً على الصحيح .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾، أي: أعطاه الله رحمة خاصة، بها زاد علمه، وحسن عمله ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾، أي: من عندنا ﴿ عِلْمًا ﴾[3].

---

(١) يُنْظَرُ جَامِع الْبَيَان: ١٥/ ٢٧١؛ مَدَارِك التَّنْزِيل: ٣/ ١٧١؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٥/ ٤٠٩؛ إِرْشَاد الْعَقْل السَّلِيم: ٥/ ٢٢٢ .

(٢) يُنْظَرُ جَامِع الْبَيَان: ١٥/ ٢٧١؛ الْوَجِيز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز: ٥/ ٢٣٢؛ مَعَالِم التَّنْزِيل: ٣/ ١٧١؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١١/ ١٠؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٣/ ٩٣؛ مَدَارِك التَّنْزِيل: ٣/ ١٧١؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٥/ ٤٠٩؛ إِرْشَاد الْعَقْل السَّلِيم: ٥/ ٢٢٢ .

(٣) يُنْظَرُ الْوَجِيز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز: ٥/ ٢٣٢؛ مَعَالِم التَّنْزِيل: ٣/ ١٧١؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١١/ ١٠؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٣/ ٩٣.

وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ، وإن كان موسى ـ عليه السلام ـ أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من المرسلين الذين فضلهم الله على سائر الخلق بالعلم والعمل وغير ذلك.

فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة والإخبار عن مطلبه :

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾، أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحق في تلك القضايا ؟ وكان الخضر قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت حتى على موسى ـ عليه السلام ـ[(١)].

القراءات القرآنية :

تُعَلِّمَنِ :

١. قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: (تعلَمني) وصلاً[(٢)].
٢. قرأ ابن كثير، ويعقوب: (تعلّمني) وصلاً ووقفاً[(٣)].

رُشْدًا :

١. قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والحسن، واليزيدي، والزهري، وأبو بحرية، وابن محيصن، وابن مناذر وابو عبيد (رَشَداً)[(٤)].
٢. قرأ ابْن عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ، وابن عامر، وابن ذكوان (رَشَداً)[(٥)].

---

(١) جَامِع الْبَيَان: ١٥/ ٢٧١؛ الْوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز: ٥/ ٢٣٢؛ مَعَالِم التَّنْزِيل: ٣/ ١٧١؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١١/ ١٠؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٣/ ٩٣؛ مَدَارِك التَّنْزِيل: ٣/ ١٧١؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٥/ ٤٠٩ .

(٢) السبعة فِي القراءات: ٣٩١؛ التيسير فِي القراءات السبع: ١٤٧؛ النشر فِي القراءات العشر: ٢/ ٣١٦ .

(٣) الكَشْف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. لمُحَمَّد بن أَبِي طالب القيسي. (ت ٤٣٧هـ). تَحْقِيق: د. محيي الدِّين رمضان. بَيْرُوْت. لُبْنَان. ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م: ٢/ ٨٢.

(٤) غيث النفع فِي القراءات السبع. لعلي النوري الصفاقسي. (ت ١١١٨هـ). مطبوع بذيل كِتَاب سراج القاري الْمُبْتَدِي و تذكار المقرئ المنتهي. الطَبْعَة الأُولَى. المكتبة التجارية الكُبْرَى بمصر ١٣٥٢هـ – ١٩٣٤م: ٢٨١ .

(٥) حجة القراءات: ٢٢٦؛ التِّبْيَان. لأبي جعفر مُحَمَّد بن الْحَسَن بن علي الطُّوْسي. (ت ٤٦٠ هـ). =

بعض الأوجه الإعرابية :

رُشْدًا :

مفعول لأجله، اي: لأجل الرشاد، أو مصدر في موضع نصب على الحال[١] .

ما يستفاد من النص:

أَوَّلاً ـ التواضع في طلب العلم :

لا ينافي نبوة موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره، ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليهم فيما بعث به من أصول الدين وفرعه لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب، فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعاً له، وسأل منه أن يرشده، وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله به عليه[٢] .

ثَانِيًا ـ الخضر هو العبد الصالح :

صح في البخاري وغيره أن العبد الصالح في السورة هو الخضر، وقد جاء ذلك في حديث طويل فسَّر فيه الرَّسُول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قصة الخضر مع موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ[٣] .

أما عن سبب تسميته بالخضر فقد روى أبو هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ عن النَّبِيّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قال: ((إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء))[٤] .

وضبط لفظ الخضر بكسر الخاء مع سكون الضاد، وبفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها، ففيه ثلاث لغات، وكتبه أبو العابس، واسمه أيليا، وهو من نسل نوح ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وكان أبوه من الملوك[٥] .

=

تَحْقِيق: أَحْمَد حبيب قصير العاملي. دَار الأندلس للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت): ٧/ ٦٢ .

(١) إِعْرَاب الْقُرآن الكَرِيم وبَيَانُه. لمحيي الدِّين درويش. الطَّبْعَة السابعة. دَار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق ـ بَيْرُوْت. ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م: ٤/ ٥١٩ .

(٢) يُنْظَرُ أَنوَار التَّنْزِيل: ٣/ ٥١١ .

(٣) صَحِيح الْبُخَارِيِّ: ٤/ ١٧٥٢ رقم (٤٤٤٨) .

(٤) صَحِيح الْبُخَارِيِّ: ٣/ ١٢٤٨ رقم (٣٢٢١) .

(٥) يُنْظَرُ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١١/ ١٥؛ أَنوَار التَّنْزِيل: ٣/ ٥١١؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٣/ ٩٤ .

المَبْحَث الثَّاني

إيناس الرشد

اشترط الْقُرآن الْكَريم إيناس الرشد في اليتامى لدفع الأموال إليهم لضمان الحقوق المالية والحفاظ عليها، وعدم التعدي على ملكية الآخرين وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿ **وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾[1].

تحليل الألفاظ:

وَابْتَلُوا:

بلوته: اخْتَبَرْتهُ كأَنِّي أَخلقْتُهُ من كثْرةِ اختباري له، وقيل: أَبْلَيْتُ فُلاناً إذا اخْتَبَرْتَهُ، وسُمِّيَ الغَمُّ بَلاءً من حَيْثُ إِنَّهُ يُبلِي الْجِسْمِ، وسُمِّيَ التَّكليفُ بلاءً مِنْ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا ـ أَنَّ التَّكَاليفَ كلَّهَا مشاقٌّ عَلَى الأبْدَانِ، فَصَارَتْ مِنْ هذَا الوجه بلاءً.

والثاني ـ أنها اخْتِبَاراتٌ، ولهذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ** ﴾[2].

والثالثُ ـ أنّ اخْتِبارَ اللّه تعالى لِلْعبادِ تارَةً بالمسارِّ ليَشْكُرُوا، وتارةً بالمضارِّ ليَصْبِرُوا، فصارَت المِحْنَةُ والمِنْحَةُ جميعاً بلاءً، فالمِحْنَةُ مُقْتَضِيَةٌ لِلصَّبْرِ، والمِنْحَةُ مُقْتَضِيَةٌ للشُّكْرِ[3].

آنَسْتُمْ:

الإِنْسُ: خِلافُ النُّفُورِ، والإِنْسِيُّ مَنْسُوبٌ إلى الإِنس، يُقالُ ذلك لَمَنْ كَثُرَ أُنْسُهُ، ولكلِّ مَا يُؤْنَسُ بِه ولهذا قِيلَ: إِنْسِيُّ الدَّابَّةِ للجَانِبِ الذي يَلِي الرَّاكِبَ، وإِنْسِيُّ الْقَوْسِ للجانبِ الذي يُقْبِلُ عَلَى الرامِي. والإِنْسِيُّ مِنْ كلِّ شيءٍ مَا يَلِي الإِنسانَ والوَحْشِيُّ مَا يلي الجانبَ الآخرَ له، وقولُه عزَّ وجلّ هنا: ﴿ **فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا** ﴾[4]، أي: أبصرتُمْ أُنساً به، وآنَسْتُ ناراً[5].

---

(١) سورة النساء: الآية ٦ .

(٢) سورة مُحَمَّد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ: من الآية ٣١ .

(٣) يُنْظَرُ الْمُفْرَدَات:؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (بلا) ١٤/ ٨٣.

(٤) سورة النساء: من الآية ٦ .

(٥) يُنْظَرُ الْمُفْرَدَات:؛ مَجْمَع الْبَحْرَيْن: مادة (أنس) ١/ ١١٩ .

وأَصْل الاسْتِئْنَاس: " النَّظَرُ مِنْ بُعدِ مَعَ وَضْعِ اليدِّ عَلَى العَينِ إِلَى قَادِمْ ونَحْوِهِ مِمَّا يُؤنَسُ بِهِ، ثمّ عمّ فِي كَلامِهِم قَالَ الشَّاعِرُ :

آنَسَتْ نَبأةً وأفزعَها القُـ ـنَّاصُ عَصْراً وقد دَنَا الإمساءُ[١]

ثمّ أستعير للتبين، أي: علم الشيء بيّناً "[٢].

وقيل: إن أصله الإبصار مطلقاً، وأنّه أخذ من إنسان العين، وهو حدقتها التي يبصر بها، وهو هنا محتمل، لأنَّ يراد منه المعنى المجازي أو المعنى الحقيقي[٣].

إِسْرَافًا :

السَّرَفُ: تَجَاوُزُ الحَدِّ فِي كُلِّ فعْلٍ يَفْعَلُهُ الإنْسَانُ، وإنْ كانَ ذلك في الإنْفَاقِ أشْهَرَ[٤].

وَبِدَارًا :

أي مُسَارَعَةً، يُقَالُ: بَدَرْتُ إليهِ وبَادَرْتُ، ويُعَبَّرُ عَنِ الْخَطإِ الّذِي يقعُ عن حِدَّةٍ بَادِرَةٌ، يُقَالُ: كانَتْ مِنْ فُلانٍ بَوَادِرُ فِي هذَا الأمْرِ. والبدْرُ سُمِّيَ بِذلِكَ لِمُبَادَرَتِهِ الشَّمْسَ بِالطُّلُوعِ، وقيلَ: لامْتِلائِهِ تشبيهاً بِالبَدْرَةِ[٥].

فَلْيَسْتَعْفِفْ :

العِفّةُ: حُصولُ حالةٍ لِلنَّفس تمْتَنع بها عنْ غَلَبَةِ الشَّهوةِ، وَالْمُتَعَفِّفُ الْمُتعاطى لذلكَ بضرْبٍ مِنَ الْمُمَارَسَةِ وَالقهرْ، وأصلُه الاقتصارُ عَلَى تَنَاوُلِ الشيءِ القليل الجَاري مَجْرَى العُفافةِ، والعُفَّة، أي: البقِيَّة من الشيءِ، والاستِعفافُ طلَبُ العِفّةِ كَمَا فِي هَذِه الآيةِ[٦].

---

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري، وهو من معلقته، ينظر ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، نشر كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢. ونشره هاشم الطعان ـ بغداد، ١٩٦٩: ٨ .

(٢) ينظر حاشية الشهاب: ٣/ ١٠٦.

(٣) رُوح المَعَاني: ٤/ ٢٠٥ .

(٤) الْمُفْرَدَات:؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (سرف) ٩/ ١٤٩ .

(٥) الْمُفْرَدَات:؛ الْقَامُوس الْمُحِيط: مادة (بدر) ١/ ٣٦٩؛ تَاج العَرُوْس: مادة (بدر) ٣/ ٣٣ .

(٦) يُنْظَرُ الْمُفْرَدَات:؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (عفف) ٩/ ٢٥٣؛ تَاج العَرُوْس: مادة (عفف) ٦/ ٢٠٢ .

القراءات القرآنية :

آنَسْتُم :

١. قرأ عَبْد اللَّـهِ بْـنِ مَسْـعُودٍ ـ رَضِـيَ اللهُ عَنْـه ـ (أَحَسْـتُمْ)، وقـرأ أَيْضًـا: (أحسيتم)[١].

واصـل (أَحَسْـتُمْ): أحسسـتم بسـينين نقلـت حركـة الأولى إلى لحـاء وحـذفت لالتقـاء السـاكنين إحـداهما علـى غـير القيـاس[٢]. وقيـل: إنهـا لغـة سـليم، وأنّهـا مطـردة في عـين كـل فعـل مضـاعف أتصـل بهـا تـاء الضـمير، أو نونه[٣]، كما في قول أبي زبيد الطائي:

قال الشاعر :

خلا أَنّ العِتاقَ مِنَ المطايا أحسن به فهُنَّ إليه شُوس[٤]

٢. وقرئ ـ دون نسبة ـ (أنستم)[٥].

رُشْدًا :

١. قرأ عَبْد اللَّـهِ بْـنِ مَسْـعُودٍ ـ رَضِـيَ اللهُ عَنْـه ـ، وعيسـى الثقفـي، وأبـو عَبْد الرَّحْمَن السلمي، وأبو السمال: (رَشَداً)[٦].

---

(١) يُنْظَـرُ مَعَـانِي الْقُـرآن للفَـرَّاء: ١/ ٢٥٧؛ الْمُحْتَسَـب فِـي تبـيين وجـوه شـواذ القـراءات والإيضَـاح عنهـا. لأبـي الفَـتْح عُثمـان بـن جِنِّـي. (ت ٣٩٢هـ). تَحْقِيـق: علـي النجـدي ناصـف، والـدكتور عَبْـد الحليم النجـار، والـدكتور عَبْـد الفتـاح إسماعيـل شـلبي. الطَبْعَـة الأُولَـى. لجنـة إحْيَـاء التُـرَاث الإِسْـلامِيّ. القـاهرة. ١٩٦٦م: ٢/ ٨؛ الْكَشَّـاف: ١/ ٢٤٨؛ مَجْمَـع الْبَيَـان فِـي تَفْسِـيْر الْقُـرآن المعـروف بـ(تَفْسِـيْر الطَّبْرِسِـي). لأبـي علـي الْفَضْـل بـن الْحَسَـن بـن الْفَضْـل الطَّبْرِسِـي الطُّوسـي السَّـبْزَوَاري. (ت ٥٤٨هـ). تصَـحِيْح وتعليـق: هاشـم الرسـولي، وفضـل الله الطباطبـائي اليَـزْدِي. الطَبْعَـة الأُولَـى. شركة المعارف الإِسْلامِيّة. إِيْرَان. ١٣٧٩هـ: ٢/ ٨؛ مَفَاتِيح الْغَيْب: ٣/ ١٤٥ .

(٢) البحر المحيط: ٣/ ١٧٢.

(٣) البحر المحيط: ٣/ ١٧٢. حاشية الشهاب: ٣/ ١٠٦ .

٤) وروي بلفظ :

خلا أَنّ العِتاقَ مِنَ المطايا حَسِنَ به فهُنَّ إليه شُوسُ

وحسست الشيء: إذا علمته وعرضته، والشوس: جمع شوساء، وهي التي تنظر بمؤخر عينها .

ينظر شعر أبي زبيد الطائي، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، بغداد، ١٩٦٨: ٩٦ .

(٥) جَامِع الْبَيَان: ٧/ ٥٧٥ .

(٦) إِعْـرَاب الْقُـرآن للنَّحَّـاسِ: ١/ ٣٩٦؛ الْكَشَّـاف: ١/ ٢٤٨؛ الْجَـامِع لأَحْكَـام الْقُـرآن: ٥/ ٣٧؛ =

٢. قرأ الحسن: (رُشُداً)[١] .

وهما بمعنى رشدا. وقيل: الرشد بالضم في الأمور الدنيوية والأخروية، وبالفتح في الأخروية لا غير، والراشد والرشيد يقال فيهما[٢] .

إِلَيْهِمْ :

قرئ ـ دون نسبة ـ (إِلَيْهُمْ)[٣] .

عَلَيْهِمْ :

قرئ ـ دون نسبة ـ (عَلَيْهُمْ)[٤] .

بعض الأوجه الإعرابية :

حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ :

(حتى) في الآية هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله:

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان[٥] .

وتسمى ابتدائية في ذلك، ولا يذهب منها معنى الغاية، كما نص عليها النحويون[٦]، وذكره الكثير من الأصوليين[٧]، وما بعدها جملة شرطية

=

الْبَحْر الْمُحِيط: ٣/ ١٧٢ .

(١) الْكَشَّاف: ١/ ٢٤٨؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٥/ ٣٧؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٣/ ١٧٢ .

(٢) ينظر الكشاف: ١/ ٥٠١؛ مفاتيح الغيب: ٢/ ٢٠٥؛ البحر المحيط: ٣/ ١٧٢؛ حاشية الشهاب: ٣/ ١٠٦.

(٣) إِتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ١٨٦.

(٤) الْمَصْدَر نَفْسِه: ١٨٦ .

(٥) البيت لامرئ القيس، ينظر ديوانه :٩٣ .

(٦) ينظر مَعَانِي الْقُرْآن وإِعْرَابه. لأبي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن السري بن سهل الزجاج. (ت ٣١١هـ). الطَبْعَة الأُولَى. تَحْقِيق عَبْد الجَلِيل عبده شلبي. عالم الكتب. بَيْرُوْت. ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م: ٢/ ١٠؛ معاني القرآن للأخفش: ١١٧؛ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية. للإمام جلال الدين السيوطي. (ت ٩١١ هـ). دار المعرفة. بيروت. ١٣٢٧ هـ مصورة عن الطبعة الأولى، بولاق، مصر. (د. ت.): ٢/ ١٢؛ حاشية الشهاب: ٣/ ١٠٦ .

(٧) يُنْظَرُ الإحكام في أُصُوْل الأحكام. لأبي الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد الآمدي. (ت ٦٣١ هـ). تحقيق د. سيد الجميلي. الطبعة الأولى. دار الكِتَاب العربي. بيروت. ١٤٠٤ هـ: ١/ ٣٩. البحر المحيط: ٣/ ١٧١.

جعلت غاية للابتداء، وفعل الشرط (بلغوا) وجوابه الشرطية الثانية[١] .

وبيان ذلك أنّه إذا توالى شرطان فأكثر كقولك: إن جئتني إن وعدتك أحسنت إليك، فأحسنت إليك جواب إن جئتني، واستغنى به عن جواب إن وعدتك[٢] .

وزعم ابن مالك: إن الشرط الثاني مقيد للأول بمنزلة الحال، وكأنّه قيل: إن جئتني في حال وعدي لك[٣] .

والصحيح في هذه المسألة أن الجواب للأول، وجواب الثاني محذوف لدلالة الشرط الأول وجوابه عليه، فإذا قلت: إن دخلت الدار، إنْ كلمت زيداً، إنْ جاء إليك، فأنت حر. فأنت حر جواب إنْ دخلت، وإنْ دخلت وجوابه دليل جواب إنْ كلمت، وإنْ كلمت وجوابه دليل جواب إنْ جاء، والدليل على الجواب جواب في المعنى، والجواب متأخر فالشرط الثالث مقدم، وكذا الثاني، فكأنه قيل: إن جاء، فإنْ كلمت، فإنْ دخلت فأنت حر، فلا يعتق، إلاّ إذا وقعت هكذا مجيء، ثمّ كلام، ثمّ دخول[٤] .

وترتب على هذا الخلاف اللغوي، خلاف فقهي سأشير إليه لاحقاً إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/ ١٠؛ معاني القرآن للأخفش: ١١٧ .

(٢) تسهيل الْفَوَائِد وتكميل المقاصد. لمُحَمَّد جمال الدِّين بن مالك. (ت ٦٧٢هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد كامل بركات. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكِتَاب العَرَبِيّ للطباعة والنشر. مصر. ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م: ١/ ٩٦.

(٣) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الخضري، محمد الدمياطي الشافعي، ت ١٢٨٧ هـ، الطبعة الأخيرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م: ٢/ ٨٧ .

(٤) يُنْظَرُ رَوْضَة الطَّالِبِين وعُمْدَة المفتين. لأبي زكريا محيي الدِّين بن شرف النووي. (ت ٦٧٦هـ). إشراف زهير الشاويش. المكتب الإِسْلامِيّ. بَيْرُوْت. ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م: ١٢/ ١٨٧؛ غرائب الْقُرآن و رغائب الفرقان. لنظام الدِّين الحسين بن مُحَمَّد القمي النيسابوري. (ت ٧٢٨هـ). الطَبْعَة الأُولَى. المطبعة الأميرية الكُبْرَى. بولاق، مصر. ١٣٢٩هـ. مطبوع عَلَى هامش تَفْسِيْر الطبري: ٤/ ١٩٣؛ تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٥٣؛ اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١٨٧ .

و(إذا) للظرفية، وليس فيها معنى الشرط. والعامل فيها على التقدير الأول ما يتلخص من معنى جوابها. والمعنى: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم، فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم، وعبر في البلوغ بـ(إذا)، وفي الإيناس بـ(إنْ) للفرق بينهما ظهورا وخفاء[١].

وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا :

الاسمان المتعاطفان منصوبان على الحال، وقيل: إنهما مفعول لهما. والجملة معطوفة على (ابتلوا) لا على جواب الشرط لفساد المعنى لأنَّ الأول بعد البلوغ وهذا قبله[٢].

وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا :

في فاعل (كفى) ـ كما قال أبو البقاء ـ وجهان :

أحدهما ـ أنَّه الاسم الجليل، والباء زائدة دخلت لتدل على معنى الأمر، فالتقدير: اكتفوا بالله تعالى .

والثاني ـ أن الفاعل مضمر، والتقدير: كفى الاكتفاء بالله تعالى، فـ(بالله) على هذا في موضع نصب على أنه مفعول به، و (حسيبا) حال[٣].

وقيل: تمييز[٤]، و (كفى) متعدية إلى مفعول واحد عند السمين الحلبي، والتقدير: وكفاكم الله حسيباً[٥] .

وإلى مفعولين عند أبي البقاء، والتقدير: وكفاكم الله شركم، ونحو ذلك[٦] .

---

(١) رُوح المَعَانِي: ٤/ ٢٠٥ .

(٢) حاشية الشهاب: ٣/ ١٠٦؛ رُوح المَعَانِي: ٤/ ٢٠٦ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٣٣٢ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١٩٣ .

(٥) الدُّرّ المصون فِي علوم الكِتَاب المكنون. لأبي العباس شهاب الدِّين بن يوسف بن السمين الحلبي. (ت ٧٥٦هـ). تَحْقِيق: الشيخ علي بن معوض، والشيخ عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، وجاد مخلوف جاد، وزكريا عَبْد الحميد. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م: ٢/ ٣١٤.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٣٣٢ .

القضايا البلاغية :

وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ :

في الآية نوع من أنواع البيان يعرف بـ(قوة اللفظ لقوة المعنى) وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾، فإن (استعف) أبلغ من (عف) كأنه يطلب زيادة العفة من نفسه هضماً لها، وحملاً على النزاهة، ومن المعلوم أن اللفظ إذَا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بدَّ من أن يتضمن من المعنى أكثر من مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ دالة على المعاني، فإذا زيد في اللفظ وجب زيادة في المعنى وهذا النوع لا يستعمل إلا في المبالغة[١].

المعنى العام :

وَابْتَلُوا الْيَتَامَى :

شروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى إليهم، وبيان شرطه بعد الأمر بإيتائها على الإطلاق، والنهي عنه عند كون أصحابها سفهاء، وهو ظاهر على تقدير أنْ يراد من السفهاء المبذرين بالفعل من اليتامى[٢] .

وقيل: إن هذا رجوع إلى بيان الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى لا شروع، وهو مبني على أنّ ما تقدم قبل هذه الآية كان مذكوراً على سبيل الاستطراد. والخطاب للأولياء .

أي: واختبروا من عندكم من اليتامى بتتبع أحوالهم في الاهتداء إلى ضبط الأموال، وحسن التصرف فيها وجربوهم بما يليق بحالهم[٣] .

حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ:

أي: إذا بلغوا حد البلوغ، ، وهو، إمّا بالاحتلام، أو بالسن[٤] .

---

(١) يُنْظَرُ إِعْرَاب الْقُرآن الكَرِيمِ وبَيَانُه: ١/ ٦١٩ .

(٢) إرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٥ .

(٣) يُنْظَرُ رُوح المَعَانِي: ٤/ ٢٠٨ .

(٤) يُنْظَرُ إرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٥؛ رُوح المَعَانِي: ٤/ ٢٠٨ .

فَإِنْ آنَسْتُمْ :

قال مجاهد: أحسستم [١] .

مِنْهُمْ رُشْدًا :

أي: اهتداء إلى ضبط الأموال وحسن التصرف فيها. وقيل: صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم [٢] .

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ :

أي: من غير تأخير عن حدّ البلوغ، كما تدل عليه الفاء، وفي إيثار الدفع على الإيتاء في أول الأمر إيذان على ما ذهب إليه بعض المفسرين بتفاوتهما بحسب المعنى [٣] .

وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا :

يشير إلى أنَّه لا يمنع مال اليتيم عنه إذا كبر، إذ المعنى: لا تأكلوا أموالهم مسرفين ومبادرين كبرهم بأنَّ تفرطوا في إنفاقها، وتقولوا: ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا، إلاَّ أنَّه قدر الكبر فيمن بلغ سفيهاً [٤] .

والإسراف في الأصل تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح، وربما كان ذلك في الإفراط، وربما كان في التقصير غير أنَّه إذا كان في الإفراط منه يقال: أسرف يسرف إسرافا، وإذا كان في التقصير يقال: سرف يسرف سرفا، ويستعمل بمعنى السهو والخطأ، وهو غير مراد أصلا [٥] .

والمبادرة: المسارعة ـ كما تقدم ـ وتصح المفاعلة فيه بأنَّ يبادر الولي أخذ مال اليتيم، واليتيم يبادر نزعه منه [٦] .

---

(١) الدر المنثور: ٢/ ١٢٢ .

(٢) ينظر الدر المصون: ٢/ ٣١٢. أنوار التنزيل: ٣/ ١٠٥. إرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٥ .

(٣) غرائب القرآن: ٤/ ١٩٢ -١٩٣. أَحْكَام الْقُرآن. لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه بن مُحَمَّد ابن عَبْد اللَّه بن أَحْمَد المَعَافري الإِشْبِيْلي المعروف بـ(ابن العَرَبِيّ). (ت ٥٤٣هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحَلَبي بمصر. سنة ١٩٧٤م: ١/ ٣٢٢. تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٥٣. اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١٨٧ .

(٤) يُنْظَرُ إرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٥؛ رُوح المَعَانِي: ٤/ ٢٠٨ .

(٥) ينظر الصحاح: مادة (سرف) ٤/ ١٣٧٣ .

(٦) ينظر الصحاح: مادة (بدر) ٢/ ٥٦٨ .

و(يكبروا) بفتح الباء الموحدة من باب علم يستعمل في السن، وإمّا بالضم، فهو في القدرة والشرف، وإذا تعدى الثاني بـ(على) كان للمشقة نحو: كبر عليه كذا، وتخصيص الأكل الذي هو أساس الانتفاع وتكثر الحاجة إليه بالنهي يدل على النهي عن غيره بالطريق الأولى، وفي الجملة تأكيد للأمر بالدفع، وتقرير لها، وتمهيد لما بعدها .

وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ :

أي: من كان من الأولياء، والأوصياء ذا مال، فليكف نفسه عن أكل مال اليتيم، ولينتفع بما آتاه الله تعالى من الغنى. فالاستعفاف الكف، وهو أبلغ من العف، وتفسيره بالتنزه، كما يشير إليه كلام البعض بيان لحاصل المعنى[(١)] .

وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ :

أي من كان فقيراً من الأولياء والأوصياء. فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية من سد الجوع، وستر العورة. قاله عطاء، وقتادة[(٢)]

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ أنّه قال: ((يأكل الفقير إذا ولى مال اليتيم بقدر قيامه على ماله ومنفعته له ما لم يسرف، أو يبذر)) [(٣)].

وعن ابن عمرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ ((أنّ رجلاً سأل النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ فقال: ليس لي مال وإنِّي ولي يتيم ؟ فقال: كلْ من مال يتيمك غير مسرف، ولا متأثل مالاً، ومن غير أن تقي مالك بماله)) [(٤)].

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٦.

(٢) الدر المنثور: ٢/ ١٢١.

(٣) جامع البيان: ٧/ ٥٨٨. الْمُعْجَم الكَبِيْر. لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد بن أيوب الطبراني. (ت ٣٦٠ هـ). تَحْقِيق: حمدي بن عبد المَجِيْد السلفي. الطَبْعَة الثانية. مكتبة الْعُلُوم والحكم. الموصل. ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م: ١٢/ ٢٥١ رقم (١٣٠٢٠)؛ تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٥٣؛ الدر المنثور: ٢/ ١٢٢ .

(٤) مسند أحمد: ٢/ ٢١٥ رقم (٧٠٢٢). سُنَن ابْنُ مَاجَهْ. لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن يَزِيْد القَزْوِيني. (ت ٢٧٣هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت): ٢/ ٩٠٧ رقم (٢٧١٨). سُنَن النَّسَائِيّ الكُبْرَى: كتاب الوصايا رقم (٣٦٩٨)، المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ ابن الجارود، أبو محمد عبد الله بن علي النيسابوري، ت ٣٠٧ هـ ومعه كتاب تيسير الفتاح الودود في تخريج المنتقى لابن الجارود، المدني، عبد الله بن هاشم، مطبعة الفجالة الجديدة، المدينة المنورة، ١٩٦٣ (١/ ٢٣٩) رقم (٩٥٢)؛ الدر المنثور: ٢/ ١٢٢.

وعن سعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي العالية، والزهري، وعبيدة السلماني، والباقر ــ رَحِمَهُم اللهُ ــ، وآخرين: " أن للولي الفقير أن يأكل من مال اليتيم بقدر الكفاية على جهة القرض، فإذا وجد ميسرة أعطى ما استقرض، وهذا هو الأكل بالمعروف "[١].

ويؤيده ما روي عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله تعالى عنه ـ أنَّه قال: ((إني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم إنْ استغنيت استعففت، وإنْ احتجت أخذت منه بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت))[٢].

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنَّه قال: " ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا ﴾ الآية نسختها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾[٣] "[٤] إلخ.

وذهب قوم إلى إباحة الأكل دون الكسوة[٥]، ورواه عكرمة عن ابن عباس[٦].

وقيل: إن الآية نزلت في حق اليتيم ينفق عليه من ماله بحسب حاله[٧]. حكي ذلك عن يحيى بن سعيد[٨].

وهو مردود، لأن قوله سبحانه: ﴿ فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ لا يعطي معنى ذلك. والتفكيك مما لا ينبغي أن يخرج عليه النظم الكريم[٩].

فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ :

---

(١) مجمع البيان: ٣/ ٦؛ الدرّ المنثور: ٢/ ١٢١.
(٢) مجمع البيان: ٣/ ٦؛ الدرّ المنثور: ٢/ ١٢١.
(٣) سورة النساء: من الآية ١٠.
(٤) الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري المعروف بالنحاس، ت ٣٣٨ هـ، صححها: أحمد أمين الشنقيطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م: ١/ ٤٣. الدر المنثور: ٢/ ١٢١.
(٥) البحر المحيط: ٣/ ١٧٣.
(٦) الدر المنثور: ٢/ ١٢١.
(٧) الدر المنثور: ٢/ ١٢١؛ رُوح المَعَاني: ٤/ ٢٠٩.
(٨) الدر المنثور: ٢/ ١٢١
(٩) رُوح المَعَاني: ٤/ ٢٠٩.

أي: إذا دفعتم أيها الأولياء والأوصياء (إليهم)، أي: اليتامى بعد رعاية ما ذكر لكم (أموالهم) التي تحت أيديكم، وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به، (فأشهدوا عليهم) بأنَّ قبضوها وبرئت عنها ذممكم لما أن ذلك أبعد عن التهمة، وأنفى للخصومة وأدخل في الأمانة[١].

وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا :

أي: شهيداً قاله السدي[٢].

وعن سعيد بن جبير: " أن معنى ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أنَّه لا شاهد أفضل من الله تعالى فيما بينكم وبينهم "[٣].

وقيل: إن المعنى: وكفى به تعالى محاسباً لكم، فلا تخالفوا ما أمرتم به، ولا تجاوزوا ما حدّ لكم[٤].

ما يستفاد من النص:

تتعلق بهذه الآية الكريمة أحكام فقهية كثرة تناولها الفقهاء، ويمكن إجمالها بما يأتي :

أَوَّلاً ـ بماذا يختبر اليتيم:

اختلف الفقهاء في ذلك على مذهبين :

الْمَذْهَب الأَوْل:

إن اختبار اليتيم بأن تفوض إليه التصرفات التي يتصرف فيها أمثاله، وذلك يختلف باختلاف طبقات الناس، فولد التاجر يختبر في البيع والشراء والمماكسة فيهما، وولد الزارع في أمر الزراعة والإنفاق على القوام بها، والمحترف فيما يتعلق بحرفته، والمرأة في أمر تدبير المنزل وحفظ الثياب وصون الأطعمة وشبهها من مصالح البيت .

---

(١) ينظر بَدَائِع الصَّنَائِع فِي ترتيب الشرائع. لأَبِي بَكْرٍ علاء الدِّين بن مسعود أَحْمَد الكَاسَاني أو الكاشاني. (ت ٥٨٧هـ(. الطَّبْعَة الثانية. دَار الكِتَاب العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. ١٩٨٢م: ٥/ ١٥٤.

(٢) الدر المنثور: ٢/ ١٢٢.

(٣) الدر المنثور: ٢/ ١٢٢؛ رُوح المَعَانِي: ٤/ ٢٠٩ .

(٤) الدر المنثور: ٢/ ١٢٢ .

وإليه ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والشافعية[٣]، والحنابلة[٤].

---

(١) يُنْظَرُ المَبْسُوط. لشمس الأئمة أَبي بَكْرٍ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبي سَهْل السَّرَخْسِيّ الْحَنَفِيّ. (ت ٤٨٣هـ). وهو كِتَاب محتوٍ علَى كتب ظاهر الرواية للإمام مُحَمَّد بن الْحَسَن الشَّيْبَانِيّ عن الإمام أَبي حَنِيفة شَرْح فيه الْمُصَنَّف كِتَاب الكافي للحاكم الشهيد المتوفى سنة (٣٣٤ هـ). الطَّبْعَة الثانية. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٤٠٦هـ: ٢٤/ ١٦١؛ الْهِدَايَة شَرْح بِدَايَة الْمُبْتَدِي. لأبي الحسين برهان الدِّين علي بن أَبي بَكْرٍ بن عَبْد الجَلِيْل المَرْغِيْنَاني الفَرْغَاني. (ت ٥٩٣هـ). المكتبة الإسْلامِيّة. بَيْرُوْت (د. ت): ٣/ ٢٨٤؛ الْبَحْر الرَّائِق شَرْح كَنْز الدَّقَائِق. لزَيْن بن إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن بكر الشهير بابن نُجَيم. (ت ٩٧٠هـ). دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. (د. ت): ٨/ ٩١؛ لِسَان الحُكَّام فِي مَعْرِفَة الأَحْكَام. لأبي الوليد إبْرَاهِيم بن أبي اليمن مُحَمَّد. (ت ٨٨٣ هـ). الطَّبْعَة الثانية. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م: ٣١٤.

(٢) يُنْظَرُ المُدوَّنة الكُبْرَى. للإمام مالك بن أَنَس الأصبحي. (ت ١٧٩هـ). بِروَايَةِ سَحْنُون عَبْد السلام بن سعيد التَّنُوخي. (ت ٢٤٠هـ)، عن عَبْد الرَّحْمَن بن قاسم بن خالد العُتَقي. (ت ١٩١هـ)، عن الإمام مالك. دَار صادر. بَيْرُوْت. وهي مصورة علَى الطَّبْعَة الأُولَى التي طبعت بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٣هـ: ١٥/ ١٣٢؛ التَاج والإكْلِيل لمُخْتَصَر خليل. لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن يوسف بن أَبي القاسم العَبْدَري الشهير بالمَوَّاق. (ت ٨٩٧هـ). الطَّبْعَة الثانية. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٩٨هـ: ٥ / ٧٥؛ شَرْح الزَّرْقَانِيّ علَى مُوَطَّأ الإمام مالك بن أَنَس. (ت ١٧٩هـ). لمُحَمَّد بن عَبْد الباقي بن يوسُف الزَّرْقَانِيّ. (ت ١١٢٢هـ). الطَّبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤١١هـ: ٣/ ١٦١.

(٣) يُنْظَرُ الأم. لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن إدريس الشَّافِعِيّ. (ت ٢٠٤هـ). الطَّبْعَة الثانية. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٣٩٣هـ: ٣/ ٢١٥؛ التَّنْبِيه فِي الْفِقْه الشَّافِعِيّ. لأبي إسْحَاق إبْرَاهِيم بن علي بن يوسف الفيروزأبادي الشيرازي. (ت ٤٧٦هـ). تَحْقِيق: عماد الدِّين أَحْمَد حيدر. الطَّبْعَة الأُولَى. عالم الكتب. بَيْرُوْت. ١٤٠٣هـ: ١/ ١٠٣.

(٤) يُنْظَرُ شَرْح الْعُمْدَة فِي الْفِقْه. لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني. (ت ٧٢٧هـ). تَحْقِيق: د. سعود صالح العطيشان. الطَّبْعَة الثالثة. مكتبة العبيكان. الرياض. ١٤١٣هـ: ١/ ٤٦٤؛ الْمُبْدِع فِي شَرْح المقنع. لأبي إسْحَاق إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه ابن مفلح الحنبلي. (ت ٨٨٤هـ). الطَّبْعَة الأُولَى. المكتب الإسْلامِيّ. بَيْرُوْت. ١٤٠٠هـ: ٤/ ٣٣١؛ الرَوْض المربع شَرْح زَادُ الْمُسْتَقْنِع. لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي. (ت ١٠٥١هـ). مكتبة الرياض الْحَدِيثة. الرياض. ١٣٩٠هـ: ٢/ ٢٢٩؛ منار السبيل فِي شَرْح الدليل. لإبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن سالم بن ضويان. (ت ١٣٥٣هـ). تَحْقِيق: عصام القلعجي. الطَّبْعَة الثانية. مكتبة المعارف. الرياض. ١٤٠٥هـ: ١/ ٣٥٣.

الْمَذْهَب الثَّانِي:

إن الرشد لا علاقة له بالمال، بل متعلق بالدين، فاذا كان مسلماً بالغاً مميزاً وجب دفع المال إليه .

واليه ذهب الظاهرية .

والحجة لهم :

أنه لم يأت (الرشد) في الْقُرآن الْكَرِيم بمعنى الأموال، وإنما ورد بمعنى الدين الذي هو ضد الغي، فلا يجوز حمله على المال[1] .

الترجيح :

الذي يبدو راجحاً هو مذهب الجمهور، لأن معنى الرشد في اللغة لا يختص بالدين، وأن الْقُرآن الْكَرِيم جاء بلغة العرب، ولغة العرب ليس فيها تخصيص الرشد بالدين .

ومن ناحية أخرى، إذا كان القصد هو الدين، فلا مبرر للاختبار والابتلاء؛ لأن اليتيم مسلم بطبيعة الحال، فيعطى له ماله حال بلوغه، ولما اشترط الْقُرآن الْكَرِيم إيناس الرشد.

ثَانِيًا ـ عدد مرات الاختبار :

ذهب الفقهاء إلى أنه لا تكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين فأكثر بحيث يفيد غلبة الظن برشده[2] .

وذكر الشافعية وجهين في كيفية الاختبار :

أصحهما: أن يدفع إليه قدر من المال ويمتحن في المماكسة والمساومة فإذا آل الأمر إلى العقد، عقد الولي.

---

(١) يُنْظَرُ المُحَلَّى. لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد سعيد بن حَزْم الظاهري الأَنْدَلُسي. (ت ٤٥٦هـ). تَحْقِيق: لجنة إِحْيَاء التُراث العَرَبِيّ. دَار الآفاق الجديدة. بَيْرُوْت. (د. ت): ٧/ ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) يُنْظَرُ إِعَانَة الطَّالِبين عَلَى حلّ أَلْفَاظ فَتْح المُعين. لأَبي بَكْرٍ بن مُحَمَّد شطا المتوفى الدِّمْيَاطِيّ المَكِّيّ السيد البكري. أكمل تحريرها سنة ١٣٠٠هـ. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت): ٣/ ٧٠؛ مُغْني الْمُحْتَاج إلى مَعْرِفَة مَعَانِي أَلْفَاظ الْمِنْهَاج. لشمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّرْبِينِيّ القاهري الشَّافِعِيّ الْخَطِيب. (ت ٩٧٧هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت): ٢/ ١٦٩ .

والثاني: يعقد الصبي ويصح منه هذا العقد للحاجة، ولو تلف في يده المال المدفوع إليه للاختبار فلا ضمان على الولي[١].

وذكر ابن العربي أيضاً وجهين في كيفية اختبار الصبي:

أحدهما: أن يتأمل أخلاقه ويستمع إلى أغراضه، فيحصل له العلم بنجابته والمعرفة بالسعي في مصالحه، وضبط ماله، أو الإهمال لذلك .

الثاني: أن يدفع إليه شيئاً يسيراً من ماله إن توسم الخير منه، ويبيح له التصرف فيه، فإن نماه وأحسن النظر فيه فليسلم إليه ماله جميعه، وإن أساء النظر فيه وجب عليه إمساك ماله عنه[٢].

الترجيح :

مما يتقدم يظهر أن الراجح هو ابتلاء اليتيم بأكثر من مرة، إذْ قد تعرض له أسباب نفسية كالخجل، والارتباك، وغيرهما .

ثَالِثًا ـ وقت الاختبار :

اختلف الفقهاء في ذلك على مذهبين :

الْمَذْهَب الأَوْل:

يقع الاختبار قبل البلوغ.

وإليه ذهب الحنفية[٣]، والشافعية في الأصح[٤]، والحنابلة في ظاهر المذهب[٥] .

---

(١) يُنْظَرُ الْمُهَذَّب فِي فقه الإمام الشَّافِعِيّ. لأبي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن علي بن يوسُف الفَيْرُوْزَآبَادي الشِّيْرَازي. (ت ٤٧٦هـ). وبهامشه: النظم الْمُسْتَعْذَب فِي شَرْح غَرِيب الْمُهَذَّب لمُحَمَّد بن أَحْمَد بن بَطَّال الركبي الْيَمَنِي. (ت ٦٣٣هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت): ١/ ٣٣٠؛ إِعَانَة الطَّالِبِين: ٣/ ٧٠.؛ فَتْح الوهاب بِشَرْحِ منهج الطلاب. لأبي يحيى زكريا بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن زكريا الأنصاري. (ت ٩٢٦هـ). الطَّبْعَة الأُولَى. دار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤١٨هـ: ١/ ٣٥١؛ الإِقْنَاع فِي حل أَلْفَاظ أَبِي شجاع. لمُحَمَّد الْخَطِيب الشِّرْبِينِيّ. (ت ٩٧٧هـ). الطَّبْعَة الثانية. دار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤١٥هـ: ٢/ ٣٠٢؛ حَاشِيَة الْبُجَيْرِمي عَلَى شَرْح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد) للخَطِيْب. وهي حَاشِيَة الشيخ سُليمان بن مُحَمَّد بن عُمَر الْبُجَيْرِمي الشَّافِعِيّ. (ت ١٢٢١هـ). المكتبة الإِسْلامِيّة. ديار بكر ـ تركيا. (د. ت.): ٢/ ٤٣٦ .

(٢) أَحْكَام الْقُرْآن لابن عَرَبِي: ١/ ٤١٧ – ٤١٨ .

(٣) يُنْظَرُ الْمَبْسُوط للسَّرَخْسي: ٢٤/ ١٦١؛ الْهِدَايَة شَرْح بِدَايَة الْمُبْتَدِي: ٣/ ٢٨٤؛ الْبَحْر الرَّائِق: ٨/ ٩١؛ لسان الحكام: ٣١٤ .

(٤) يُنْظَرُ الْمُهَذَّب: ١/ ٣٣٠؛ إِعَانَة الطَّالِبِين: ٣/ ٧٠.؛ فتح الوهاب: ١/ ٣٥١؛ الإِقْنَاع للشِّرْبِينِيّ: ٢/ ٣٠٢؛ حاشية البجيرمي: ٢/ ٤٣٦ .

(٥) يُنْظَرُ شَرْح الْعُمْدَة: ١/ ٤٦٤؛ الْمُبْدِع: ٤/ ٣٣١؛ الروض المربع: ٢/ ٢٢٩؛ منار السبيل: ١/ ٣٥٣.

والحجة له :

قوله تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾[١] الآية .

وجه الدلالة :

أن ظاهر هذه الآية يدل على أن ابتلاءهم قبل البلوغ لوجهين :

أحدهما: أنه سماهم يتامى، وإنما يكونون يتامى قبل البلوغ .

والثاني: أنه مدّ اختبارهم إلى البلوغ بلفظة حتى، فدل على أن الاختبار قبله؛ ولأن تأخير الاختبار إلى البلوغ يؤدي إلى الحجر على البالغ الرشيد؛ لأن الحجر يمتد إلى أن يختبر ويعلم رشده، واختباره قبل البلوغ يمنع ذلك فكان أولى، لكن لا يختبر إلا المراهق المميز الذي يعرف البيع والشراء والمصلحة من المفسدة.

الْمَذْهَب الثَّانِي:

يكون الاختبار بعد البلوغ .

وإليه ذهب المالكية[٢]، والشافعية في مقابل الأصح[٣]، والحنابلة في وجه[٤] .

والحجة لهم :

لأنه قبل البلوغ ليس أهلاً للتصرف، إذ البلوغ الذي هو مظنة العقل لم يوجد، فكان عقله بمنزلة المعدوم[٥].

ولم يجوّز مالك في المدونة للصبي الذي يعقل التجارة أن يدفع إليه وليه أو وصيه مالاً ليتّجر به حيث قال في جواب من سأله عن ذلك: لا أرى ذلك جائزاً؛ لأن الصبي مولى عليه، فإذا كان مولى عليه فلا أرى الإذن له في التجارة إذناً[٦].

وقال في اليتيم الذي بلغ واحتلم والذي لا يعلم عنه وليه إلا خيراً فأعطاه ذهباً بعد احتلامه ليختبره به وأذن له في التجارة ليختبره بذلك، أو ليعرف فداين الناس فرهقه دين: لا أرى أن يعدى عليه في شيء من ماله لا فيما في يده، ولا في غير ذلك. قيل

---

(١) سورة النساء: من الآية ٦ .

(٢) يُنْظَرُ المدونة الكبرى: ١٥/ ١٣٢؛ التَّاج والإكْلِيل: ٥ / ٧٥؛ شَرْح الزُّرْقاني: ٣/ ١٦١ .

(٣) يُنْظَرُ الْمُهَذَّب: ١/ ٣٣٠؛ إعَانَة الطَّالِبين: ٣/ ٧٠؛ فتح الوهاب: ١/ ٣٥١؛ الإقْنَاع للشِّرْبِينِيّ: ٢/ ٣٠٢؛ حاشية البجيرمي: ٢/ ٤٣٦ .

(٤) يُنْظَرُ شَرْح الْعُمْدَة: ١/ ٤٦٤؛ الْمُبْدِع: ٤/ ٣٣١؛ الروض المربع: ٢/ ٢٢٩؛ منار السبيل: ١/ ٣٥٣.

(٥) يُنْظَرُ شَرْح الزُّرْقاني: ٣/ ١٦١؛؛ إعَانَة الطَّالِبين: ٣/ ٧٠؛ الْمُبْدِع: ٤/ ٣٣١ .

(٦) المدونة الكبرى: ١٣/ ٢٢٣ .

لمالك: إنه قد أمكنه وأذن له في التجارة، أفلا يكون ذلك على ما في يديه ؟ قال: لا، لم يدفع إليه ماله المحجور عليه، وإن كان دفعه إليه ليختبره به فهو محجور عليه[١].

وقال الشافعية: إن المخاطب بالاختبار على القول بأنه يكون قبل البلوغ كل ولي، وأما على القول بأنه يكون بعد البلوغ فوجهان:

أحدهما: أن الاختبار يكون للولي، وهو قول عامة الأصحاب .

والثاني: يكون للحاكم فقط، وهو قول ابن سريج[٢] .

الترجيح :

الذي يبدو راجحاً هو المذهب الأول، أي أن الابتلاء قبل البلوغ، لموافقته للنص القرآني من جهة، ولأن تأخير ذلك إلى ما بعد البلوغ فيه حجب لحقه في المال دون سبب مبرر، ولا سيما أن بعض الناس يؤنس منه الرشد مبكراً، ولا ضير في ذلك خشية فشله في الابتلاء، لأننا قلنا بجواز تكرار ذلك أكثر من مرة، وأن ابتلاء اليتيم قبل البلوغ ليس فيه ضرر يلحق المبتلى .

ثَالِثًا ـ اختبار الذكر والأنثى :

اختلف الفقهاء في ذلك على مذهبين :

الْمَذْهَب الأَوْل:

لا فرق في وقت الاختبار بين الذكر والأنثى .

واليه ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[٣]، والمالكية[٤]، والشافعية[٥] .

الْمَذْهَب الثَّانِي:

أوما الإِمَام أحمد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في موضع إلى أن الاختبار قبل البلوغ خاص بالمراهق الذي يعرف المعاملة والمصلحة، بخلاف الجارية لنقص خبرتها، وأما بعد البلوغ فهما سواء[٦] .

---

(١) الْمَصْدَر نَفْسِه: ١٣/ ٢٢٣ .

(٢) يُنْظَرُ الْمُهَذَّب: ١/ ٣٣٠؛ إِعَانَة الطَّالِبِين: ٣/ ٧٠.؛ فتح الوهاب: ١/ ٣٥١؛ الإِقْنَاع للشِّرْبِينِيّ: ٢/ ٣٠٢؛ حاشية البجيرمي: ٢/ ٤٣٦ .

(٣) يُنْظَرُ الْمَبْسُوط للسَّرَخْسِي: ٢٤/ ١٦١؛ الْهِدَايَة شَرْح بِدَايَة الْمُبْتَدِي: ٣/ ٢٨٤؛ الْبَحْر الرَّائِق: ٨/ ٩١؛ لسان الحكام: ٣١٤ .

(٤) يُنْظَرُ المدونة الكبرى: ١٥/ ١٣٢؛ التَّاج والإِكْلِيل: ٥ / ٧٥؛ شَرْح الزُّرْقَانِي: ٣/ ١٦١ .

(٥) يُنْظَرُ الْمُهَذَّب: ١/ ٣٣٠؛ إِعَانَة الطَّالِبِين: ٣/ ٧٠.؛ فتح الوهاب: ١/ ٣٥١؛ الإِقْنَاع للشِّرْبِينِيّ: ٢/ ٣٠٢؛ حاشية البجيرمي: ٢/ ٤٣٦ .

(٦) يُنْظَرُ الْمُغْنِي. أبو مُحَمَّد مُوَفَّق الدِّيْن عَبْد اللَّه بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامة الْمَقْدِسِي.

الترجيح :

الذي يبدو لي هو رجحان المذهب الأول الذي قال به جمهور الفقهاء، إذْ لا فرق حقيقي بين الرجل والمرأة، فالمرأة قد تكون أكفأ في اختبارها من الرجل بسبب معايشتها لواجباتها بحكم طول مكوثها في البيت .

رابعًا ـ حكم دفع المال إلى الحر البالغ العاقل غير الرشيد:

اختلف الفقهاء في ذلك على مذهبين :

المَذْهَب الأَوّل:

الغلام إذا بلغ غير رشيد لم يسلم إليه ماله حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة .

وإليه ذهب أبو حنيفة. وزفر بن الهذيل، وهو مذهب إبراهيم النخعي[(١)]، والزيدية[(٢)]، والإمامية[(٣)] .

وفرع الإمام أَبو حَنِيفَةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ على كون الاختبار قبل تصرفات العاقل المميز بإذن الولي صحيحة، لأنَّ ذلك الاختبار إنّما يحصل إذا أذن له في البيع والشراء مثلا[(٤)] .

وإن تصرف الولي في المال قبل ذلك نفذ تصرفه؛ لأن أبا حنيفة ــ رَحِمَهُ اللهُ ـ لا يرى الحجر على الحر العاقل البالغ، إلا إذا تعدى ضرره إلى العامة كالطبيب الجاهل، والمفتي الماجن، والمكاري المفلس فإذا بلغ خمساً وعشرين سنة يسلم إليه ماله وإن لم يؤنس منه الرشد[(٥)] .

=

(ت٦٢٠ هـ). دار الكِتَاب العربي. بيروت. ١٩٧٢م: ٤/ ٢٩٩؛ منار السبيل: ١/ ٣٦١.

(١) يُنْظَرُ البَحْر الرَّائِق: ٨/ ٨٨ .

(٢) يُنْظَرُ الْبَحْر الزَّخَّار الْجَامِع لِمَذَاهِب عُلَمَاء الأَمْصَار. لأَحْمَد بن يحيى المرتضى. (ت٨٤٠هـ). مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٩٧٥م: ٦/ ٨٩ .

(٣) يُنْظَرُ الرَوْضة البَهِيَّة شَرْح اللمعة الدمشقية. لزين الدِّين الجبعي العاملي. (ت ٩٦٥هـ). طبع جَامِعة النجف الدِّينية. (د. ت): ٤/ ١٠١-١٠٢ .

(٤) المبسوط: ١٠/ ٢١٧ .

(٥) يُنْظَرُ المَبْسُوط للسَّرَخْسي: ٢٤/ ١٥٧؛ بَدَائِع الصَّنَائِع: ٧/ ١٦٩؛ البَحْر الرَّائِق: ٨/ ٨٨ -٨٩؛ حَاشِيَة رَدّ المحتار عَلَى الدُّرِّ الْمُخْتَار شَرْح تَنْوِير الأَبْصَار المعروفة بـ(حَاشِيَة ابن عَابِدِين). للسيد مُحَمَّد أمين عَابِدِينَ بن السيد عُمَر عَابِدِينَ بن عَبْد الْعَزِيز الدَّمَشْقي الْحَنَفِيّ. (ت ١٢٥٢هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٨٦هـ: ٦/ ١٤٧ .

والحجة لهم :

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾[١].

وجه الدلالة :

إن المراد به بعد البلوغ، فهو تنصيص على وجوب دفع المال إليه بعد البلوغ؛ إلا أنه منع عنه ماله قبل هذه المدة بالإجماع، ولا إجماع هنا فيجب دفع المال بالنص. وإنما سمي يتيماً لقربه من البلوغ؛ ولأن أول أحوال البلوغ قد لا يفارقه السفه باعتبار أثر الصبا، فقدرناه بخمس وعشرين سنة؛ لأنه حال كمال لبه[٢].

٢ ـ روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ينتهي (يتم) لب الرجل إذا بلغ خمساً وعشرين سنة[٣].

٣ ـ قال أهل الطبائع: من بلغ خمساً وعشرين سنة فقد بلغ رشده ألا ترى أنه قد بلغ سناً يتصور أن يصير جداً، لأن أدنى مدة يبلغ فيها الغلام اثنتا عشرة سنة، فيولد له ولد لستة أشهر، ثم الولد يبلغ في اثنتي عشرة سنة، فيولد له ولد لستة أشهر فقد صار بذلك جداً، ولأن منع المال عنه على سبيل التأديب عقوبة عليه، والاشتغال بالتأديب عند رجاء التأدب، فإذا بلغ هذه السن فقد انقطع رجاء التأدب فلا معنى لمنع المال بعده .

٤ ـ إن هذا حر بالغ عاقل مكلف فلا يحجر عليه كالرشيد .

الْمَذْهَب الثَّانِي:

عدم جواز دفع المال إلى غير الرشيد حتى يؤنس منه الرشد بعد البلوغ، ولا ينفك الحجر عنه حتى ولو صار شيخاً، ولا يجوز تصرفه في ماله أبداً.

وهو قول القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعليه أكثر أهل العلم.

---

(١) سورة النساء: من الآية ٢ .

(٢) يُنْظَرُ المَبْسُوط للسَّرَخْسي: ٢٤/ ١٥٧؛ بَدَائع الصَّنَائع: ٧/ ١٦٩؛ البَحْر الرَّائِق: ٨/ ٨٨ ـ٨٩؛ حَاشِيَة ابن عَابِدِين: ٦/ ١٤٧ .

(٣) أورده الفقهاء، ولم اقف عليه في كتب الحديث والآثار .

وإليه ذهب أبو يوسف، ومحمد من الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والشافعية[٣]، والحنابلة في الأشهر[٤].

قال ابن المنذر: أكثر علماء الأمصار من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر يرون الحجر على كل مضيع لماله صغيراً كان أو كبيراً[٥].

وقال الشافعي: الاختبار لا يقتضي الإذن في التصرف، لأنّه يتوقف على دفع المال إلى اليتيم، وهو موقوف على الشرطين، وهما إنّما يتحققان بعد، بل يكون بدونه على حسب ما يليق بالحال فولد التاجر مثلا يختبر في البيع والشراء إلى حيث يتوقف الأمر على العقد، وحينئذٍ يعقد الولي إن أراد، وعلى هذا القياس[٦].

واختلف أصحاب هذا المذهب في التفريق بين الذكر والأنثى، فلم يفرق الشافعية في ذلك بين الذكر والأنثى[٧].

وأما المالكية فقد زادوا في حق الأنثى لفك الحجر عنها دخول زوج بها وشهادة العدول بحفظها مالها[٨].

وذكر الحنابلة في مقابل الأشهر والأصح عندهم أن الجارية لا يدفع إليها مالها بعد رشدها حتى تتزوج وتلد أو تقيم في بيت الزوج سنة[٩].

واختار ذلك أبو بكر، والقاضي، والشيرازي، وابن عقيل.

---

(١) يُنْظَرُ المَبْسُوط للسَّرَخْسي: ٢٤/ ١٦١؛ الْهِدَايَة شَرْح بِدَايَة الْمُبْتَدِي: ٣/ ٢٨٤؛ البَحْر الرَّائِق: ٨/ ٩١؛ لسان الحكام: ٣١٤.

(٢) يُنْظَرُ المدونة الكبرى: ١٥/ ١٣٢؛ التَّاج والإكْلِيل: ٥ / ٧٥؛ شَرْح الزُّرْقاني: ٣/ ١٦١.

(٣) يُنْظَرُ المُهَذَّب: ١/ ٣٣٠؛ إعَانَة الطَّالِبين: ٣/ ٧٠.؛ فتح الوهاب: ١/ ٣٥١؛ الإقْنَاع للشِّرْبِينِيّ: ٢/ ٣٠٢؛ حاشية البجيرمي: ٢/ ٤٣٦.

(٤) يُنْظَرُ شَرْح الْعُمْدَة: ١/ ٤٦٤؛ المُبْدِع: ٤/ ٣٣١؛ الروض المربع: ٢/ ٢٢٩؛ منار السبيل: ١/ ٣٥٣.

(٥) الإجْمَاع. لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم بن المنذر النيسابوري. (ت ٣١٨هـ). تَحْقِيق: د. فؤاد عَبْد المنعم أَحْمَد. الطَّبْعَة الثالثة. دار الدعوة. الإسكندرية. ١٤٠٢هـ: ٩٩.

(٦) المهذب: ١/ ٣٥٦.

(٧) يُنْظَرُ المُهَذَّب: ١/ ٣٣٠؛ إعَانَة الطَّالِبين: ٣/ ٧٠.؛ فتح الوهاب: ١/ ٣٥١؛ الإقْنَاع للشِّرْبِينِيّ: ٢/ ٣٠٢؛ حاشية البجيرمي: ٢/ ٤٣٦.

(٨) يُنْظَرُ المدونة الكبرى: ١٥/ ١٣٢؛ التَّاج والإكْلِيل: ٥ / ٧٥؛ شَرْح الزُّرْقاني: ٣/ ١٦١.

(٩) يُنْظَرُ شَرْح الْعُمْدَة: ١/ ٤٦٤؛ المُبْدِع: ٤/ ٣٣١؛ الروض المربع: ٢/ ٢٢٩؛ منار السبيل: ١/ ٣٥٣.

والحجة لهم :

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ** ﴾[١] .

وجه الدلالة :

علق الْقُرْآن الْكَرِيم دفع المال إليهم على شرطين: البلوغ، وإيناس الرشد. والحكم المعلق على شرطين لا يثبت بدونهما .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ** ﴾[٢] .

وجه الدلالة :

يعني لا تدفعوا للسفهاء أموالهم.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ** ﴾[٣] .

وجه الدلالة :

الآية أثبتت الولاية على السفيه؛ ولأنه مبذر لماله فلا يجوز دفعه إليه كمن لـه دون ذلك.

٤ ـ ما روى شريح قال: ((عهد إلي عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ أن لا أجيز لجارية عطية حتى تحول في بيت زوجها حولاً، أو تلد)) [٤].

٥ ـ روي عن مجاهد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قوله: " لا يدفع إلى اليتيم ماله، وإنْ شمط ما لم يؤنس منه رشد ". ونسب هذا القول إلى الشعبي أَيْضًا[٥] .

وجه الدلالة :

إن دفع المال معلق بالرشد، ولا علاقة له بالسن .

هذا والخلاف في استدامة الحجر إلى إيناس الرشد، أو إلى بلوغ خمس وعشرين سنة إنما هو فيمن بلغ مبذراً. فإن بلغ مصلحاً للمال فاسقاً في الدين استديم الحجر عليه

(١) سورة النساء: من الآية ٦ .
(٢) سورة النساء: من الآية ٥ .
(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٨٢ .
(٤) المحلى: ٨/ ٣١٠ .
(٥) الدر المنثور: ٢/ ١٢١.

عند الشافعية لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾[١] والفاسق لم يؤنس منه الرشد ؛ ولأن حفظه للمال لا يوثق به مع الفسق؛ لأنه لا يؤمن أن يدعوه الفسق إلى التبذير فلم يفك الحجر عنه[٢] .

ذكر صاحب الدر المختار أن الخلاف بين أبي يوسف ومحمد، وبين أبي حنيفة ـ رَحِمَهُم اللهُ ـ في الحجر على الحر المكلف بسبب السفه والغفلة إنما محله التصرفات التي تحتمل الفسخ ويبطلها الهزل، وأما التصرفات التي لا تحتمل الفسخ ولا يبطلها الهزل فلا يحجر عليه فيها بالإجماع. وقولهما هو المفتى به صيانة لماله فيكون في أحكامه كصغير[٣].

الترجيح :

الذي يبدو لي راجحاً هو الْمَذْهَب الثَّانِي، إِذْ أن الرشد لا علاقة له بالسن، فقد يحجر على رجل بالغ إِذَا علم منه السفه، مع أنه قد يكون جاوز الأربعين مثلاً .

وأن الْقُرْآن الْكَرِيم علّق إيتاء الأموال بالرشد لا بالسن .

خَامِسًا ـ سن البلوغ :

اختلفت أقوال الفقهاء في السن الذي يبلغ فيه الرجل أو المرأة على أقوال كثيرة، أهمها:

القول الأول :

خمس عشرة سنة .

وإليه ذهب أبو يوسف، ومحمد، وهو رواية عن أبي حنيفة، وعليها الفتوى عند الحنفية[٤]، والشافعية[٥] .

---

(١) سورة النساء: من الآية ٦ .

(٢) يُنْظَرُ الْمُهَذَّب: ١/ ٣٣٠؛ إِعَانَة الطَّالِبين: ٣/ ٧٠.؛ فتح الوهاب: ١/ ٣٥١؛ الإِقْنَاع للشِّرْبِينِيّ: ٢/ ٣٠٢؛ حاشية البجيرمي: ٢/ ٤٣٦ .

(٣) الدُّرُّ الْمُخْتَار. لِمُحَمَّد بن علي الملقَّب علاء الدِّين الْحَصْكَفِيِّ الدمشقي. (ت ١٠٨٨هـ). الطَّبْعَة الثانية. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٨٦هـ: ٦/ ١٤٨ .

(٤) المبسوط: ٢٤/ ١٦٢ و٢٥/ ٢١ .

(٥) الأم: ٥/ ١٧.

والحجة لهم :

١ ـ أنّ العادة الفاشية أنّ الغلام والجارية يصلحان للنكاح، وثمرته في هذه المدة، ولا يتأخران عنها .

٢ ـ ما روي عن أنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ مرفوعاً: ((الصبي إذا بلغ خمس عشرة أقيمت عليه الحدود)) [١].

أعترض :

أن الحديث ضعيف، والبيهقي نفسه صرح بذلك .

القول الثاني :

السن للغلام تمام ثماني عشرة سنة، وللجارية تمام سبع عشرة سنة

واليه ذهب أبو حنيفة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ [٢] .

والحجة له :

قوله تعالى: ﴿ **حتى يبلغ أشده** ﴾[٣] .

وجه الدلالة :

أشد الصبي ثماني عشرة سنة، كما روي عن ابن عباس ـ رَحِمَهُما اللهُ ـ [٤]، وتابعه القتبي[٥]، وهذا أقل ما قيل فيه، فيبني الحكم عليه للتيقن، غير أن الإناث نشؤهن وإدراكهن أسرع، فنقصنا في حقهن سنة لاشتمالها على الفصول الأربعة التي يوافق واحد منها المزاج لا محالة .

القول الثالث :

الغلام تسع عشرة سنة.

وهو قول ابن سيرين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ .

والمراد أن يطعن في التاسعة عشرة، ويتم له ثماني عشرة. وقيل فيه اختلاف الرواية لذكر حتى يستكمل تسع عشرة سنة[٦] .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٦/ ٥٦ رقم (١١٠٨٩)، وقال: وإسناده ضعيف لا يصحّ .

(٢) بدائع الصنائع: ٢/ ١٣٣٦ .

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٤) الدر المنثور: ٢/ ١٢٢ .

(٥) بدائع الصنائع: ٢/ ١٣٣٦ .

(٦) يُنْظَرُ البحر المحيط: ٣/ ١٧١.

القول الرابع :

إن الإنبات دليل على بلوغ المشركين خاصة .

واليه ذهب الشافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ[١] .

أعترض :

شنع ابن حزم على الإمَام الشافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ بأن الكشف عن العورات منافٍ للأعراف[٢] .

أجيب :

إنه إذا أسر مراهق، ولم يعلم أنَّه بالغ، فيفعل فيه ما يفعل بالبالغين من قتل، ومن وفداء بأسرى منّاً، أو مال واسترقاق، أو غير بالغ، فيفعل فيه ما يفعل بالصبيان من الرق فيكشف عن سوأته، فإنّ أنبت فله حكم الرجال وإلا فلا، وإنّما يفعل به ذلك، لأنّه لا يخبر المسلمين ببلوغه خوفاً من القتل بخلاف المسلم، فإنّه لا يحتاج إلى معرفة بلوغه بذلك، وأن هذا لا يصلح محلاً للتشنيع، وغاية ما فيه أنَّه جعل الإنبات سبباً لإجراء أحكام الرجال عليه في هذه المسألة لعدم السبيل إلى معرفة البلوغ فيها، وصلاحيته لأنَّ يكون أمارة في الجملة لذلك ظاهرة، وإمّا أن فيه أنّ الإنبات أحد أدلة البلوغ مثل الاحتلام، والإحبال، والحيض، والحبل في الكفار دون المسلمين، فلا[٣] .

الترجيح :

الذي يبدو راجحاً هو المذهب الأول، لأنه أوفق بواقع حال كلاً من الذكر والأنثى، إذْ أن تعليق الرشد بالبلوغ أمر غير واقعي، فقد يبلغ الفتى يوم السبت مثلاً، فعلى هذا يكن يكون في يوم الجمعة غير راشد، واختلاف يوم واحد لا عبرة فيه في تغير شخصية الفتى أو الفتاة، ولكن الحد الأدنى الذي قاله أصحاب المذهب الأول معقول، ويتوافق مع كثير من القوانين الوضعية التي أخذت بها الدول في العالم، فهو على هذا أكثر واقعية وموافقة لمتطلبات المجتمع المعاصر .

---

(١) المهذب: ١/ ٣٣٠؛ روضة الطالبين: ١٠/ ٢٤٣، و ١٢/ ٣٩. غرائب القرآن: ٤/ ١٩٢ –١٩٣. أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٣٢٢. تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٥٣. اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١٨٧ .

(٢) المحلى: ١/ ٨٩.

(٣) يُنْظَرُ مُغْني الْمُحْتَاج: ٣/ ١٦٥؛ غرائب القرآن: ٤/ ١٩٢ –١٩٣. أحكام القرآن لابن عربي: ١/ ٣٢٢. تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٥٣. اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١٨٧ .

سَادِساً ـ مسائل متفرقة :

ذكر الفقهاء الرشد في كثير من أبواب الفقه، فقد ذكروه في البيع، وفي الشركة، وفي الوكالة، وفي ضمان تلف العارية، وفي شرط المعير، وفي الإقرار فيما لو أقر أحد الوارثين بوارث. والهبة، وفي الوقف، وفي ولي النكاح، وفي رضا الزوج بالنكاح، وغيرها من المسائل التي لا يتسع لها هذا البحث، وأشرت إليها للتذكير بها .

المَبْحَث الثَّالِث
سمات الراشدين

بين القُرآن الكَريم ما ينبغي أن يتصف به الراشدون من سمات تؤهلهم لمرضاة الله تَعَالَى، إرشاداً وتعليماً، وقد جاء هذا التبيان في سورة كريمة حفلت بكثير من المسائل التربوية الهادفة، أعني بها سورة الحجرات، التي تضمنت توجيهات عامة شملت كثيراً من الأنشطة الحياتية المهمة .

وموضوع بحثنا هنا، قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

سبب النزول :

قيل إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة: ((أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث الوليد بن عقبة مصدقاً إلى بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم ـ في رواية لإحنة كانت بينه وبينهم ـ فرجع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فأخبره أنهم ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه، فعاد إلى نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره، فنزلت هذه الآية، فكان يقول نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التأني من الله، والعجلة من الشيطان[٢] .

---

(١) سورة الحجرات: الآيات ٦ – ٨ .

(٢) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١١؛ ورجال إسناده ثقات، وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله، وعلقمة ابن ناجية، وأم سلمة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ. وابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ ومن طرق أخرى مرسلة. ينظر لباب النقول: ١٩٥-١٩٦ .

وفي رواية أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق[١] بعد إسلامهم، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم خافهم، فرجع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم، فهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغزوهم، فبينما هم كذلك، إذ قدم وفدهم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: يا رسول الله ! سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة، فاستمر راجعا، وبلغنا أنه يزعم لرسول الله أنا خرجنا لنقاتله، والله ما خرجنا لذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢] .

تحليل الألفاظ :

فَاسِقٌ :

الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفِسْق، وهو الخُروج عن الطَّاعة. تقول العرب: فَسقَتِ الرُّطَبَةُ عن قِشْرها: إذا خرجَتْ، حكاه الفَرَّاء، ويقولون: إنّ الفأرة فُوَيْسِقة، قال ابنُ الأعرابيّ: لم يُسْمع قَطُّ في كلامِ الجاهليَّة في شعرٍ ولا كلامٍ: فاسق، قال: وهذا عجبٌ، هو كلامٌ عربيٌّ ولم يأتِ في شعرٍ جاهليٍّ[٣] .

لَعَنَّتُمْ :

المُعانَتَة كالمُعَانَدةِ، لكن المُعَانَتَةُ أبْلَغُ لأنها مُعانَدةٌ فيها خَوْفٌ وهَلاكٌ، ولهذا يُقالُ: عَنَتَ فُلانٌ إذا وقَع في أمرٍ يُخافُ منه التّلَفُ يَعْنُتُ عَنَتاً. ولعنتم، أي: لوقعتم في عنت، قال ابن قتيبة: وهو الضرر والفساد، وقال غيره: هو الإثم والهلاك والعنت الإثم، يقال: عنت الرجل، والعنت أيضاً الفجور والزنى، والعنت أيضاً في أمر شاق[٤] .

---

(١) المصطلق بكسر اللام قبيلة من بني خزاعة من العرب. يُنْظَرْ: عَوْن الْمَعْبُود عَلَى سُنَن أَبِي دَاوُد سُليمان بن الأَشْعَث السِّجِسْتَاني، (ت ٢٧٥هـ)، لأبي عَبْد الرَّحْمَن شَمس الحقّ الشهير بمُحَمَّد أَشرف بن أَمير بن علي بن حيدر الصِّدِّيقي العظيم آبادي، الطَّبْعَة الثانية، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤١٥هـ: ٢/ ١٥٣ .

(٢) يُنْظَرُ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٦/ ٣١١؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٧/ ٥٥٦ .

(٣) يُنْظَرُ: معجم مقاييس اللغة: باب الفاء والسين وما يثلثهما (فسق) .

(٤) يُنْظَرُ: غَرِيب الْحَدِيث. لأبي مُحَمَّد عَبْد اللَّه بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينوري. (ت ٢٧٦هـ) =

الرَّاشِدُونَ :

الرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشاد وهي الصخرة، قال أبو الوزاع: كل صخرة رشادة، وأنشد :

وغـــير مقلـــد وموشمـــات ثـــم صلين الضـوء مـن صـم الرشـاد[١]

القراءات القرآنية :

فَتَبَيَّنُوا :

قرأ عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ حمزة، والكسائي، وخلف، والباقر: (فَتَثَبَّتُوا) من التثبت، أما على قراءة الباقين فهي من التبيين[٢] .

الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ :

قرئت ـ دون نسبة ـ بالإدغام الكبير[٣] .

بعض الأوجه الإعرابية :

أَنْ تُصِيبُوا :

أي لئلا تصيبوا فـ(أن) في محل نصب مفعول من أجله على حـذف مضـاف، أي: خشية إصابتكم، أو كراهة إصابتكم [٤] .

فَضْلاً مِنَ اللَّهِ :

(فضلاً) مفعول من أجله، أو مصدر من غير فعله، واختلف في ناصبه علـى الأول، فقيل: هو حبب إليكم، فيتعين كون جملة (أولئك هم الراشـدون) اعتراضـية، قيل: النصب بتقدير فعل، أي: تبتغون فضلاً ونعمة، وقيل: هو الراشدون .

=

تَحْقِيق: د. عَبْـد اللَّـه الجبـوري. الطَبْعَـة الأُولَـى. مطبعـة العـاني. بَغْـدَاد. ١٣٩٧هـ: ٣/ ٦٤٧؛ الْمُفْرَدَات: ٣٤٩؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (عنت) ٢/ ٦١ .

(١) يُنْظَرُ: غَرِيب الْحَدِيث لابن قتيبة: ٢/ ١٤٥؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (رشد) ٣/ ١٧٦ .

(٢) يُنْظَـرُ: مَعَـانِي الْقُـرآن للفَـرَّاء: ٣/ ٧١؛ إِعْـرَاب الْقُـرآن للنَّحَّـاس: ٣/ ٢٠٣؛ التيسـير: ٩٧؛ إِتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ٣٩٧.

(٣) يُنْظَرُ: غيث النفع: ٣٥٦ .

(٤) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٢ .

وهذا تعليل للأفعال المستندة إليه عز وجل في قوله سبحانه: (ولكن الله حبب) الخ، وما في البين اعتراض وجود كونه تعليلاً للراشدين، وصحّ النصب على القول باشتراط اتحاد الفاعل، أي: من قام به الفعل وصدر عنه موجداً له، أو لا، لما أن الرشد وقع عبارة عن التحبب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه تبارك اسمه، فإنه لو قيل مثلاً حبب إليكم الإيمان فضلاً منه، وجعل كناية عن الرشد لصحّ، فيحسن أن يقال: أولئك هم الراشدون فضلاً، ويكون في قوة: أولئك هم المحببون فضلاً، أو لأن الرشد ههنا يستلزم كونه تعالى شأنه مرشداً، إذ هو مطاوع أرشد، فيتحد الفاعل.

ويصح النصب وجوز كونه مصدراً لغير فعله منصوب، إما بحبب، أو بالراشدين، فإن التحبيب والرشد من فضل الله تعالى وإنعامه. وقيل: مفعول به لمحذوف، أي: يبتغون فضلاً[١].

القضايا البلاغية :

إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ :

التنكير في الآية، والفائدة منه الشمول؛ لأن النكرة إذَا وقعت في سياق الشرط عمّت، كما تعمّ إذَا وقعت في سياق النفي[٢].

وثمرة هذا تظهر في ردّ قول من زعم أن الآية نزلت في الوليد بن عقبة، وهو من كبار الصحابة؛ لأن إطلاق الفسوق عليه بعيد، والوليد كما ذكروا ظن فأخطأ، والمخطئ ـ كما يقول الرازي ـ لا يسمى فاسقاً فالعموم هو المراد، كأنه قال: اي فاسق جاءكم بأي نبأ فمحصّوه، واعرضوه على محلك التصويب والتخطئة قبل البتّ في الحكم، ولا تستعجلوا الأمور[٣].

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ :

التقديم في الآية، فقد قدم خبر (أن) على اسمها، والقصد من ذلك: التشدد على بعض المؤمنين، لتحاشي ما استهجنه الله تَعَالَى اسْمُهُ من محاولتهم اتباع رأي الرَّسُول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ لآرائهم[٤].

---

(١) يُنْظَرُ: الْكَشَّاف: ٣/ ٥٦٠؛ رُوح المَعَانِي: ٢٦/ ١٤٩؛ إعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٧/ ٢٥٠.

(٢) يُنْظَرُ: إعْرَاب الْقُرْآن للنَّحَّاسِ: ٣/ ٢٠٣؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ١٠٨؛ إعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٧/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٣) يُنْظَرُ: مَفَاتِيح الْغَيْب: ٢٨/ ٩٨.

(٤) يُنْظَرُ: إعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٧/ ٢٤٩.

لَوْ يُطِيعُكُمْ :

التعبير بالمضارع دون الماضي، ولم يقل: أطاعكم، وذلك لإفادة الديمومة والاستمرار على أن يعمل ما يرونه صواباً، وإن عليه كلما عنَّ لهم رأي، أو بدأت لهم في الأمور بداءة أن يخلد إليهم، ويفعل ما يعتقدونه حقاً[١] .

حَبَّبَ ... وَكَرَّهَ :

الطباق[٢] في هاتين اللفظتين[٣] .

المعنى العام :

جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ :

اختلف المسفرون في معنى الفسق في هذه الآية على ثلاثة أقوال :

قال ابن زيد، ومقاتل، وسهل بن عبد الله: الفاسق الكذاب .

وقال أبو الحسن الوراق: هو المعلن بالذنب .

وقال ابن طاهر: الذي لا يستحي من الله[٤] .

والذي يبدو راجحاً أن الوليد سمي فاسقاً أي كاذباً، فهو الأوفق بسياق النص القرآني .

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ :

إي اعلموا أن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ بينكم فلا تكذبوا، فإن الله يعلمه أنباءكم فتفضحون .

لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ :

أي لو تسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنالكم مشقة وإثم، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه لكان خطأ، ولعنت من أراد إيقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم، ومعنى طاعة

---

(١) يُنْظَرُ: الْمَصْدَر نَفْسِه: ٧/ ٢٤٩ .

(٢) الطباق هو التضاد، وقيل: الموافقة والمكافئة، وهو الفن الثالث من فنون البديع، وهو أن تأتي بالمعنى وضده. ينظر قانون البلاغة. لأبي طاهر مُحَمَّد بن حيدر البغدادي. الطبعة الرابعة. القاهرة. ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م: ٤٣٦ .

(٣) يُنْظَرُ: إِعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٧/ ٢٤٩ .

(٤) يُنْظَرُ: فتح القدير: ٥/ ٦١؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٦/ ٣١٢.

الرسول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ لهم الائتمار بما يأمر به فيما يبلغونه عن الناس، والسماع منهم[١].

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ :

هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذِّبون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولا يخبرون بالباطل، أي: جعل الإيمان أحب الأديان إليكم، وزينه بتوفيقه في قلوبكم، أي: حسَّنه إليكم حتى أخرتموه[٢].

وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ :

قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ: يريد به الكذب خاصة وقاله ابن زيد .

وقيل: كل ما خرج عن الطاعة. وهذا يتوافق مع المعنى اللغوي لكلمة الفسق[٣].

أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ :

يعني أولئك هم الذين وفقهم الله، فحبب إليهم الإيمان، وكره إليهم الكفر؛ أي: قبحه عندهم هم الراشدون، كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾[٤]، قال النابغة :

يا دار ميـة بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأمد[٥]

---

(١) يُنْظَرُ: الْكَشَّاف: ٣/ ٥٥٨؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٥؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ١٠٩؛ أَنْوَار التَّنْزِيل: ٥/ ٢١٤ .

(٢) يُنْظَرُ: التبيان للطوسي: ٩/ ٣٤٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٥؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ١٠٩؛ أَنْوَار التَّنْزِيل: ٥/ ٢١٤؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٧/ ٥٥٨؛ رُوح المَعَانِي: ٢٦/ ١٤٩ .

(٣) يُنْظَرُ: الْكَشَّاف: ٣/ ٥٥٨؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٥؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ١٠٩؛ رُوح المَعَانِي: ٢٦/ ١٤٩ .

(٤) سورة الروم: من الآية ٣٩ .

(٥) دِيْوَان النابغة الذبياني. مطبعة الهلال. الفجالة. مصر. سنة ١٩١١هـ: ٤٧ .

فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ:

أي فعل الله ذلك بكم فضلاً، أي: الفضل والنعمة، فهو مفعول له والله عليم بما يصلحكم حكيم في تدبيركم[١].

ما يستفاد من النص:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ:

في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً؛ لأنه إنما أمر فيها بالتثبت، ثم نقل خبر الفاسق، ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً؛ لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة يبطلها، وقد استثنى الإجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود، وإثبات حق مقصود على الغير مثل أن يقول: هذا عبدي، فإنه يقبل قوله، وإذا قال: قد أنفذ فلان هذا لك هدية، فإنه يقبل ذلك، وكذلك يقبل في مثل خبر الكافر، وكذلك إذا أقر لغيره بحق على نفسه، فلا يبطل إجماعاً، وأما في الإنشاء على غيره، فقال الشافعي وغيره: لا يكون ولياً في النكاح. وقال أبو حنيفة، ومالك: يكون ولياً؛ لأنه يلي ما لها بضعها كالعدل، وهو وإن كان فاسقاً في دينه، إلا أن غيرته موفرة، وبها يحمي الحريم، وقد يبذل المال، ويصون الحرمة، وإذا ولي المال، فالنكاح أولى[٢].

وفي الآية دليل على أن من قضى بما يغلب على الظن لم يكن ذلك عملاً بجهالة، كالقضاء بالشاهدين العدليين، وقبول قول العالم المجتهد، وإنما العمل بالجهالة قبول قول من لا يحصل غلبة الظن بقبوله[٣].

---

(١) يُنْظَرُ: الْكَشَّاف: ٣/ ٥٥٨؛ التبيان للطوسي: ٩/ ٣٤٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٥ الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ١٠٩؛ أنوار التنزيل: ٥/ ٢١٤؛ رُوح المَعَانِي: ٢٦/ ١٤٩ .

(٢) يُنْظَرُ: تفسير الصنعاني: ٣/ ٢٣١؛ الْكَشَّاف: ٣/ ٥٥٨؛ التبيان للطوسي: ٩/ ٣٤٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٥؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ١٠٩؛ أنوار التنزيل: ٥/ ٢١٤؛ إرشاد العقل السليم: ٨/ ١١٨؛ رُوح المَعَانِي: ٢٦/ ١٤٩ .

(٣) يُنْظَرُ: زاد المسير: ٧/ ٤٦٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٣ .

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ :

في هذا رد على القدرية وغيرهم حسب ما تقدم، فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات الخلق وخلق أفعالهم وصفاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم لا شريك له[1] .

(١) يُنْظَرُ: الْكَشَّاف: ٣/ ٥٥٨؛ التبيان للطوسي: ٩/ ٣٤٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٦/ ٣١٥ الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ١٠٩؛ أنوار التنزيل: ٥/ ٢١٤؛ رُوح الْمَعَانِي: ٢٦/ ١٤٩ .

المَبْحَث الرَّابِع
الرشد الإلهي
ويتضمن ستة مطالب :

المَطْلَب الأَوْل: الدعاء بالرشد

المَطْلَب الثَّانِي: التقرب بالرشد

المَطْلَب الثَّالِث: توقيف الرشد

المَطْلَب الرَّابِع: إقرار الأنبياء بالرشد الإلهي

المَطْلَب الخَامِس: المنّ على الأنبياء بالرشد

المَطْلَب السَّادِس: الرشد والإسلام

المَبْحَث الرَّابِع

الرشد الإلهي

ورد في الْقُـرآن الْكَـريم عـدد مـن الآيـات القرآنيـة الـتي تـبين حقيقـة الرشـد الإلهـي، وفضـل الله تَعَـالَى علـى عبـاده في إرشـادهم إلى طريـق الحـق والفـوز بمرضـاة الله، وأن الرشـد منَّـة مـن مننـه علـى عبـاده، وجـاء تنـاول الْقُـرآن الْكَـريم لهـذا الموضـوع متوافقـاً مـع السـياق العـام للآيـات، ويمكـن توزيـع ذلـك على وفق المطالب الآتية :

المَطْلَب الأَوْل

الدعاء بالرشد

الحـديث في هـذا المطلـب عـن أصـحاب الكهـف، وقصـتهم مشـهورة، أسـتغني بشـهرتها عـن تكرارهـا، وأنتقـل إلى صـلب الموضـوع، وهـو مـا قالـه تَعَالَى: ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾[1] .

تحليل الألفاظ :

أَوَى :

أوى يأوي، جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام[2] .

الْفِتْيَةُ :

الفَتَـى الطَّـريُّ مِـنَ الشّـبَاب، وَالأُنْثَـى فَتَـاةٌ والمَصْـدَرُ فَتَـاءٌ، ويُكَنَّـى بهمـا عَـنِ العَبْـدِ وَالأَمَـة، قـال: ﴿ **تُـرَاوِدُ فَتَاهَـا عَـنْ نَفْسِـهِ** ﴾[3]، والفَـتِيُّ مِـنَ الإِبِـلِ كـالفَتَى مِـنَ الناسِ، وجَمْـعُ الفَتَـى فِتْيَـةٌ وَفِتْيَـانٌ وجَمْـعُ الفَتَـاةِ فَتَيَـاتٌ. و﴿ **الْفِتْيَـةُ** ﴾ جمـع فـتي جمـع تكسـير جمـع قلـة، وكـذلك كـانوا قلـيلين. وعنـد ابـن السـراج أنـه اسـم جمـع لا جمـع تكسير[4] .

الكَهْف:

كالـمَغارة فـي الـجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، والكهـف كالبـيت

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠ .

(٢) الْعَيْن: مَادَةُ (أوى) ٨/ ٤٣٧.

(٣) سورة يوسف: من الآية ٣٠ .

(٤) الْعَـيْن: مَـادَةُ (فتـو) ٨/ ١٣٧؛ الصِّـحَاح: مَـادَةُ (فتـى) ٦/ ٢٤٥٢؛ لِسَـان العَـرَب: مَـادَةُ (فتـا) ١٥/ ١٤٥ .

المنقور في الجبل، وجمعه كُهوف. وتكهّف الجبلُ: صارت فيه كُهوف، وتكهَّفت البئر: صار فيها مثل ذلك. ويقال: فلان كَهْف فلان، أي: ملجأ[١].

لَدُنْكَ :

لَدُنْ أخصُّ من عند؛ لأنه يدلُّ عَلَى ابتداء نِهايَة نحوُ: أقَمْتُ عِنْدَهُ من لَدُنْ طُلُوعِ الشمس إلى غُرُوبِهَا، فَيُوضَعُ لَدُنْ مَوْضِعَ نِهَايَةِ الفِعْلِ. وقد يُوضَعُ مَوْضِعَ عِنْدَ فيما حُكِيَ، يقالُ: أصَبْتُ عِنْدَهُ مالاً ولَدُنْهُ مالاً، قال بعضُهم: لَدُنْ أبْلَغُ من عِنْدَ وأَخَصُّ، قال تعالى: ﴿ **فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا** ﴾[٢]، ويقالُ: مِنْ لَدُنْ، ولَدْ، ولُدْ، ولَدَى[٣].

القراءات القرآنية :

وَهَيِّئْ :

قرأ أبو جعفر وشيبة والزهري: وهيّ ويهيي بياءين من غير همز، يعني: أنه أبدل الهمزة الساكنة ياء.

وعن أبي بكر عن عاصم: وهيئ لنا ويهي لكم لا يهمز. فاحتمل أن يكون أبدل الهمزة ياءً، واحتمل أن يكون حذفها فالأول إبدال قياسي، والثاني مختلف فيه ينقاس حذف الحرف المبدل من الهمزة في الأمر أو المضارع إذا كان مجزوماً[٤].

رَشَدًا :

قرأ أبو رجاء: (رُشْداً)[٥].

وقرأ أبو رجاء: رشد بضم الراء وإسكان الشين. وقرأ الجمهور {رشداً} بفتحهما. قال ابن عطية وقراءة الجمهور هي أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد، وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتهما[٦].

---

(١) تَاج العَرُوْس: مَادَةُ (كهف) ٦/ ٢٤٢ .

(٢) سورة الكهف: من الآية ٧٦ .

(٣) يُنْظَرْ: لِسَان العَرَب: مَادَةُ (لدن) ١٣/ ٣٨٥ .

(٤) النَّشْر فِي القِرَاءات العَشْر: ١/ ٣٩٠؛ البَحْر المُحِيط: ٦/ ١٠٢؛ إتْحَاف فُضَلاء البَشَر: ٢٨٨.

(٥) البَحْر المُحِيط: ٦/ ١٠٢ .

(٦) المحرر الوجيز: ٣/ ١٤؛ البَحْر المُحِيط: ٦/ ١٠٢ .

بعض الأوجه الإعرابية :

إذ : ظرف زمان متعلق بـ(عجباً)، ويجوز أنْ يكون التقدير: اذْكُر إذْ. وجملة (أوى) مضاف إليه (آتنا): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والضمير (نا) مفعول به، الجار (من لدنك) متعلق بحال من (رحمة)، الجار (من أمرنا) متعلق بحال من(رشدا) المفعول[١].

المعنى العام :

ذكرت قصة أصحاب الكهف مجملة، وفصلت بعد ذلك، فقال تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ)، أي: الشباب. (إِلَى الْكَهْفِ) يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم.

(فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً)، أي: تثبتنا بها وتحفظنا من الشر وتوفقنا للخير (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)، أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا. وفسر المفسرون الرحمة بالرزق. وقال الزمخشري: هي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء[٢] .

فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة إلى محل يمكن الاستخفاء فيه وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق. فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم[٣] .

ما يستفاد من النص:

يقول أبو حيان: " ينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فإنها كافية، ويحتمل ذكر الرحمة أن يراد بها أمر الآخرة "[٤] .

---

(١) مشكل إعراب القرآن: ١/ ٤٣٨؛ التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٠٠؛ المجتبى من مشكل إعراب الْقُرْآن الْكَرِيم أبو عَبْد اللَّهِ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجُرُّوم. (ت ٧٢٣ هـ). تَحْقِيق: أ. د. أحمد بن مُحَمَّد الخراط (محقق كتاب الدر المصون). مكتبة المشكاة الإسلامية. بيروت. ـ د. ت ـ: ٢/ ١٠ .

(٢) يُنْظَرْ: الْكَشَّاف: ٢/ ٤٧٣؛ أَنْوَار التَّنْزِيل: ٣/ ٤٨٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٠/ ٣٥٨؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ١٠٢؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت ١٣٧٦ هـ)، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: ٥/ ١٤ .

(٣) يُنْظَرْ: الْكَشَّاف: ٢/ ٤٧٣؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ١٠٢؛ تفسير السعدي: ٥/ ١٤ .

(٤) يُنْظَرْ: الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ١٠٢ .

والآية تبين أن حقيقة الرشد لا تتأتى إلا بالتوجه إِلَى الله تَعَالَى، فهو الذي يمن على عباده بالرشد والتوفيق والسداد، ومن ابتغى طلب الرشد من غيره خاب وخسر.

فالرشد هنا كما في الآيات السابقة هبة ربانية، يمن بها على من يشاء من عباده، وهو الذي ييسر لهم سبل الرشاد .

المَطْلَب الثَّانِي

التقرب بالرشد

قال تَعَالَى اسْمُهُ: ﴿ **إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا** ﴾[1] .

تحليل الألفاظ :

وَاذْكُرْ :

الذِّكْرُ تَارَةً يُقَالُ وَيُرَادُ بِهِ هَيْئَةٌ للنَّفْسِ بِهَا يُمْكِنُ للإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَقْتَنِيهِ مِنَ المَعْرِفَةِ، وَهُوَ كالحِفْظِ إلاّ أنّ الحِفْظ يُقَالُ اعتباراً بِإِحْرَازِهِ، وَالذِّكْرُ يُقَالُ اعتباراً باسْتِحْضَارِهِ، وَتَارَةً يُقَالُ لحضور الشيءِ القَلب أو القولَ، ولذلك قيلَ الذِّكْرُ ذِكْرَانِ: ذِكْرٌ بالقلبِ وَذِكْرٌ باللِّسَانِ، وَكُلُّ واحدٍ منهمَا ضَرْبَانِ، ذِكْرٌ عن نِسْيَانٍ، وَذِكْرٌ لاَ عَنْ نِسْيَانٍ بَلْ عن إدَامَةِ الحِفْظِ وَكلُّ قَوْلٍ يُقَالُ لَهُ ذِكْرٌ، فَمِنَ الذِّكْرِ باللِّسَانِ قولُهُ تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ** ﴾[2]، وَمِنَ الذِّكْرِ عن النسيانِ قولهُ: ﴿ **فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ** ﴾[3]، وَمِنَ الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ واللِّسَانِ مَعاً قولهُ تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾[4][5] .

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٤ .

(٢) سورة الأنبياء: من الآية ١٠ .

(٣) سورة الكهف: من الآية ٦٣ .

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٠٠ .

(٥) يُنْظَرْ: الصِّحَاح: مَادَةُ (ذكر) ٢/ ٦٦٥؛ الْمُفْرَدَات: ١٧٩ .

القراءات القرآنية :

يَهْدِيَنِي :

قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن كثير، وأبو جعفر: (يهديني) وصلاً[١] .

قرأ ابن كثير، ويعقوب: (يهديني) وصلاً ووقفاً[٢] .

بعض الأوجه الإعرابية :

قوله: (إلا أن يشاء الله): (إلا) أداة حصر، والمصدر المؤول منصوب على نزع الخافض الباء أي : ملتبساً بمشيئة الله، والاستثناء مفرغ . وقيل: التقدير: إلا بأن يشاء الله، فالمصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور في موضع النصب على الحال، أي: إلا متلبساً بقول إن شاء الله، وقيل: إن الاستثناء منقطع، وموضع أن يشاء الله نصب على الاستثناء[٣].

وقال أبو البقاء :

في المستثنى منه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ هو من النهي، والمعنى: لا تقولن أفعل غداً، إلا أن يؤذن لك في القول .

والثاني ـ هو من فاعل تقولون، أي: لا تقولن إني فاعل غداً حتى تقرن به قول إن شاء الله .

والثالث ـ أنه منقطع .

وموضع أن يشاء الله نصب على وجهين :

أحدهما ـ على الاستثناء، والتقدير: لا تقولن ذلك في وقت إلا وقت أن يشاء الله، أي: يأذن فحذف الوقت، وهو مراد .

والثاني: هو حال، والتقدير: لا تقولن أفعل غداً إلا قائلا: إن شاء الله ـ فحذف القول وهو كثير، وجعل قوله: أن يشاء في معنى إن شاء، وهو مما حمل على المعنى.

---

(١) يُنْظَرُ: التيسير: ١٤٧؛ السبعة: ٣٨٩؛ النشر: ٢/ ٣١٦؛ غيث النفع: ٢٧٨ .

(٢) يُنْظَرُ: التيسير: ١٤٧؛ الكشف: ٢/ ٨٢؛ السبعة: ٣٨٩؛ النشر: ٢/ ٣١٦؛ غيث النفع: ٢٧٨ .

(٣) يُنْظَرُ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إِعْرَابِ الْقُرْآن: ٢/ ٢٤؛ إِعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيمِ وبَيَانُه: ٤/ ٤٦١ .

وقيل: التقدير إلا بأن يشاء الله، أي: متلبساً بقول إن شاء الله[١].

(إذا) ظرف محض متعلق بـ(اذكر) والمصدر (أن يهدين) فاعل عسى، و (يهدين) فعل مضارع منصوب والنون للوقاية والياء المقدرة مفعول به، الجار (لأقرب) متعلق بـ(يهدين)، الجار (من هذا) متعلق بـ(أقرب)، (رشداً) تمييز[٢].

المعنى العام :

اختلف المفسرون في معنى الآية على ثلاثة أقوال :

أحدها ـ أن المعنى إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يوم، أو شهر، أو سنة. قاله سعيد بن جبير والجمهور .

والثاني ـ أن معنى: (إذا نسيت): إذا غضبت، قاله عكرمة وليس ببعيد؛ لأن الغضب ينتج النسيان[٣] .

والثالث ـ إذا نسيت الشيء، فاذكر الله ليذكرك إياه، حكاه الماوردي[٤] .

ومجيء كلمة (عسى) وكلمة (لأقرب) للدلالة على ارتفاع هذا المرتقى، وضرورة المحاولة الدائمة للاستواء عليه في جميع الأحوال[٥] .

ما يستفاد من النص:

يؤخذ من عموم قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه. وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه ولا يكونن من الغافلين. ولما كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله أمره الله أن يقول: ﴿ **عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا** ﴾، فأمره أن يدعو الله

(١) التِّبْيَان فِي إِعْرَاب الْقُرْآن: ٢/ ١٠١.

(٢) يُنْظَرْ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إِعْرَاب الْقُرْآن: ٢/ ٢٤ .

(٣) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ١٥/ ٢٢٩؛ زَاد الْمَسِيْر: ٥/ ١٢٧؛ تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم: ٣/ ٨٠ .

(٤) النكت والعيون: ٣/ ١٢ .

(٥) يُنْظَرْ: فِي ظِلال الْقُرْآن، سيد قطب، الطَّبْعَة الأُولَى، دَار الشروق، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م: ٥/ ٢٢٦٦.

ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد. وحري بعبد تكون هذه حاله ثم يبذل جهده ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد أن يوفق لذلك، وأن يأتيه المعونة من ربه وأن يسدده في جميع أموره[١].

إن كل حركة، وكل نفس من أنفاس الحي، مرهون بإرادة الله. فلا يقل إنسان: إني فاعل ذلك غداً، وغدا في غيب الله، وأستار غيب الله دون العواقب. وليس معنى هذا أن يقعد الإنسان، لا يفكر في أمر المستقبل ولا يدبر له؛ وأن يعيش يوماً بيوم، لحظة بلحظة. وألا يصل ماضي حياته بحاضره وقابله، ولكن معناه أن يحسب حساب الغيب وحساب المشيئة التي تدبره، وأن يعزم ما يعزم ويستعين بمشيئة الله على ما يعزم، ويستشعر أن يد الله فوق يده، فلا يستبعد أن يكون لله تدبير غير تدبيره. فإن وقفة الله إلى ما اعتزم فبها. وإن جرت مشيئة الله بغير ما دبر لم يحزن ولم ييأس، لأن الأمر لله أولاً وأخيراً[٢].

المَطْلَب الثَّالث
توقيف الرشد

قال جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾[٣].

تحليل الألفاظ:

لا نَدْرِي:

الدّرايةُ المعْرفَةُ المُدْركَةُ بضَرْبٍ مِنَ الْخَتْلِ، يُقَالُ: دَرَيْتُهُ وَدَرَتُ بِهِ دِرْيَةً نحوُ: فَطِنْتُ، وَشَعَرْتُ، وَأَدَّرَيْتُ[٤].

ودَرَى الشيءَ دَرْياً ودِرْياً، ودِرْيَةً ودِرْياناً ودِرايَةً: عَلِمَهُ. ويقال: دَرَيْت الشيءَ أَدْريهِ عَرَفْته، وأَدْرَيْتُه غيري إذا أَعْلَمْته. وأَدْراه به: أَعْلَمه. والعرب ربما حذفوا الياء من قولهم: لا أَدْرَ في موضع لا أَدْرِي، يكتَفُون بالكسرة منها، وإنما قالوا: لا أَدْرِ بحذف الياء لكثرة الاستعمال[٥].

---

(١) يُنْظَرْ: تفسير السعدي: ٥/ ١٢٥.

(٢) يُنْظَرْ: فِي ظِلال الْقُرْآن: ٥/ ٢٢٦٦.

(٣) سورة الجن: الآية ١٠ .

(٤) الْمُفْرَدَات: ١٦٨ .

(٥) الصِّحَاح: مَادَةُ (درى) ٦/ ٢٣٣٥، لِسَان العَرَب: مَادَةُ (دري) ١٤/ ٢٤٥ .

أَشَرٌّ :

الشَّرُّ الذي يرْغَبُ عنه الكلُّ، كما أنَّ الخَيْرَ هو الذي يرْغبُ فيه الكُلُّ، وَرَجُلٌ شَرِيرٌ وَشِرِّيرٌ مُتَعاطٍ للشرِّ وقومٌ أشرَارٌ[١].

القراءات القرآنية :

وَأَنَّا :

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وشعبة، ويعقوب، والحسن، ومجاهد: (وإِنَّا)[٢].

بعض الأوجه الإعرابية :

جملة (لا ندري) خبر (أنَّ)، والهمزة للاستفهام، ويليها غالبًا الفعل، وقد يليها الاسم كهذه الآية، و (أشر) فيه وجهان: الرفع بفعل مضمر على الاشتغال، والثاني: الرفع على الابتداء، وجملة أريد هي الخبر، والأول أرجح لتقدم ما هو طالب للفعل، وهو همزة الاستفهام، وجملة (أشر أريد) سدَّت مسدَّ مفعولي درى، و(أم) عاطفة متصلة، وجملة (أراد بهم ربهم) معطوفة على جملة (أشرٌّ أريد)، والجملة هذه بتأويل مفرد، أي : أشر أريد بهم أم خير[٣] ؟

القضايا البلاغية :

في الآية اختلاف صورة الكلام لاختلاف الأحوال، فإن ما قبل (أم) صورة من الكلام تخالف صورة ما بعدها، لأن الأولى فيها فعل الإرادة مبني للمجهول، والثانية فيها فعل الإرادة مبني للمعلوم، والحال الداعي لذلك نسبة الخير إليه سبحانه في الثانية، ومنع نسبة الشر إليه في الأولى[٤].

---

(١) الْمُفْرَدَات: ٢٥٧؛ الْقَامُوس الْمُحِيط: مَادَةُ (الشر) ٢/ ٥٧ .

(٢) يُنْظَرُ: إِعْرَاب الْقُرآن للنَّحَّاس: ٣/ ٥٢١؛ الحجة فِي القراءات السبع، لأبي عَبْد اللَّه الحسين بن أَحْمَد بن خالويه، (ت ٣٧٠ هـ)، تَحْقِيق: د. عَبْد العال سالم مكرم. الطَبْعَة الرابعة، دَار الشروق، بَيْرُوْت، ١٤٠١هـ: ٣٥٤؛ الحجة لأبي زرعة: ٧٢٧ .

(٣) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إِعْرَاب الْقُرآن: ٣/ ٥٧٢؛ إِعْرَاب الْقُرآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٨/ ٩٣ .

(٤) إِعْرَاب الْقُرآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٨/ ٩٦- ٩٧ .

المعنى العام :

بعد بعثة رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ ملئت السماء بالملائكة الحفظة، وقد استغرب الجن من هذه الحراسة، فقالوا: (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشداً)، أي: خيراً كالتتمة لذلك، فالحامل في الحقيقة تغيير الحال عما كانوا ألفوه، والاستشعار أنه لأمر خطير والتشوق إلى الإحاطة به خبراً[١].

ولا يخفى ما في قولهم: (أشر أريد) الخ، من الأدب حيث لم يصرحوا بنسبة الشر إلى الله عز وجل، كما صرحوا به في الخير، وأن كان فاعل الكل هو تعالى ولقد جمعوا بين الأدب وحسن الاعتقاد[٢].

وفي معنى كلام الجن قولان :

الأول ـ أنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بإرسال مُحَمَّد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ إليهم فيكذبونه فيهلكون، أم أراد بهم ربهم رشداً، وهو أن يؤمنوا فيهتدوا، قاله مقاتل[٣].

والثاني ـ أنه قول كفرة الجن، والمعنى: لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بحدوث الرجم بالكواكب أم صلاح، قاله الفراء[٤].

أي: أننا معشر الجن لا نعلم: أشر أراد الله أن ينزله بأهل الأرض ؟ أم أراد بهم خيرا وهدى ؟

والمقصد الذي أراده الجن أن الغيب موكول لله وحده؛ لا تعرفه الجن.

ما يستفاد من النص:

مع أنه كان شائعاً بين الناس أن الجن يعلمون الغيب، أو هكذا حاول الجن إيهام الناس، لذا بين الْقُرآن الْكَرِيم حقيقة الجن، وأنهم لا يعلمون الغيب، فهم لا يعلمون الحكمة من إرسال الرسل، أهي للخير، أم هي للشر، وبغض النظر عن الذين توجهوا إليهم بالخطاب أهم قومهم أم هو خطاب للناس .

---

(١) ينظر رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٨٩ .

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٤؛ حاشية الشهاب: ٨/ ٢٥٧ .

(٣) زَاد المَسِيْر: ٨/ ٣٨٠ .

(٤) مَعَانِي الْقُرآن للفَرَّاء: ٣/ ١٩١ .

وهذا النص يفيد كما أفادته النصوص السابقة أن أمر الرشد ومعرفته موكول إلى الله تَعَالَى فلا يتأتى للبشر الإحاطة به، وإن كانوا قادرين على الأخذ به، ولكن تفويض ذلك كله يعود إلى الله جَلَّ جَلالُهُ .

المَطْلَب الرَّابِع

إقرار الأنبياء بالرشد الإلهي

قال سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾[١] .

سبب النزول :

إن كفار قريش قالوا لرسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ: إنك جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾[٢] .

تحليل الألفاظ :

ضَرًّا :

الضُّرُّ سُوءُ الحال إمَّا في نَفْسِه لِقلّة العِلْم وَالْفَضْل والعِفّة، وإمَّا في بَدَنِه لِعَدَم جَارِحَةٍ ونَقْص، وإمَّا في حَالَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْ قِلَّةِ مَال وجاهٍ، وقولُهُ: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾[٣] فهو مُحْتَمِلٌ لِثلاثَتِهَا، ويقالُ ضَرَّهُ ضُرّاً جَلَبَ إليه ضُرّاً[٤] .

القراءات القرآنية :

قُلْ إِنِّي لا :

قرئ ـ دون نسبة ـ: (قال لا)[٥] .

رَشَدًا :

١. قرأ الأعرج: (رُشُدًا)[٦] .

٢. قرئ ـ دون نسبة ـ: (رَشْدًا)[٧] .

---

(١) سورة الجن: الآية ٢١ .

(٢) جَامِع الْبَيَان: ٢٩/ ١١٩؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٩/ ٢٥ .

(٣) سورة الأنبياء: من الآية ٨٤ .

(٤) يُنْظَرْ: الْمُفْرَدَات: ٢٩٣؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (ضرر) ٤/ ٤٨٦ .

(٥) الْكَشَّاف: ٤/ ١٧١ .

(٦) الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ٣٥٣ .

(٧) مختصر شواذ القراءات: ١٦٣ .

بعض الأوجه الإعرابية :

في الآية كلام مستأنف مسوق للرد، والجار (لكم) متعلق بحال من (ضراً) [١].

القضايا البلاغية :

جوز أن يكون في الآية الإحتباك[٢]، والأصل: لا أملك لكم ضراً، ولا نفعاً، ولا غياً، ولا رشداً، فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر[٣].

المعنى العام :

يخبر الله تَعَالَى نبيه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ أن يخبر المشركين أنه لا يملك لهم ضراً ولا رشداً، أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً، ولا أسوق لكم خيراً .

وقيل: لا أملك لكم ضراً، أي: كفرا، ولا رشدا، أي: هدى، أي: إنما علي التبليغ.

وقيل: الضر العذاب، والرشد النعيم، وهو الأول بعينه .

وقيل: الضر الموت، والرشد الحياة[٤] .

وفي الآية تعبير باسم السبب عن المسبب. والمعنى: لا أستطيع أن أضركم، ولا أنفعكم إنما الضار والنافع هو الله عز وجل، أو لا أملك لكم غياً، ولا رشداً، على أن الضر مراد به الغي تعبير باسم السبب عن المسبب. ويدل عليه قراءة أبيّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ: (غيا) [٥] بدل ضراً. والمعنى: لا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد، إنما القادر على ذلك هو الله سبحانه وتعالى[٦] .

وهنا يؤمر الرسول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ أن يتجرد، ويؤمر أن ينفض يديه من كل ادعاء لشيء هو من خصائص الله الواحد الذي يعبده

---

(١) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إِعْرَابِ الْقُرْآن: ٣/ ٥٧٢ .

(٢) الاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر، ينظر التعريفات للجرجاني: ٢٥.

وقيل: وهو أن يصرح في كل موضع بما سكت عنه في الآخر ليفيد إرادة كل من الاختصار. ينظر حاشية ابن عابدين: ٢/ ٥٨٦.

(٣) رُوحِ المَعَانِي: ٢٩/ ٩٤ .

(٤) يُنْظَرْ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٩/ ٢٥.

(٥) يُنْظَرْ: الكشاف: ٤/ ٦٣١. المحرر الوجيز: ١٥/ ١٤٩. مَفَاتِيح الْغَيْب: ٨/ ٣٢٧؛ رُوحِ المَعَانِي: ٢٩/ ٩٤ .

(٦) يُنْظَرْ: الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ٣٥٣؛ رُوحِ المَعَانِي: ٢٩/ ٩٤ .

ولا يشرك به أحداً. فهو وحده الذي يملك الضر ويملك الخير. ويجعل مقابل الضر الرشد، وهو الهداية، كما جاء التعبير في مقالة الجن من قبل: ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[١]، فيتطابق القولان في اتجاههما وفي ألفاظهما تقريباً، وهو تطابق مقصود في القصة والتعقيب عليها، كما يكثر هذا في الأسلوب القرآني[٢].

ما يستفاد من النص:

اعتراف الرسول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ بعجزه عن النفع والضر وحرصه على التبليغ وجعل الأمور بيد الله، ومن ذلك الرشد، ففي الآية تأكيد لما سبق من أن الرشد منّة إلهية لا يحيط بها البشر .

وبهذا وذلك يتجرد الجن، ويتجرد النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ وتتفرد الذات الإلهية بهذا الأمر. ويستقيم التصور الإيماني على هذا التجرد الكامل الصريح الواضح .

المَطْلَب الخَامِس
المنّ على الأنبياء بالرشد

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾[٣] .

تحليل الألفاظ :

عَالِمِينَ :

العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره. من ذلك العَلامة، وهي معروفة، يقال: عَلَّمت على الشيء علامة، ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامةٌ في الحرب، وخرج فلانٌ مُعْلِمًا بكذا. والعِلْم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العَلَم والعلامة، وتعلّمت الشَّيءَ: إذا أخذت علمَه، والعرب تقول: تعلّمْ أنّه كان كذا، بمعنى اعلَمْ[٤] .

---

(١) سورة الجن: الآية ١٠ .
(٢) يُنْظَرْ: في ظلال القرآن: ٨/ ٣٧٣٦ .
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٥١ .
(٤) يُنْظَرْ: مقاييس اللغة: ٤ / ١١٠ .

القراءات القرآنية :

قرأ عيسى الثقافي: (رَشَدَه) [١].

وهما لغة كالحزن والحزن[٢] .

بعض الأوجه الإعرابية :

جملة (ولقد آتينا) معطوفة على جملة (لقد آتينا) في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[٣]، والجار (من قَبْلُ) متعلق بـ(آتَيْنَا)، وجملة (كُنَّا) معطوفة على جملة (آتَيْنَا)[٤] .

المعنى العام :

اختلف المفسرون في معنى الرشد في قوله تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده) على الأقوال الآتية:

قيل: الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار، وهو الرشد الكامل، أي: الاهتداء إلى وجوه الصلاح في الدين والدنيا والإرشاد بالنواميس الإلهية[٥] .

وقيل: الصحف[٦] .

وقيل: الحكمة[٧] التوفيق للخير صغيراً[٨] .

واختار بعضهم التعميم[٩]، وهو الذي يبدو مناسباً؛ لأنه شاملٌ لجميع هذه المعاني .

---

(١) يُنْظَرُ: الْكَشَّاف: ٢/ ٥٧٥؛ مَفَاتِيح الْغَيْب: ٢٢/ ١٨٠؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ٣٢٠.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣ / ١٢١؛ ومفاتيح الغيب :٢٢ / ١٨٠ .

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٨ .

(٤) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إِعْرَاب الْقُرْآن: ٢/ ٣٢٦.

(٥) إِرْشَاد الْعَقْلِ السَّلِيمِ: ٣ / ٥٢٤ .

(٦) البحر المحيط: ٦ / ٣٣٠ .

(٧) المصدر السباق: ٦/ ٣٣٠.

(٨) ينظر: جامع البيان: ٣ / ٣٦؛ والوَسِيْط فِي تَفْسِيْر الْقُرآن الْمَجِيْد، لأبي الْحَسَن علي بن أَحْمَد النيسابوري الواحدي، (ت ٤٦٨هـ)، تَحْقِيق وتعليق: الشيخ عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، و د. أَحْمَد مُحَمَّد صبرة، و د. أَحْمَد عَبْد الغني الحيل مكتبة الباز، مكتبة المدينة المنورة ،(د. ت.): ٣ / ٤٦؛ والمحرر الوجيز: ١٠ / ١٦١ .

(٩) ينظر: البحر المحيط: ٦ / ٣٣٠ .

(من قبل)، اختلف فيها المفسرون على أقوال:

أي: من قبل موسى وهارون. روي عن ابن عباس، وابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهم ـ[١].

وقيل: من قبل البلوغ حين خرج من السرب[٢].

وقيل: من قبل أن يولد حين كان في صلب آدم ـ عليه السلام ـ[٣].

وقيل: من قبل مُحَمَّد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ[٤].

قال في الكشف: " وهو الوجه الأوفق لفظاً ومعنى، وأما الأول فللقرب، وأما الثاني فلأن ذكر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ للتأسي، وكان القياس أن يذكر نوح ثم إبراهيم ثم موسى ـ عليهم السلام ـ لكن روعي في ذلك ترشيح التسلي والتأسي، فقد ذكر موسى ـ عليه السلام ـ؛ لأن حاله وما قاساه من قومه، وكثرة آياته، وتكلف أمته أشبه بحال نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم ثنى بذكر إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وقيل ﴿ من قبل ﴾ لهذا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ ﴾[٥]، أي: من قبل هؤلاء المذكورين، وقيل: من قبل إبراهيم ولوط "[٦].

(وكنا به عالمين)، أي: بأحواله وما فيه من الكمالات، وهذا كقولك في خير الناس: أنا عالم بفلان، فإنه من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل[٧].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب :٢٢ / ١٨٠؛ البحر المحيط: ٦ / ٣٣٠ .

(٢) الوسيط: ٣/ ٢٤١ .

(٣) مفاتيح الغيب :٢٢ / ١٨٠ .

(٤) الفُتُوحَات الإلهية بتوضيح تَفْسِيْر الجلالين للدقائق الخفية، للعلامة الشيخ سليمان الجمل، القاهرة، مصر، (د. ت): ٣ / ١٣٢ .

(٥) سورة الأنبياء: من الآية ٧٦ .

(٦) الكَشْف عَلَى الكشاف، لعَبْد الرَّحْمَن الفارسي القزويني، (ت ٧٣٩ هـ)، مخطوط فِي مكتبة الأوقاف العامة، بَغْدَاد، رقم (٢٢٩٦) بخط عَبْد الغفار بن سعيد بن عبيد الله سنة (٨١٩هـ): الورقة الخامسة .

(٧) رُوح المَعَانِي: ١٧/ ١٣٩.

ما يستفاد من النص:

هذه الآية تقرر أن المن على العباد بالرشاد، كما هو المن على الأنبياء ـ عَلَيْهِمِ السَّلام ـ إنما هو من الله تَعَالَى، فلهذا أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنه من على إبراهيم بأن آتاه رشده، كما أن رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ صرح أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا رشداً .

المَطْلَب السَّادِس

الرشد والإسلام

قال جَلَّ شَأْنُه: ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** ﴾[١] .

تحليل الألفاظ :

الْمُسْلِمُونَ :

السَّلْمُ والسَّلامَةُ: التَّعَرِّي مِنَ الآفَاتِ الظاهرةِ والباطنةِ، وقد سَلِمَ يَسْلَمُ سَلامَةً وسَلاماً وسَلَّمَهُ اللَّهُ، وقولُه تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾[٢]، وقولُه: ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِماً** ﴾[٣]، أي: اجْعَلْنِي مِمَّنِ اسْتَسْلَمَ لِرِضَاكَ، ويَجُوزُ أنْ يكونَ معْنَاهُ: اجْعَلْنِي سَالِماً عنْ أسْرِ الشَّيْطَانِ حيْثُ قَالَ: ﴿ **لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾[٤]. وقولُه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾[٥]، أي: مُنقادُونَ لِلحقِّ مذْعِنُونَ له. وقولُهُ: ﴿ **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** ﴾[٦]، أي: الذينَ انقَادُوا مِنَ الأنبياءِ الذِينَ ليْسُوا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ لأُولِي الْعَزْمِ الذينَ يهْتَدُونَ بأَمْرِ اللَّهِ ويَأْتُونَ بِالشَّرَائِعِ[٧].

---

(١) سورة الجن: الآية ١٤ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٩ .

(٣) سورة يوسف: من الآية ١٠١ .

(٤) سورة (ص): الآيتان ٨٢ –٨٣ .

(٥) سورة البقرة: من الآية ١٣٢ .

(٦) سورة المائدة: من الآية ٤٤ .

(٧) يُنْظَرُ: الْمُفْرَدَات: ٢٤٠؛ مَجْمَع الْبَحْرَيْنِ: مَادَةُ (سلم) ٢/ ٤٠٧ .

الْقَاسِطُونَ:

القِسْطُ هو النَّصِيبُ بالعَدْل كالنَّصْف والنَّصَفَة، قال: ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ** ﴾[١]. والقِسْطُ هو أنْ يَأْخُذَ قِسْطَ غَيْرِهِ وذلك جَوْرٌ، والإقْسَاطُ: أنْ يُعْطِي قِسْطَ غَيْرِهِ وذلك إنْصَافٌ، ولذلك قيل: قَسَطَ الرَّجُلُ إذا جَارَ، وأقْسَطَ إذا عَدَلَ، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** ﴾[٢]، وقال: ﴿ **وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[٣] والقِسْطَاسُ المِيزَانُ ويُعَبَّرُ به عن العَدَالَةِ كما يُعَبَّرُ عنها بالمِيزَانِ[٤].

تَحَرَّوْا:

يقال: هو حَرِيٌّ أن يفعل، أي خليقٌ وجديرٌ، ولا يثنّى ولا يجمع؛ وإذا قلت: هو حَرٍ بكسر الراء، وحَرِيٌّ على فَعِيل، ثَنَّيْتَ وجمعتَ فقلت: هما حَرِيَّان، وهُمْ حَرِيُّونَ، وأَحْرِيَاءُ، وهي حَرِيَّةٌ، وهُنَّ حَرِيَّاتٌ وحَرَايَا، وأنتم أَحْرَاءٌ: جمع حَرٍ؛ ومنه اشْتُقَّ التَحَرِّي في الأشياء ونحوها، وهو طَلَبُ ما هو أَحْرَى بالاستعمال في غالب الظنّ، وفلانٌ يَتَحَرَّى الأمرَ، أي: يتوخّاه ويقصده. وتَحَرَّى فلانٌ بالمكان، أي: تَمَكَّثَ؛ وقوله تعالى: ﴿ **فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** ﴾[٥]، أي: توخَّوا وعَمَدُوا[٦].

القراءات القرآنية :

قرأ الأعرج: (رُشُدًا)[٧].

بعض الأوجه الإعرابية :

المصدر المؤول معطوف على المصدر السابق، وجملة (منَّا المسلمون) خبر (أن)، وجملة (منا القاسطون) معطوفة على جملة (منَّا المسلمون)، وجملة الشرط معطوفة على جملة (منَّا المسلمون)، والرابط مقدر، أي : أسلم منَّا، (رشدًا) مفعول به[٨].

---

(١) سورة يونس: من الآية ٤ .

(٢) سورة الجن: من الآية ١٥ .

(٣) سورة الحجرات: من الآية ٩ .

(٤) يُنظَرُ: الصِّحَاح: مَادَةُ (قسط) ٣/ ١١٥٢؛ الْمُفْرَدَات: ٤٠٣ .

(٥) سورة الجن: الآية ١٤ .

(٦) يُنْظَرُ: الْعَيْن: مَادَةُ (حرو) ٣/ ٢٨٦؛ تَهْذِيب اللُّغَة: ٥/ ٢١٣ .

(٧) الْبَحْر الْمُحِيط: ٨/ ٣٥٣ .

(٨) يُنظَرُ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إِعْرَاب الْقُرْآن: ٢/ ٥٧٣؛ إِعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٨/ ٩٥ .

المعنى العام :

وقرأ الأعرج: (رشدا) [١] بضم الراء وسكون الشين .

﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ** ﴾، أي: وأنا منا الخاضعون لله بالطاعة، ﴿ **وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ** ﴾: ومنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق، ﴿ **فَمَنْ أَسْلَمَ** ﴾ وخضع لله بالطاعة، والإشارة إلى من أسلم، والجمع باعتبار المعنى .

﴿ **فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** ﴾ الذين قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في اختياره فهداهم الله إليه [٢] .

وهذا التقرير من الجن بأن منهم صالحين وغير صالحين، مسلمين وقاسطين، يفيد ازدواج طبيعة الجن، واستعدادهم للخير والشر كالإنسان إلا من تمحض للشر منهم وهو إبليس وقبيله[٣].

ما يستفاد من النص:

هذا تقرير لما تأيد في الآيات السابقة من أن الرشد هو منحة إلهية وأن الهداية إليه مرتبطة بمشيئة الله تعالى .

---

(١) يُنْظَرْ: البحر المحيط: ٨/ ٣٥٠ .

(٢) يُنْظَرْ: إرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٥.

(٣) يُنْظَرْ: في ظلال القرآن: ٨/ ٣٧٣٧ .

الفصل الثالث

آياتُ الغي في الْقُرآن الْكَرِيم
ويتضمن ستة مباحث :

المَبْحَث الأَوْل: علاقة الغواية بالإرادة الإلهية

المَبْحَث الثَّانِي: غواية الأنبياء

المَبْحَث الثَّالِث: غواية الناس بعضهم بعضا

المَبْحَث الرَّابِع: غواية الشيطان

المَبْحَث الخَامِس: سبيل الغي

المَبْحَث السَّادِس: جزاء الغواية

المَبْحَث الأَوْل
علاقة الغواية بالإرادة الإلهية
ويتضمن مطلبين :

المَطْلَب الأَوْل: الفصل بين الرشد والغي

المَطْلَب الثَّانِي: النصح والغواية

المَطْلَب الأَوْل

الفصل بين الرشد والغي

قال تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

سبب النزول :

في سبب نزول الآية أربعة أقوال :

أحدها: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعش لها ولد، تحلف لئن عاش لها ولد لتهودنه، فلما أجليت بني النضير كان فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقال الأنصار: يا رسول الله ! أبناؤنا، فنزلت هذه الآية، وهذا قول ابن عباس، وقال الشعبي: قالت الأنصار: والله لنكرهنَّ أولادنا على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود، إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية[2] .

والثاني: أن رجلاً من الأنصار يقال له أبو الحصين، تنصر له ولدان قبل أن يبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا فاختصموا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت هذه الآية، وهذا قول مسروق[3] .

والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بني النضير، قالوا: والله ليذهبن معهم ولنذهبن بدينهم، فمنعهم أهلوهم وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. روي عن مجاهد[4] .

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦ .

(٢) سُنَن أَبِي دَاوُد: ٣/ ٥٨ رقم: (٢٦٨٢)؛ سُنَن النَّسَائِيّ الكُبْرَى: ٦/ ٣٠٤ رقم: (١١٠٤٨)؛ صَحِيح ابْن حِبَّانَ: ١/ ٣٥٢ رقم: (١٤٠).

(٣) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٣/ ١٥؛ زَاد المَسِيْر: ١/ ٣٠٤؛ العجاب في بيان الأسباب: ١/ ٦١٢ لباب النقول: ٤٨ .

(٤) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٣/ ١٥؛ زَاد المَسِيْر: ١/ ٣٠٤؛ العجاب في بيان الأسباب: ١/ ٦١٢ لباب النقول: ٤٨ .

والرابع ـ أن رجلا من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح كان يكرهه على الإسلام فنزلت هذه الآية. روي عن مجاهد أَيْضًا[١] .

تحليل الألفاظ :

إِكْرَاه :

قيلَ: الكَرْهُ وَالكُرْهُ واحِدٌ نحوُ: الضَّعْفُ وَالضُّعْفُ، وقيلَ: الكَرْهُ المَشَقّةُ التي تَنَالُ الإِنْسَانَ مِن خارجٍ فيما يُحْمَلُ عليه بإِكْرَاهٍ، وَالكُرْهُ مَا يَنَالُهُ من ذاتِهِ وهو يَعافُهُ. وَالإِكْرَاهُ يقالُ في حَمْلِ الإِنْسَانِ عَلى مَا يَكْرَهُهُ[٢].

بِالطَّاغُوتِ :

طَغَوْتُ وَطَغَيْتُ طَغَوَاناً وَطُغْيَاناً وَأَطْغَاهُ كذا حَمَلَهُ عَلَى الطُّغْيَان، وَذلك تجَاوُزُ الحَدِّ في الْعِصْيَان، قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ طَغَى** ﴾[٣]، وَالطّغْوَى الاسمُ منه. والطاغوتُ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مُتَعَدٍّ، وكُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ويُسْتَعْمَلُ في الواحِدِ وَالجَمع، وَلِمَا تَقَدَّمَ سُمِّيَ السَّاحِرُ، والكاهنُ، والمارِدُ مِنَ الجِنِّ، والصارفُ عَنْ طَرِيقِ الخَيْرِ طاغُوتاً، وَوَزْنُهُ فيما قيلَ فَعَلُوتٌ نحوُ جَبَرُوتٍ ومَلَكُوتٍ، وقيلَ: أَصْلُهُ طَغَوُوتٌ ولكنْ قُلِبَ لامُ الفِعل نحوُ صاعقَة وصاقعَة، ثم قُلِبَ الواوُ ألفاً لتَحَرُّكِهِ وانْفِتَاحِ ما قَبْلَهُ. وطاغُوتٌ وإِنْ جاء على وزن لاهوت، فهو مقلوب لأنَّه من طَغَا، ولاهوت غير مقلوب لأنَّه من لاَه، بمنزلة الرَغَبُوتِ والرَهَبُوتِ؛ والجمع الطَوَاغِيتُ[٤] .

بِالْعُرْوَةِ :

يقالُ: عَرِيَ مِنْ ثَوْبِهِ يَعْرَى فهو عارَ وَعُرْيَانٌ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى** ﴾[٥]، وهو عَرُوٌّ مِنَ الذَّنْبِ، أي: عارٍ. والعُرْوَةُ: مَا يَتَعَلَّقُ به

(١) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٣/ ١٥؛ زَاد المَسِيْر: ١/ ٣٠٤؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٤/ ٨٦؛ العجاب في بيان الأسباب: ١/ ٦١٢ لباب النقول: ٤٨ .

(٢) يُنْظَرْ: الصِّحَاح: مَادَةُ (كره) ٦/ ٢٢٤٧؛ الْمُفْرَدَات: ٤٢٩ .

(٣) سورة طه: الآية ٢٤ .

(٤) الْمُفْرَدَات: ٣٠٤؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (طلي) ١٥/ ١٤ .

(٥) سورة طه: الآية ١١٨ .

مـنْ عُـراهُ، أي: نَاحِيَتِـهِ، قـال تعـالى: ﴿ فَقَـدْ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى ﴾[١]، وذلـك علـى سَـبِيلِ التَّمْثِيـلِ. والعُـرْوَةُ أَيْضـاً شَـجَرَةٌ يَتَعَلَّـقُ بهـا الإِبِـلُ ويقـالُ لَهَـا عُـرْوَةٌ وَعَلْقَةٌ[٢].

الْوُثْقَى :

وثِقْتُ بـه أَثِـقُ ثِقَـةً: سَـكَنْتُ إليـه واَعْتَمَـدْتُ عليـه، وأَوْثَقْتُـهُ شَـدَدْتُهُ، والوثَـاقُ والوِثَـاقُ اسْـمَانِ لِمَـا يُوثَـقُ بـه الشـيءُ، والْـوُثْقَى تأنيـثُ الأوثَـق. والمِيثـاقُ عَقْـدٌ مُؤَكَّـدٌ بِـيَمِينٍ وعَهْـدٍ، والمَوْثِـقُ الاسـمُ منـه؛ قـال: ﴿ حَتَّـى تُؤْتُـونِ مَوْثِقًـا مِـنَ اللَّـهِ ﴾[٣]، والوُثْقَى: قَرِيبَةٌ مـن المَوْثِـق، قـال: ﴿ فَقَـدْ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى ﴾، وقـالُوا: رجُـلٌ ثِقَةٌ، وقَوْمٌ ثِقَةٌ ويُسْتَعَارُ للمَوْثُوقِ به، وناقةٌ مُوثَقَةُ الخَلْقِ مُحْكَمَتُهُ[٤].

انفِصَامَ :

الفـاء والصـاد والمـيم أصـلٌ صـحيح يـدلُّ علـى انصـداعِ شـيءٍ مـن غـير بَيْنُونة. من ذلك الفَصْم، وهـو أن ينصَـدِع الشـيء مـن غـير أن يَـبين، وكـلُّ مـنحنٍ مـن خَشَـبَةٍ وغيرهـا فهـو مفصـوم، وفَصْـمُ الشـيء: كسـره مـن غـير أن يبـين، تقول: فَصَمْتُهُ فانْفَصَمَ، قال تعالـى: ﴿ لا انفِصَامَ لَهَا ﴾[٥]، وتَفَصَّمَ مثله[٦].

القراءات القرآنية :

قَدْ تَبَيَّنَ:

الجمهـور علـى إدغـام الـدال في التـاء؛ لأنهـا مـن مخرجهـا وتحويـل الـدال إلى التـاء أولى؛ لأن الـدال شـديدة، والتـاء مهموسـة والمهمـوس أخـف ويقـرأ بالإظهار وهو ضعيف[٧].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦ .

(٢) الجمل: ٣/ ٦٦٤؛ الْمُفْرَدَات: ٣٣٢؛ الأفعال: ١/ ٢٥١ .

(٣) سورة يوسف: من الآية ٦٦ .

(٤) يُنْظَرُ: الْعَيْن: مَادَةُ (وثق) ٥/ ٢٠٢؛ الْمُفْرَدَات: ٥١١ –٥١٢ .

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦ .

(٦) غَرِيب الْحَدِيث لابن سَلاّم: ١/ ٣٠٦؛ مُعْجَم مَقَايِيس اللُّغَة: ٥/ ٥١٠ .

(٧) التِّبْيَان فِي إِعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ١٠٧ .

الرُّشْدُ :

١. قرأ الحسن: (الرُّشُد)[١] .

٢. قرأ أبو عَبْد الرَّحْمَن، والشعبي، والحسن، ومجاهد: (الرَّشَد)[٢] .

٣. قرأ أبو عَبْد الرَّحْمَن: (الرَّشَاد)[٣] .

الْوُثْقَى :

قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وورش بالإمالة[٤] .

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٢٥٦)﴾ .

جملة (قد تبيَّن الرشد) مستأنفة، الجار (من الغيّ) متعلق بـ(تبين) مضمّناً معنى تميّز. (لا انفصام لها) : (لا) : نافية للجنس تعمل عمل (إنّ)، و (انفصام) اسمها مبني على الفتح، و (لا انفصام لها) في موضع نصب على الحال من العروة، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في (الوثقى). قوله (فمن): الفاء مستأنفة، (من) اسم شرط مبتدأ . وجملة (والله سميع عليم) مستأنفة، وهما خبران مرفوعان[٥].

القضايا البلاغية :

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى :

استعارة تصريحية تمثيلية[٦]، فقد شبّه من يسلك سبيل الله بمن أخذ

---

(١) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٣/ ٢٧٩؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٢/ ٢٨٢ .

(٢) إِعْرَاب الْقُرْآن للنَّحَّاس: ١/ ٢٨٣؛ التِّبْيَان فِي إِعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ٦٣ .

(٣) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٣/ ٢٧٩؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٢/ ٢٨٢ .

(٤) غَيْث النَّفْع: ١٦٩ .

(٥) يُنْظَرْ: التِّبْيَان فِي إِعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ١٠٧ –١٠٨؛ الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إِعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ٤٢ .

(٦) الاستعارة التصريحية:

ما صرّح فيها بلفظ المشبه به، وذكر فيها شيء من لوازم المشبه. كقول الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

المشبه به: المستعار منه: الدقات القائمة والقول بمعنى الدلالة. والمشبه: المستعار: الشيء الدال. والجامع

بحبل وثيق مأمون لا ينقطع، فهو آمن من الانزلاق والتردي في مهاوي الخطل والضلال[١].

المعنى العام :

في تفسير قولُه تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ أقوال :

الأول: كَان ذلك في ابْتِدَاءِ الإِسْلاَمِ، فإنه كانَ يُعْرَضُ على الإِنْسَانِ الإِسْلاَمُ فإن أجاب وإلاّ تُرِكَ.

والثاني: أَنَّ ذلك في أَهْلِ الكِتَابِ، فإنّهُمْ إنْ أرَادُوا الجِزْيَةَ وَالتَزَمُوا الشّرَائِطِ تُرِكُوا.

والثالثُ: أنه لا حُكْمَ لِمَن أُكْرِهَ عَلَى دِينٍ بَاطِلٍ فاعْتَرَفَ به ودَخَلَ فيه كما قال: ﴿ **إِلاَ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾[٢].

الرابعُ: لا اعْتِدَادَ في الآخِرَةِ بِمَا يَفْعَلُ الإِنْسَانُ في الدُّنْيَا من الطاعَةِ كَرْهَاً، فإنَّ اللَّهَ تعالى يَعْتَبِرُ السَّرَائِرَ ولا يَرْضَى إلاَّ الإِخْلاَصَ .

الخامِسُ: مَعْنَاهُ لا يُحْمَلُ الإِنْسَانُ على أمْرٍ مَكْرُوهٍ في الحَقِيقَةِ مما يكلِّفُهُمُ اللَّهُ بَلْ يُحْمَلُونَ على نعيمِ الأَبَدِ .

=

بينهما: إيضاح المراد من الحياة. والقرينة: نسبة القول إلى الدقات. ينظر مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر مُحَمَّد بن علي السكاكي. (ت ٦٢٦هـ). الطبعة الأولى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٣٧م: ١٧٦.

الاستعارة التمثيلية:

اللفظ المركب المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور أخرى، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر لفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه، كقوله تعالى ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ﴾ [الزمر: ٦٧]، إذ المعنى: أن تمثيل الأرض في تصرفاتها تحت أمر الله وقدرته، مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا، والجامع عليه ينظر أنوار الربيع في أنواع البديع. لعلي صدر الدين بن معصوم المدني المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد. (ت ١١١٩هـ). تحقيق: شاكر هادي شاكر. مطبعة الغري الحديث. النجف الأشرف. ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م: ١/ ٢٥١

(١) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُه: ١/ ٣٣٧ .

(٢) سورة النحل: من الآية ١٠٦ .

السادسُ: أَنَّ الدِّينَ الجَزَاءُ، مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِمُكْرِهٍ على الجَزَاءِ بَلْ يَفْعَلُ ما يَشَاءُ بِمَنْ يَشَاءُ كما يَشَاءُ[١].

لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ:

إن قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار. ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته. يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة. يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه؛ في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجىء مشاهدها الجاء إلى الإذعان، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك.

وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد، أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع[٢].

وفي هذه الآية بيان لكمال هذا الدين الإسلامي، وكمال براهينه، واتضاح آياته، وكونه هو دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطر له لا يحتاج إلى الإكراه عليه؛ لأن الإكراه، إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة والحق، أو لما تخفى براهينه وآياته. وإلا فمن جاءه هذا الدين، ورده ولم يقبله، فإنه لعناده. فإنه قد تبين الرشد من الغي، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة، إذا رده ولم يقبله.

ولا منافاة بين هذا المعنى وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد. فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين. وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر، وأنه من الفروض المستمرة: الجهاد القولي الفعلي. فمن ظنّ أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد، وادعى أنها منسوخة، فقوله ضعيف لفظاً ومعنىً، كما هو واضح بيّن لمن تدبر الآية الكريمة[٣].

---

(١) يُنْظَرْ: الْمُفْرَدَات: ٤٢٩ .

(٢) يُنْظَرْ: في ظلال القرآن: ١/ ٢٩٢ .

(٣) يُنْظَرْ: الناسخ والمنسوخ، لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري، (ت ٤١٠هـ)، تَحْقِيق زهير =

فقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فانه خصّ منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام، بل يخيرون بينه وبين أداء الجزية وهذا معنى ما روي عن ابن عباس و مجاهد وقتادة. وقال ابن السكن: معنى الآية ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب .

وذهب قوم إلى أنه منسوخ وقالوا: هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم يكون منسوخاً بآية السيف[1]. وهذا مذهب الضحاك والسدي[2].

وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان؛ واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني .

والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق: (لا إكراه في الدين) وهو من نفي الجنس، أي: نفي جنس الإكراه. ونفي كونه ابتداء. فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع. وليس مجرد نهي عن مزاولته. والنهي في صورة النفي للجنس أعمق إيقاعاً وآكد دلالة[3].

=

الشاويش، ومُحَمَّد كنعان، الطَبْعَة الأُولَى، المكتب الإسْلامِيّ، بَيْرُوْت، ١٤٠٤هـ: ٥٦؛ نواسخ الْقُرآن، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ: ٩٢ .

(١) آية السيف هي قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [سورة التوبة: الآية ٥] يُنْظَرْ: تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٢/ ٣٣٧ .

(٢) يُنْظَرْ: المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي ابن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ)، تَحْقِيق: د. حاتم صالح الضامن، الطَبْعَة الأُولَى، مؤسسة الرسَالَة، بَيْرُوْت، ١٤١٥هـ: ٢١؛ ناسخ الْقُرآن العَزِيز ومنسوخه، هبة الله بن عَبْد الرحيم بن إبْرَاهِيم، (ت ٧٣٨ هـ)، تَحْقِيق: د. حاتم صالح الضامن، الطَبْعَة الثالثة، مؤسسة الرسَالَة، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ: ٢٣ .

(٣) يُنْظَرْ: تفسير السعدي: ١/ ١٣٥ .

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ :

الإيمان هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه. والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يوصم به. والأمر كذلك فعلا. فما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان، وما تمنحه للإدراك البشري من تصور ناصع واضح، وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام، وما تثيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعرة نظيفة وما تحققه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقية الحياة .. ما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان على هذا النحو حتى يجد فيها الرشد الذي لا يرفضه إلا سفيه، يترك الرشد إلى الغي، ويدع الهدى إلى الضلال، ويؤثر التخبط والقلق والهبوط والضآلة على الطمأنينة والسلام والرفعة والاستعلاء[١].

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا :

في المراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال :

أحدها ـ أنه الشيطان، قاله عمر وابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ ومجاهد والشعبي والسدي ومقاتل في آخرين[٢] .

والثاني ـ أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية[٣] .

والثالث ـ أنه الساحر، قاله مُحَمَّد بن سيرين[٤] .

والرابع ـ أنه الأصنام، قاله اليزيدي، والزجاج[٥] .

والخامس ـ أنه مردة أهل الكتاب، ذكره الزجاج أيضاً[٦] .

---

(١) يُنْظَرْ: في ظلال القرآن: ١/ ٢٩٢ .

(٢) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٣/ ١٩؛ أَحْكَام الْقُرآن، لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن علي الرَّازِي الجَصَّاص، (ت ٣٧٠هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد الصادق قمحاوي، دَار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ: ٣/ ١٨٢؛ زَاد المَسِيْر: ١/ ٣٠٥ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ١/ ٥١٣ .

(٣) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٣/ ١٩؛ زَاد المَسِيْر: ١/ ٣٠٥ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ١/ ٥١٣؛ فَتْح الْقَدِير: ١/ ٢٧٦ .

(٤) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٣/ ١٨؛ أَحْكَام الْقُرآن للجَصَّاص: ٣/ ١٨٢؛ زَاد المَسِيْر: ١/ ٣٠٥ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ١/ ٥١٣؛ فَتْح الْقَدِير: ١/ ٢٧٦ .

(٥) يُنْظَرْ: مَعَانِي الْقُرآن وإِعْرَابه للزَجَّاج: ١/ ٣٦ .

(٦) يُنْظَرْ: الْمَصْدَر نَفْسِه: ١/ ٣٦ .

لقد ذكر الله انقسام الناس على قسمين: قسم آمن بالله وحده لا شريك له وكفر بالطاغوت ـ وهو كل ما ينافي الإيمان بالله من الشرك وغيره ـ فهذا قد استمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها، بل هو مستقيم على الدين الصحيح، حتى يصل به إلى الله، وإلى دار كرامته .

ويؤخذ القسم الثاني من مفهوم الآية: أن من لم يؤمن بالله، بل كفر به، وآمن بالطاغوت، فإنه هالك هلاكاً أبدياً، ومعذب عذاباً سرمدياً[١] .

إن الطاغوت صيغة من الطغيان، تفيد كل ما يطغى على الوعي، ويجور على الحق، ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد، ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله، ومن الشريعة التي يسنها الله، ومنه كل منهج غير مستمد من الله، وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله. فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صوره ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا، وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها[٢] .

وهنا نجدنا أمام صورة حسية لحقيقة شعورية، ولحقيقة معنوية: إن الإيمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم أبداً، إنها متينة لا تنقطع، ولا يضل الممسك بها طريق النجاة، وهي موصولة بمالك الهلاك والنجاة، والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود، حقيقة الله، واهتداء إلى حقيقة الناموس الذي سنه الله لهذا الوجود، وقام به هذا الوجود. والذي يمسك بعروته يمضي على هدى إلى ربه؛ فلا يرتطم ولا يتخلف ولا تتفرق به السبل ولا يذهب به الشرود والضلال[٣] .

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ :

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾، أي: لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، وسميع لدعاء الداعين، وخضوع المتضرعين. ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما أكنته الصدور، وما خفي من خفايا الأمور. فيجازي كل أحد بحسب ما يعلمه من نياته وعمله[٤] .

---

(١) يُنْظَرْ: تفسير السعدي: ١/ ١٣٥ .

(٢) يُنْظَرْ: في ظلال القرآن: ١/ ٢٩٢ .

(٣) يُنْظَرْ: الْمَصْدَر نَفْسِه: ١/ ٢٩٢ .

(٤) يُنْظَرْ: تفسير السعدي: ١/ ١٣٥ .

ما يستفاد من النص:

للآية الكريمة فوائد كثيرة، ما يتعلق بالبحث منها أنها جمعت بين الرشد ونقيضه الغي، فبينت السبيل الوصل إلى الرشد، وتركت بيان سبيل الغي لأنه مفهوم مترتب على معرفة نقيضه، والإشارة المهمة في هذه الآية أن كلاً من الرشد والغي يملكهما الإنسان باختياره، ولا سلطان قاهر عليه في انحيازه إلى هذه الجهة، أَوْ تلك، ولكن كلاً من الهداية والغواية أمرها يعود إلى مشيئة الله تعالى كما هو معلوم.

المَطْلَب الثَّانِي

النصح والغواية

قال تعالى: ﴿ **وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[١].

تحليل الألفاظ:

نُصْحِي:

النُّصْحُ تَحَرِّي فِعْلٍ أوْ قَوْلٍ فيه صَلاَحُ صاحِبِه، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾[٢]. وقال: وهو من قولهم: نَصَحْتُ له الوُدَّ، أي: أخْلَصْتُهُ، ونَاصِحُ العَسَلِ خالصُه أو من قولهم: نَصَحْتُ الجِلْدَ خِطْتُه، والناصِحُ الخَيَّاطُ والنِّصاحُ الخَيْطُ[٣].

تُرْجَعُونَ:

الرُّجُوعُ العَوْدُ إلى ما كانَ منهُ البَدْءُ، أو تَقْدِيرُ البَدْءِ مكَاناً كانَ أو فعْلاً، أَوْ قَوْلاً، وبِذاتِه كَانَ رُجُوعُهُ، أو بجُزْءٍ مِنْ أجزائِه، أَو بِفِعلٍ مِن أفعَالِه. فالرُّجُوعُ الْعَوْدُ، والرَّجْعُ الإعَادَةُ، والرَّجْعَةُ في الطّلاق، وفي العَوْدِ إلى الدُّنْيَا بَعْدَ المَمَاتِ، ويُقَالُ فُلانٌ يُؤْمِنُ بالرَّجْعَةِ. فمِنَ الرُّجُوع قولُه تعالى: ﴿ **لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ** ﴾[٤][٥].

---

(١) سورة هود: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٩.

(٣) يُنْظَرْ: الصِّحَاح: مَادَةُ (نصح) ١/ ٤١٠؛ الْمُفْرَدَات: ٤٩٤.

(٤) سورة المنافقين: الآية ٨.

(٥) يُنْظَرْ: المجمل: ٢/ ٤٢٢؛ الْمُفْرَدَات: ١٨٨.

القراءات القرآنية :

نُصْحِي :

١. قرأ نافع، وأبو عمرو، وأَوْ جعفر: (نُصْحِيَ) [١] .

٢. قرأ عيسى الثقفي: (نَصْحِي) [٢] .

تُرْجَعُونَ :

قرأ يعقوب: (تَرْجِعون) [٣] .

بعض الأوجه الإعرابية :

يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(نصحي) فاعل (ينفع)، وجملة (إن أردت) مستأنفة، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله، وجملة (إن كان الله) مستأنفة، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه الشرط الأول وجوابه، أي : إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي [٤] .

وحكم الشرط إذا دخل على الشرط، أن يكون الشرط الثاني والجواب جواباً للشرط الأول كقولك: إن أتيتني، إن كلمتني أكرمتك فقولك: إن كلمتني أكرمتك، جواب إن أتيتني، وإذا كان كذلك صار الشرط الأول في الذكر مؤخراً في المعنى، حتى لو أتاه ثم كلمه لم يجب الإكراه، ولكن إن كلمه ثم أتاه وجب إكرامه. وعلة ذلك أن الجواب صار معوقاً بالشرط الثاني، وقد جاء في القرآن منه قوله تعالى: ﴿ **إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا** ﴾ [٥] . وجملة (هو ربكم) مستأنفة، وجملة (وإليه ترجعون) معطوفة على جملة (هو ربكم) [٦] .

---

(١) التيسير: ١٢٦؛ السبعة: ٣٤٠ .

(٢) الْبَحْر الْمُحِيط: ٥/ ٢١٩ .

(٣) إتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ٢٥٦ .

(٤) يُنْظَرْ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ٢٢٥ .

(٥) سورة الأحزاب: من الآية ٥٠ .

(٦) يُنْظَرْ: التِّبْيَان فِي إِعْرَاب الْقُرْآن: ٢/ ٣٨؛ الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ٢٢٥ .

المعنى العام :

يَـنفَعُكُمْ نُصْـحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَـحَ لَكُـمْ إِنْ كَـانَ اللَّـهُ يُرِيـدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

أي: إن إرادة الله غالبـة، فإنـه إذا أراد أن يغـويكم لـردكم الحـق. فلـو حرصت غاية مجهودي، ونصحت لكم أتم النصح ـ وهو ما فعله هود ـ عليه السلام ـ حقاً ـ فليس ذلك بنافع لكم شيئا. (هُوَ رَبُّكُمْ) يفعل بكم ما يشاء، ويحكم فيكم بما يريد، وهو أولى بكم يتصرف في ملكه كما يشاء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وإليه ترجعون بعد الموت، فيجازيكم بأعمالكم[١] .

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ أربعة أقوال :

أحدها ـ يضلكم، قاله ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ[٢] .

والثاني ـ يهلككم، حكاه ابن السكن. وقال: هو قول مرغوب عنه[٣] .

الثالث ـ يضلكم ويهلككم، قاله الزجاج[٤] .

الرابع ـ يخيبكم من رحمته، قاله الجصاص[٥] .

ما يستفاد من النص:

على وفق المعاني التي ذكرها المفسرون للفظة الغواية هنا، يتبين لنا ما يأتي:

أن الغواية إن كانت بمعنى الهلاك، فهي بيد الله تَعَالَى لا يملكها أحد سواه ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾[٦] .

---

(١) يُنظَرْ: تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم: ٢/ ٤٤٥؛ فَتح الْقَدِير: ٢/ ٤٩٥.

(٢) يُنظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ١٢/ ٣٢؛ زَاد المَسِيْر: ٤/ ٩٩ .

(٣) يُنظَرْ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٧/ ١٧٥ .

(٤) مَعَانِي الْقُرْآن وإِعْرَابه للزَجَّاج: ٢/ ٤٧ .

(٥) أَحْكَام الْقُرْآن للجَصَّاص: ٤/ ٣٧٧ .

(٦) سورة المائدة: من الآية ١٧ .

وإن كانت الغواية بمعنى الإضلال، فهذا قدر مشترك بين الخالق تعالى ـ وبين الخلق، فالله تعالى بيده مقادير الأمور: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[١].

وكذلك الخلق، فالشيطان يضل ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾[٢]، والإنسان يضل ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا ﴾[٣]، ولا يتحقق هذا الإضلال إلا بإذنه.

وإن كانت بمعنى التخييب من رحمته، فهو ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٤].

فمرجع هذه الأمور جميعاً إلى الله جَلَّ شَأْنُهُ، وهذا هو أحد الدروس التي ينبغي أن يستنبطها الإنسان ويعيها، مما يستلزم منه أن يفرد خالقه تعالى بالعبادة دون سواه، وهذا من صلب دعوة التوحيد التي جاءت بها الرسل ـ عَلَيْهِمِ السَّلام ـ.

---

(١) سورة النحل: من الآية ٩٣.

(٢) سورة النساء: من الآية ٦٠.

(٣) سورة الأعراف: من الآية ٣٨.

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٤٧.

المَبْحَث الثَّانِي
غواية الأنبياء
ويتضمن مطلبين :

المَطْلَب الأَوْل: غواية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ

المَطْلَب الثَّانِي: تبرئة رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ من الغواية

المَطْلَب الأَوْل

غواية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ

قال تعالى: ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾(١) .

تحليل الألفاظ :

فَبَدَتْ :

بَدَا الشَّيْءُ بَدْواً وبَدَاءً، أَيْ: ظَهَرَ ظُهُوراً بيِّناً، قال الله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾(٢)(٣).

سَوْآتُهُمَا :

السُّوءُ: كلُّ ما يغُمُّ الإنْسَانَ مِنَ الأُمُور الدُّنْيَويّة والأُخْرَويَّةِ، ومِنَ الأَحْوَال النَّفْسيّةِ، والْبَدَنيّةِ، والخارجَةِ مِنْ فَوَاتِ مالٍ وجَاهٍ، وفَقْدِ حَمِيمٍ، وكُنِّيَ عنِ الفَرْجِ بالسَّوْأَةِ، قال: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ﴾(٥)، وفي الآية موضوعة البحث أَيْضًا(٦) .

وَطَفِقَا :

يُقالُ: طَفِقَ يَفْعَلُ كذا، كقولك: أخَذَ يَفعلُ كذا، ويُسْتَعْمَلُ في الإيجَابِ دُونَ النَّفْي، لا يُقالُ ما طَفِقَ. قال تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾(٧) في قصة سليمان ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ(٨) .

---

(١) سورة طه: الآية ١٢١ .

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٧ .

(٣) الْمُفْرَدَات: ٤٠؛ تَاج العَرُوْس: مَادَةُ (بدأ) ١/ ٤٢ .

(٤) سورة المائدة: الآية ٣١ .

(٥) سورة الأعراف: الآية ٢٦ .

(٦) مجاز القرآن: ١/ ١٦٢؛ الْمُفْرَدَات: ٢٥٢ .

(٧) سورة ص: من الآية ٣٣ .

(٨) الْعَيْن: مَادَةُ (خصف) ٤/ ١٨٨؛ الْمُفْرَدَات: ٣٠٥ .

يَخْصِفَانِ :

معنى الخصف هنا: أن يَجْعَلا عليهما خَصَفَةً، وهي أوْراقٌ، ومنه قِيلَ لِجُلّةِ التَّمْرِ: خَصَفَةٌ، وَلِلثِّيَابِ الغَلِيظَةِ، جَمْعُهُ خَصَفٌ، ولما يُطْرَقُ به الخُفُّ خَصْفَةٌ وَخَصَفْتُ النَّعْلَ بالمِخْصَفِ. وخَصَفْتُ الخَصْفَةَ نَسَجْتُهَا، والأخْصَفُ وَالخَصِيفُ، قيل: الأبْرَقُ مِنَ الطَّعَامِ وهو لوْنانِ مِنَ الطَّعامِ، وَحَقِيقَتُهُ مَا جُعِلَ من اللَّبَنِ ونحوِهِ في خَصَفَةٍ فَيَتَلَوَّنُ بِلوْنِهَا[١].

وَعَصَى :

العَصا: أصْلُهُ من الواو لقَوْلِهِمْ في تَثْنِيَتِهِ عَصَوان، ويُقَالُ في جمعِهِ: عُصِيٌّ. وَعَصَوْتُهُ: ضَرَبْتُهُ بالعَصَا، وَعَصَيتُ بالسَّيْفِ، قَالَ: وعَصَى عِصْياناً: إذا خَرَجَ عن الطاعةِ، وأَصْلُهُ أنْ يَتَمَنَّعَ بِعَصَاهُ، قال: ويقالُ فيمن فَارَقَ الجماعةَ: فُلانٌ شَقَّ العَصَا[٢].

القراءات القرآنية :

سَوْآتُهُمَا :

١. قرأ الأزرق، وورش بتوسط الواو والهمزة، وأيضاً بقصر الواو مع ثلاثة الهمزة[٣].

٢. قرأ حمزة بالنقل وقفاً، وقرأها بالإدغام وقفاً[٤].

يَخْصِفَانِ :

١. قرأ الحسن: (يَخِصّفان)[٥].

٢. قرأ عَبْد اللَّهِ بن بريدة: (يَخْصِّفان)، وهي قراءة شاذة[٦].

وَعَصَى :

---

(١) المجمل: ٢/ ٢٩٠؛ الْمُفْرَدَات: ١٤٩ .
(٢) الْمُفْرَدَات: ٣٣٧؛ مجمع الأمثال: ١/ ٣٦٤؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (عصا) ١٥/ ٦٤ .
(٣) إِتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ٣٠٨؛ غَيْث النَّفْعِ: ٢٩٢ .
(٤) إِتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ٣٠٨ .
(٥) الْكَشَّاف: ٢/ ٥٥٧؛ إِتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ٣٠٨ .
(٦) مختصر شواذ القرآن: ٩٠ .

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة[١].

آدَمُ :

رويت عن ورش عدة قراءات: بالقصر والطويل مع الفتح في عصى، بالطويل مع التقليل في عصى، بالتوسط مع التقليل في عصى[٢].

بعض الأوجه الإعرابية :

(وَطَفِقَا) طفق فعل ماض كم أفعال الشروع العاملة عمل كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً، واللف اسمها، وجملة (يَخْصِفَان) خبر طفقا، والجار (عليهما) متعلق بـ(أعني) مقدراً، وجملة (يخصفان) خبر (طفق)، وجملة (وعَصَى) مستأنفة، (فغوى) عطف على (عصى)[٣].

المعنى العام :

قصة إخراج آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ من الجنة معروفة، اكتفي بشهرتها عن إعادتها، ومعنى الآية هنا أنه لما أكل آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وحواء من الشجر التي نهاهما الله تَعَالَى عنها، فلم يزل الشيطان يوسوس لهما، ويزين أمر الشجرة، فأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين. وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة، ليسترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم.

(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) فبادرا إلى التوبة والإنابة، وقالا: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[٤] فاجتباه ربه، واختاره، ويسر له التوبة ﴿ **فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾[٥]، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها. ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم ليلاً ونهاراً[٦].

---

(١) غَيْث النَّفْع: ٢٩٢ .

(٢) غَيْث النَّفْع: ٢٩٢ .

(٣) يُنْظَرْ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إِعْرَاب الْقُرْآن: ٢/ ٣٢٠؛ إِعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٤/ ٧٣٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٣ .

(٥) سورة الأعراف: من الآية ١٢٢ .

(٦) يُنْظَرْ: تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم: ٣/ ١٦٩؛ فَتح الْقَدِير: ٤/ ٤٢٧ .

وفي هذه الآية تفصيلات كثيرة مهمة، يمكن إجمالها بما يأتي :

أَوَّلاً ـ الحكمة من ذكر عصيان آدم دون حواء .

قيل في الجواب عن ذلك: " إنه لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب الأمر، لم تذكر، كما لم يذكر فتى موسى في قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ ﴾[1]، وقيل: إنه دل بذلك على التوبة عليه أنه تاب عليها، إذ أمرهما سواء، قاله الحسن. وقيل: إنه مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[2]، أي: التجارة؛ لأنها كانت مقصود القوم، فأعاد الضمير عليها، ولم يقل إليهما، والمعنى متقارب "[3] .

ثَانِيًا ـ كيف يعصي آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وهو من الأنبياء المعصومين :

اختلف العلماء في عصمة الأنبياء اختلافاً كبيراً ـ ليس هذا محل ذكرها ـ والراجح الذي ذهب إليه جمهور العلماء ما نقله القرطبي:

إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بذلك عن نفوسهم، وتنصلوا منها، واستغفروا منها، وتابوا وكل ذلك، ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها، وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور، وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السايس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة. ولقد أحسن الجنيد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ حيث قال: " حسنات الأبرار سيئات المقربين "، فهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم، فلم يخلّ ذلك بمناصبهم، ولا قدح في رتبتهم، بل قد تلافاهم واجتباهم، وهداهم ومدحهم، وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه[4] .

---

(١) سورة الكهف: من الآية ٧٥ .

(٢) سورة الجمعة: من الآية ١١ .

(٣) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١/ ٣٢٥ .

(٤) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١١/ ٢٥٥ .

وقال أبو بكر بن فورك[١]: كان هذا من آدم قبل النبوة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾[٢]، فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هذا قبل النبوة فجائز عليهم الذنوب وجهاً واحداً؛ لأن قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم، فإذا بعثهم الله تعالى إلى خلقه، وكانوا مأمونين في الأداء معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب[٣].

ثَالِثًا ـ معنى غواية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ :

في قوله تعالى: (فغوى) أربعة أقوال :

أحدهما ـ ضل طريق الخلود حيث أراده من قبل المعصية .

والثاني ـ فسد عليه عيشه؛ لأن معنى الغي الفساد. حكاه النقاش واختاره القشيري، وعن أبي جعفر القرطبي قال: فغوى ففسد عيشه بنزوله إلى الدنيا، والغي الفساد .

والثالث ـ معناه جهل موضع رشده، أي: جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها، والغي الجهل .

والرابع ـ معنى غوى أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم، كما يقال: غوى الفصيل إذا أكثر من لبن أمه فبشم، فكاد يهلك، وهو قول الزمخشري[٤] .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، كان أصولياً متكلما نحويا واعظا أديبا رحل إلى الري ونيسابور والبصرة وبغداد والكوفة في طلب العلم، وبنى له ناصر الدولة بنيسابور مدرسة، وتوفي بقربها سنة ٤٠٦ هـ، له مؤلفات منها " الحدود في أصول الفقه الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عَبْد اللَّه مصطفى المراغي، الطبعة الثانية، مكتبة مُحَمَّد أمين دمج، بيروت، لبنان ١٩٧٤ م: ١/ ٢٢٦ – ٢٢٧ .

(٢) سورة طه: الآية ١٢٢.

(٣) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١١/ ٢٥٥ .

(٤) يُنْظَرْ: الْكَشَّاف: ٢/ ٥٥٧؛ زَاد المَسِيْر: ٥/ ٣٢٩؛ مَفَاتِيح الْغَيْب: ٢٢/ ١٢٧؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١١/ ٢٥٧ .

واعترض على القول الرابع من وجهين :

أحدهما ـ أنه لا يقال من البشم غوى يغوي، وإنما يقال غوي يغوى .

والثاني ـ أن قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾[١]، يدلّ على أنهما لم يكثرا ولم يتأخّرا حتى يصلا إلى الإكثار[٢] .

وإن صح هذا التفسير على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفاً فيقول في فني وبقي: فنى وبقى، وهم بنو طي، إلا أنه تفسير محرف[٣].

والراجح من هذه القوال، هو القول الثاني، فهو تأويل حسن، وهو أولى من تأويل من يقول: فغوى معناه ضل من الغي، الذي هو ضد الرشد .

ونقل عن القشيري قوله: فنحن نقول في حق آدم عصى وغوى، كما قال الله عز وجل، ولا نقول آدم عاصٍ وغاوٍ، كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه قد قطعه وخاطه، ولا تقول هذا خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به[٤] .

رَابِعًا ـ هل يجوز اليوم الإخبار عن معصية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ ؟

قال القاضي أبو بكر بن العربي: " لا يجوز لأحد منا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ، إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه، أو قول نبيه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ، فأما أن يبتدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا في آبائنا الأدنين إلينا المماثلين لنا فكيف في أبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم الذي عذره الله سبحانه وتعالى وتاب عليه وغفر له "[٥].

ومصداق ذلك ما صح عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثاً)) [٦] .

---

(١) سورة الأعراف: من الآية ٢٢ .

(٢) يُنْظَرْ: زَاد المَسِيْر: ٥/ ٣٣٠

(٣) يُنْظَرْ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١١/ ٢٥٧ .

(٤) يُنْظَرْ: زَاد المَسِيْر: ٥/ ٣٣٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١١/ ٢٥٧ .

(٥) أَحْكَام الْقُرْآن لابِنْ عَرَبِي: ٣/ ٢٦٠ .

(٦) صَحِيْح الْبُخَارِيّ: ٦/ ٢٤٣٩ رقم: (٦٢٤٠) .

ونقل القرطبي قول المهلب: " قوله فحجّ آدم موسى، أي: غلبه بالحجة. قال الليث بن سعد: إنما صحت الحجة في هذه القصة لآدم على موسى ـ عليهما السلام ـ من أجل أن الله تعالى قد غفر لآدم خطيئته، وتاب عليه، فلم يكن لموسى أن يعيره بخطيئة قد غفرها الله تعالى له، ولذلك قال آدم: أنت موسى الذي آتاك الله التوراة، وفيها علم كل شيء، فوجدت فيها أن الله قد قدر عليّ المعصية، وقدر على التوبة منها، وأسقط بذلك اللوم عني أفتلومني أنت، والله لا يلومني "[١].

وعلق القرطبي قائلاً: " وإذا كان هذا في المخلوق لا يجوز، فالإخبار عن صفات الله عز وجل كاليد والرجل والإصبع والجنب والنزول ذلك أولى بالمنع، وأنه لا يجوز الابتداء بشيء من ذلك، إلا في أثناء قراءة كتابه أو سنة رسوله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ، ولهذا قال الإمام مالك بن أنس ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: من وصف شيئاً من ذات الله عز وجل، مثل قوله: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾[٢]، فأشار بيده إلى عنقه، قطعت يده، وكذلك والبصر يقطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله تعالى بنفسه "[٣].

خَامِسًا ـ وللعلماء ثلاثة أقوال في سبب نسيان آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ أقوال جمعها ابن عربي، وهي :

الأول ـ أنه ذهل عن أكل الشجرة، كمن يعزم على عدم دخول البيت، ثم يدخله ذاهلاً .

الثاني: أن يذهل عن جنس منهي منه، ويعتقده في عينه، أي يعتقد شجرة مخصوصة لا جنس الشجر.

الثالث: أن يعتقد أن النهي ليس على معنى الجزم الشرعي لمعنى مغيب. فإن قيل: فقد قال: ﴿ **فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[٤]. قلنا: قد قيل معناه من الظالمين لأنفسكما، كما قال: ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾[٥]. والصحيح هو المعنى الأول، وهو الذي نسي من تحذير الله له، أو تأويله في تنزيله، وربك

(١) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١١/ ٢٥٦ .
(٢) سورة المائدة: من الآية ٦٤ .
(٣) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١١/ ٢٥٦ .
(٤) سورة البقرة: من الآية ٣٥ .
(٥) سورة فاطر: من الآية ٣٢ .

أعلم كيف دار الحديث. والتعيين يفتقر إلى تأويله، وكذلك قلنا إن الناسي في الحنث معذور، ولا يتعلق به حكم. والله أعلم .

سَادِساً ـ هل عذر آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ يصلح أن يتذرع به الإنسان اليوم ؟

قال القرطبي: " وأما من عمل الخطايا، ولم تأته المغفرة، فإن العلماء مجمعون على أنه لا يجوز له أن يحتج بمثل حجة آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ فيقول: تلومني على أن قتلت، أو زنيت، أو سرقت، وقد قدر الله على ذلك، والأمة مجمعة على جواز حمدِ المحسن على إحسانه، ولوم المسيء على إساءته، وتعديد ذنوبه عليه "[1] .

ما يستفاد من النص:

إن تحليل هذه الآية واستعراض ما قيل في تفسيرها يظهر أن غواية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ ليست من الغي المتبادر إلَى الذهن، بل معناه فسد عليه عيشه، بسبب أكل الشجرة، وما ترتب على الأكل من شعور بالذنب، وإنزال إلَى الأرض .

والآية تؤكد ما أكدته الآيات السابقة، وهو الموافق لمنطق العقل أن الأمور كلها ترجع إلَى الخالق جل وعلا، كما نطق بذلك الحديث الصحيح على لسان آدم في محاجته لموسى ـ عَلَيْهِما السَّلام ـ .

المَطْلَب الثَّانِي

تبرئة رَسُول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ من الغواية

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** ﴾[2] .

تحليل الألفاظ :

ضَلَّ :

الضّلالُ العُدُولُ عَن الطَّرِيق المُسْتَقيم ويُضَادُّهُ الهدايةُ، قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾[3]، ويُقالُ: الضّلالُ لِكُلِّ عُدُولٍ عَن المِنْهَج عَمْداً كانَ أو سَهواً، يَسيراً كانَ أو كَثيراً، فإنَّ الطّريق المُسْتَقِيمَ الذِي هُوَ المُرْتَضَى صَعْبٌ جِداً[4].

---

(١) الجَامِع لأَحْكَام القُرْآن: ١١/ ٢٥٧ .

(٢) سورة النجم: الآية ٢ .

(٣) سورة يونس: من الآية ١٠٨ .

(٤) ترتيب إصلاح المنطق: ٢٣٥؛ المُفْرَدَات: ٢٩٧-٢٩٩ .

صَاحِبُكُمْ :

الصّاحِبُ المُلازِمُ إنْساناً كانَ أو حَيَواناً أو مكاناً أو زَماناً، ولا فَرْقَ بَيْنَ أنْ تكونَ مُصَاحَبَتُهُ بالبَدَنِ وهو الأصْلُ والأكْثَرُ، أو بالعِنايةِ والهِمَّةِ وعلى هذا قال الشاعر:

لئِنْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي لَمَا غِبْتَ عَنْ قَلْبِي[١]

ولا يقالُ في العُرْفِ إلاّ لِمَنْ كَثُرَتْ مُلازَمَتُهُ، ويُقَالُ لِلْمَالِكِ للشيءِ هُو صاحِبُهُ، وكذلك لِمَنْ يَمْلِكُ التّصَرُّفَ فيه، والمُصَاحَبَةُ والاصْطِحَابُ أبْلَغُ من الاجْتِماعِ لأجْلِ أنَّ المُصَاحَبَةَ تَقْتَضِي طُولَ لُبْثِه فكلُّ اصْطِحَابٍ اجْتِماعٌ وليْسَ كُلُّ اجْتِماعٍ اصْطِحَاباً، وقد سُمِّيَ النبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - صَاحِبَهُمْ تنبيهاً أنَّكُمْ صَحِبْتُمُوهُ وَجَرَّبْتُمُوهُ وَعَرَفْتُمُوهُ ظاهرَهُ وباطِنَهُ، ولم تجِدُوا به خَبَلاً وَجِنّةً[٢].

القراءات القرآنية :

غَوَى :

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف بالإمالة، وبالتقليل[٣] .

بعض الأوجه الإعرابية :

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى :

الجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، و(ضل صاحبكم) فعل وفاعل، و (ما غوى) عطف على (ما ضل)[٤] .

---

(١) هذا عجز بيت لأبي العتاهية، وصدره :

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى

وهو في عُيُون الأخبار، لأبي مُحَمَّد عَبْد اللَّه بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينوري، (ت ٢٧٦هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د. ت): ٤/ ٨٦؛ ومجمع البلاغة، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ت.): ١/ ٥٠١؛ ولم أجده في ديوان أبي العتاهية .

(٢) الصِّحَاح: مَادَةُ (صحب) ١/ ١٦١؛ الْمُفْرَدَات: ٢٧٥ .

(٣) النشر: ٢/ ٣٧؛ حجة القراءات: ٣٢٥ .

(٤) يُنْظَرُ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إعْرَابِ الْقُرْآن: ٤/ ١٢٤؛ إعْرَابُ الْقُرْآن الكَرِيمِ وبَيَانُه: ٧/ ٣٢٣ .

القضايا البلاغية :

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ:

فيه استعارة وتمثيل، لكونه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الصواب في أقواله وأفعاله[١] .

المعنى العام :

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ)، أي: ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة، (وَمَا غَوَى)، أي: ما اعتقد باطلاً قط، لأن الغي الجهل مع اعتقاد فاسد، وهو خلاف الرشد، فيكون عطف هذا على (ما ضل) من عطف الخاص على العام اعتناء بالاعتقاد، وإشارة إلى انه المدار، وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن، وتنبيه على مناط اهتدائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومدار رشاده، كأنه قيل: وما أنزل عليك من القرآن الذي هو علم في الهداية إلى مناهج الدين، ومسالك الحق واليقين (ما ضل) عنها محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ (وما غوى)[٢] .

فهو من باب :

وثناياك أنها إغريض[٣]

والخطاب لقريش، وإيراده ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعنوان المصاحبة لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة، وإحاطتهم خبراً ببراءته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما نفى عنه بالكلية، وباتصافه ـ عليه الصلاة

---

(١) يُنْظَرْ: رُوح المَعَانِي: ٢٧/ ٤٥ .

(٢) يُنْظَرْ: إرشاد العقل السليم: ٨/ ١٥٤ .

(٣) صدر بيت من الخفيف لأبي تمام، وعجزه :

ولآل تؤمٌ وبرقٌ وميض

يمدح عياشاً ويعاتبه. والإغريض: الطلع، وقيل: إن البرد يسمى إغريض. توم: يقال للؤلؤة العظيمة تؤمة والجمع تؤم. شبه بياض ثناياه ببياضه. ينظر: دِيْوَان أَبِي تمام. لحبيب ابن أوس الطائي، (ت ٢٣٢هـ)، شَرْح: الْخَطِيب التبريزي، تَحْقِيق: مُحَمَّد عبدة عزام. الطَبْعَة الثانية، دَار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٥١ – ١٩٥٧م: ٢/ ٢٨٧ .

والسلام ـ بغاية الهدى والرشاد، فإن طول صحبتهم له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتماً، ففي ذلك تأكيد لإقامة الحجة عليهم[1].

ما يستفاد من النص:

الآية تنفي الغي عن رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ جملة وتفصيلاً، وتزكيه في أفعاله وأقواله، وفي شأنه كله. وهذا هو اللائق برسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ.

(١) يُنْظَرْ: رُوح المَعَانِي: ٢٧/ ٤٥ .

المَبْحَث الثَّالِث
غواية الناس بعضهم بعضا
ويتضمن ثلاثة مطالب :

المَطْلَب الأَوْل: المدّ في الغي

المَطْلَب الثَّانِي: تبادل الغواية

المَطْلَب الثَّالِث: الاعتراف بالغواية

المَطْلَب الأَوْل

المد في الغي

قال الله عزَّ شأنُه: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾[1] .

تحليل الألفاظ :

يَمُدُّونَهُمْ :

أصْلُ المدِّ الجَرُّ، ومنه المُدَّةُ للوقتِ المُمْتَدِّ، ومِدَّةُ الجَرْحِ، ومَدَّ النَّهْرُ ومَدَّهُ نهرٌ آخرُ، ومَدَدْت عَيْني إلى كذا، قال: ﴿ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾[2] الآية، ومَدَدْتُهُ في غيِّه، ومَدَدْتُ الإبلَ سَقَيْتُهَا المَدِيدَ، وهو بِزْرٌ ودَقِيقٌ يُخْلَطَان بماءٍ، وأمْدَدْتُ الجَيْشَ بمَدَدٍ والإنسانَ بطَعَامٍ، وأكثرُ ما جاءَ الإمْدَادُ في المَحْبُوبِ قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[3]. والمَدُّ في المكْرُوهِ نحوُ: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[4]، وكما في هذه الآية أيضاً[5].

يُقْصِرُونَ :

القِصَرُ خلافُ الطُّول وهُمَا مِنَ الأسْمَاءِ المتَضَايِفَةِ التي تُعْتَبَرُ بغَيْرِها، وقَصَرْتُ كذا جَعَلْتُه قَصِيراً، والتَّقْصِيرُ اسْمٌ للتَّضْجِيع، وقَصَرْتُ كذا ضَمَمْتُ بعضه إلى بعضٍ، ومنه سمِّيَ القَصْرُ. وقَصَرَ الصلاةَ جَعَلَهَا قَصِيرَةً بِتَرْكِ بعض أركانها تَرْخِيصاً، وقَصَرْتُ اللّقْحَةَ عَلى فَرَسِي حَبَسْتُ دَرَّهَا عليه، وقَصَرَ السَّهْمُ عن الهدفِ، أي: لم يبْلُغْه وقَصَّرَ في كذا، أي: تَوانَى، وقَصَّرَ عنه لم يَنَلْهُ، وأقْصَرَ عنه كَفّ مَعَ القُدْرَةِ عليه، واقْتَصَرَ عَلى كذا اكْتَفَى بالشيءِ القَصِيرِ منه، أي: القليلِ[6].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٢ .

(٢) سورة الحجر: من الآية ٨٨ .

(٣) سورة الطور: الآية ٢٢ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥ .

(٥) الصِّحَاح: مَادَةُ (مدد) ٢/ ٥٣٧؛ الْمُفْرَدَات: ٤٦٤؛ الأفعال: ٤/ ١٣٨.

(٦) الصِّحَاح: مَادَةُ (قصر) ٢/ ٧٩٢؛ الْمُفْرَدَات: ٤٠٥ .

القراءات القرآنية :

يَمُدُّونَهُمْ :

١. قرا نافع، وأبو جعفر: (يُمِدُّونهم)[١].

٢. قرأ عاصم الجحدري: (يُمَادُّونهم) من باب المفاعلة، وهي هنا مجازية كأنهم كان الشياطين يعينوهم بالإغراء وتهوين المعاصي عليهم، وهؤلاء يعينون الشياطين بالإتباع والامتثال[٢].

لا يُقْصِرُونَ :

١. قرأ ابن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ، وابن أبي عبلة، وعيسى: (لا يَقْصُرون)[٣].

٢. قرأ عيسى: (لا يَقْصِرون)، وهي قراءة شاذة[٤].

٣. قرأ الزهري، ويحي، وإبراهيم: (لا يُقَصِّرون)، وهي قراءة شاذة أَيْضًا[٥].

بعض الأوجه الإعرابية :

اختلف في إعراب هذه الآية، ويمكن إيجاز أصح هذه الأقوال بما يأتي :

(وَإِخْوَانُهُمْ) الواو استئنافية، و(إخوانهم) مبتدأ، والضمير فيه يعود على الشيطان، والضمير المنصوب في (يَمُدُّونَهُمْ) يعود على الكفار، والمرفوع يعود على الشيطان، والتقدير: إخوان الشياطين تمدهم الشياطين، وعلى هذا فالخبر جارٍ على غير من هو له في المعنى؛ لأن الإمداد مسند إِلَى الشياطين، وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم[٦].

---

(١) إعْرَاب الْقُرْآن للنَّحَّاس: ١/ ٦٦١؛ التيسير: ١١٥ .

(٢) المحتسب: ١/ ٢٧١؛ رُوح المَعَانِي: ٩/ ١٤٨ .

(٣) مَعَانِي الْقُرْآن للفَرَّاء: ١/ ٤٠٢ .

(٤) مختصر شواذ القرآن: ٤٨ .

(٥) مختصر شواذ القرآن: ٤٨ .

(٦) يُنْظَرْ: الْكَشَّاف: ٢/ ١١١؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٤٤٠؛ رُوح المَعَانِي: ٩/ ١٤٩؛ إعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وبَيَانُه: ٣/ ٩٦ .

وقد رجح الزمخشري هذا الوجه؛ لأن (إخوانهم) في مقابلة (الذين اتقوا)[١].

وجوز أن يكون في موضع الحال من الفاعل أو من المفعول[٢].

وجملة (لا يُقْصِرون) معطوفة على جملة (يمدونهم)[٣].

المعنى العام:

وإخوانهم، أي: إخوان الشياطين الذين لم يتقوا، وذلك معنى الأخوة بينهم، وقوله: (يمدونهم)، أي: في الغي، أي: تعاونهم الشياطين في الضلال، وذلك بأن يزينوه لهم ويحملوهم عليه. (ثم لا يقصرون)، أي: لا يمسكون ولا يكفون عن إغوائهم حتى يردوهم بالكلية[٤].

وقيل: لا يتوبون ولا يرجعون[٥].

ومعنى الآية: إن المؤمن إذا مسه طيف من الشيطان تنبه عن قرب، فأما المشركون فيمدهم الشيطان ولايقصرون، قيل: يرجع إلى الكفار على القولين جميعاً، وقيل: يجوز أن يرجع إلى الشيطان، قال قتادة، والمعنى: ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم، والإقصار الانتهاء عن الشيء، أي: لا تقصر الشياطين في مدهم الكفار بالغي[٦].

قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ: ((لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تقصر عنهم))[٧].

ما يستفاد من النص:

ذكرت فيما تقدم أن الخلق يضل بعضهم بعضاً، وهذه الآية الكريمة من الشواهد الدالة على ذلك، إذْ صرحت أن الشيطان، والإنسان سبب من أسباب الغواية، وعلى هذا فالإنسان مطالب بالحذر، وعدم التذرع بالقدر.

---

(١) يُنْظَرْ: الْكَشَّاف: ٢/ ١١١.

(٢) يُنْظَرْ: رُوح المَعَانِي: ٩/ ١٤٩.

(٣) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إعْرَاب الْقُرْآن: ٢/ ١٢٥.

(٤) يُنْظَرْ: معاني الْقُرْآن للنَّحَّاس: ١/ ٤٦٦؛ الوجيز في تفسير القرآن: ٢/ ٢٤٦؛ رُوح المَعَانِي: ٩/ ١٤٩.

(٥) يُنْظَرْ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٧/ ٣٥١.

(٦) يُنْظَرْ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٧/ ٣٥١.

(٧) يُنْظَرْ: زَاد المَسِيْر: ٣/ ٣١٠.

المَطْلَب الثَّانِي
تبادل الغواية

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾[١].

تحليل الألفاظ :

تَبَرَّأْنَا :

أصلُ البُرْءِ وَالبَراءِ والتَّبَرِّي التَّغَصِّي مِمَّا يُكْرهُ مُجَاوَرَتُهُ، ولذلك قيلَ: بَرأْتُ مِنَ المَرَضِ، وبَرأْتُ مِنْ فُلان، وتَبَرَّأْتُ وأَبْرَأْتُهُ مِنْ كذا وبَرَأْتُهُ، ورجلٌ بريءٌ، وقومٌ بُرَآءُ وبَرِيئُونَ، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٢][٣].

القراءات القرآنية :

غَوَيْنَا :

قرأ عاصم، وأبان[٤]: (غَوِينا)[٥].

تَبَرَّأْنَا :

قرأ السوسي[٦] بالإبدال[٧].

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٣ .

(٢) سورة التوبة: من الآية ١ .

(٣) المجمل: ١/ ١٢٢؛ الْمُفْرَدَات: ٤٥؛ العباب: ١/ ٥٢؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (برأ) ١/ ٣١ .

(٤) أبان بن عثمان بن عفان الإمام، الفقيه الأمير، وأبو سعد بن أمير المؤمنين أبي عمرو الأموي المدني، سمع أباه وزيداً بن ثابت. حدث عنه عمرو بن دينار والزهري وأبو الزناد وجماعة له أحاديث قليلة ووفادة على عبد الملك. قال ابن سعد: ثقة له أحاديث عن أبيه وكان به صمم ووضح كثير أصابه الفالج في أواخر عمره. قال خليفة: هو أخو عمرو وأمهما أم عمرو بنت جندب. قال الواقدي: كانت ولاية أبان على المدينة سبع سنين. قال يحيى القطان هو أحد فقهاء المدينة العشرة. وعن أبي الزناد قال: مات أبان قبل عبد الملك بن مروان. وقال خليفة: إن أبانا توفي سنة خمس ومائة. ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٥١ -٣٥٣ .

(٥) الْبَحْر الْمُحِيط: ٧/ ١٢٨ .

(٦) هو أبو شعيب السوسي، صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود ابن مسرح الرستبي الرقي المقرئ، وقال أبو حاتم صدوق، مات في أول سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب تسعين سنة. يُنْظَرُ: مَعْرِفَة الْقُرَّاء الْكِبَار: ١/ ١٣٩ .

(٧) غَيْث النَّفْع: ٣١٧ .

بعض الأوجه الإعرابية :

الآية، كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذٍ ؟

(قال الذين) فعل وفاعل، وجملة (حق عليهم) صلة، والقول: فاعل، و (ربنا) منادى مضاف محذوف منه حرف النداء. (هؤلاء الذين) مبتدأ وخبر، والعائد على الموصول في (أغوينا) مقدر، أي : أغويناهم، ولا يجوز أن يكون (الذين) نعتًا، وجملة (أغويناهم) خبراً لأنه ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفته، وقوله (كما): الكاف نائب مفعول مطلق، و (ما) مصدرية، والتقدير: أغويناهم إغواء فغَوَوا غيًّا مثل غيِّنا، (إيانا) ضمير نصب منفصل مفعول مقدم، وجملة (أغويناهم) مستأنفة، وكذا جملتا (تبرّأنا) و (ما كانوا) [(١)].

القضايا البلاغية :

تشبيه مرسل[(٢)] في قوله تعالى: ﴿ **أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا** ﴾ ووجه الشبة في أنهم تلقوا الغواية من غيرهم فأفاد التشبيه أن المجيبين أغواهم مغوون قبلهم وهم يحسبون هذا الجواب يدفع التبعية عنهم[(٣)] .

المعنى العام :

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ :

" الشياطين وأئمة الكفر ورؤوسه و (حق)، أي: وجب عليهم القول، أي: مقتضاه[(٤)]، وهو قوله تعالى: ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾[(٥)].

---

(١) يُنْظَرْ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إِعْرَابِ الْقُرْآن: ٢/ ٥٩٣؛ إِعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيمِ وَبَيَانُه: ٥/ ٦٣٨.

(٢) التشبيه المرسل: هو التشبيه الذي تذكر فيه أداته، كقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** ﴾ [سورة البقرة: من الآية ١٧]، وقوله: ﴿ **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [سورة الحديد: من الآية ٢١] .

يُنْظَرْ: معترك الأقران فِي إعجاز الْقُرْآن، الإمام جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن أَبُو بَكْرٍ السيوطي الشَّافِعِيّ، ت ٩١١هـ .الطَّبْعَة الأُولَى، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أَحْمَد شمس الدِّين، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، الْبَنَان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م: ١/ ٢٧٣٢؛ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لأبي مُحَمَّد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني، (ت ٨٥٥ هـ). مصر (د. ت): ٩٠ .

(٣) التَحْرِير والتَنْوِير، لمُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٨٤ م: ٢/ ١٥٨.

(٤) ينظر: الوسيط: ٣ / ٤٠٥؛ البَحْر المُحِيْط: ٧ / ١٢٨.

(٥) سُوْرَة هُوْد: الآية ١١٩ .

نلاحظ تكرار (الذين) :

أولاً: ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .

وثانياً: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ .

ما الغرض من ذلك ؟

يجيبنا الآلوسي ـ رحمه الله ـ بقوله: " المراد بالموصول الشركاء والذين كانوا يزعمونهم شركاء من الشياطين ورؤساء الكفر وتخصيصهم بما في حيز الصلة مع شمول مضمونها الاتباع أيضاً لأصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب، والتعبير عنهم بذلك دون زعمهم شركاء لإخراج مثل عيسى وعزير والملائكة ـ عليهم السلام ـ لشمول الشركاء على ما سمعت له "[1] .

رَبَّنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا :

أي: ربنا إن هؤلاء الاتباع الذين أضللناهم أغويناهم باختيارهم كما غوينا نحن كذلك، ولم يكن منا لهم إلا الوسوسة والتسويل لا القسر والإلحاد فهم كانوا مختارين حين أقدموا على تلك العقائد وهذه الأعمال وإن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر، فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل، وما بعث إليهم من الرسل، وأنزل عليهم من الكتب المشحونة والزواجر بالوعد والوعيد والمواعظ[2].

(تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) قال القرطبي: " أي: تبرأ بعضنا من بعض والشياطين يتبرؤون ممن أطاعهم والرؤساء يتبرؤون ممن قبل منهم "[3]

وهذا كقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾[4].

﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ قال الزمخشري معناها: " إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم "[5].

---

(١) رُوح المَعَاني: ٢٠/ ١٠٠ .

(٢) البَحْر المُحِيط: ٧ / ١٢٨؛ رُوح المَعَاني: ٢٠/ ١٠٠ .

(٣) الجَامع لأَحكَام القُرآن: ١٣/ ٣٠٣ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٦٦ .

(٥) الكَشَّاف: ٣/ ١٨٧ .

وقال ابن عاشور: " ابتدأوا جوابهم بتوجيه النداء إلى الله بعنوان أنه ربهم، نداء أريد منه الاستعطاف بأنه الذي خلقهم اعترافاً منهم بالعبودية وتمهيداً للتنصل من أن يكونوا هم المخترعين لدين الشرك "[1]

وذلك لأننا إذا رجعنا قليلاً إلى الآيات التي قبل هذه، فكلها تتحدث عن يوم القيامة قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾، أي: يوم القيامة يناديهم ثم ما يحصل من تبرأ بين الذين أتبَعوا والذين أتْبِعوا ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾، ثم يسألهم الله ليوبخهم، ويبين لهم عدم قدرة من اتخذوهم آلهةً على نصرهم. فبعد أن سقطت كل حججهم، وتبين لهم كم كانوا على ضلال ورأوا العذاب، فتمنوا لو أنهم كانوا مهتدين مع من اهتدى .

ما يستفاد من النص:

الآية تقرر أن غواية الخلق من الإنس والجن لبعضهم بعض أمر حاصل، تؤيده الوقائع الحياتية، وهذا يستلزم أن يتحرى الإنسان أصدقاءه ومعارفه .

المَطْلَب الثَّالِث

الاعتراف بالغواية

قال تعالى: ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾[2] .

بعض الأوجه الإعرابية :

(فَأَغْوَيْنَاكُمْ) الفاء عاطفة، و (أغويناكم): فعل وفاعل ومفعول به، (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) (إن) واسمها، وجملة (كنا) خبرها، وكان واسمها و (غاوين) خبرها[3] .

---

(١) التحرير والتنوير: ٢ / ١٥٨ .

(٢) سورة الصافات: الآية ٣٢ .

(٣) إِعْرَاب الْقُرْآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٦/ ٣٨٠ .

المعنى العام :

(فأغويناكم)، أي: أضللناكم عن الهدى بدعائكم إلى ما نحن عليه، وزينا لكم ما كنتم عليه من الكفر، واعترافهم بالإغواء: (إنا كنا غاوين) بالوسوسة والاستدعاء، فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم؛ لأنا أردنا أن تكونوا أمثالنا في الغواية[١] .

وقد انزلقتم معنا بسبب استعدادكم للغواية، وما فعلنا بكم إلا أنكم اتبعتمونا في غوايتنا، فأغويناكم إنا كنا غاوين .

ومعنى الآية: أقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية، فاقرّوها ها هنا بأنهم تسببوا لإغوائهم، لكن لا بطريق القهر والغلبة، ونفوا عن أنفسهم فيما سبق أنهم قهروهم وغلبوهم، فقالوا: وما كان لنا عليكم من سلطان[٢] .

---

(١) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٢٣/ ٥٠؛ زَاد المَسِيْر: ٧/ ٥٥؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٥ / ٧٥؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٤/ ٦؛ فَتْح الْقَدِير: ٤/ ٣٩٢ .

(٢) يُنْظَرْ: فَتْح الْقَدِير: ٤/ ٣٩٢ .

المَبْحَث الرَّابِع
غواية الشيطان
ويتضمن أربعة مطالب :

المَطْلَب الأَوْل: التبرُّؤ من الغواية

المَطْلَب الثَّانِي: التهديد بالغواية

المَطْلَب الثَّالِث: التزين بالغواية

المَطْلَب الرَّابِع: الحفظ من غواية الشيطان

المَطْلَب الأَوْل

التبرء من الغواية

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[1] .

تحليل الألفاظ :

لَأَقْعُدَنَّ :

القُعُودُ يُقَابَلُ بِه القِيَامُ، والقَعْدَةُ للمَرَّةِ، وَالقِعْدَةُ للحال التي يكونُ عليها القاعدُ، والقُعُودُ قد يكونُ جَمْعَ قاعِدٍ، وَالمَقْعَدُ مَكَانُ القُعُودِ وجَمْعُه مَقَاعِدُ، ويُعَبَّرُ عَنِ التَرَصُّدِ للشيءِ بالقُعُودِ له نحوُ قولِهِ تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ كمَا فِي هَذِه الآيةِ [2].

صِرَاطَكَ :

الصِرَاطُ والسِرَاطُ والزِرَاطُ: الطريقُ[3].

الْمُسْتَقِيمَ :

الاسْتِقَامَةُ يقالُ في الطريقِ الذي يكونُ عَلَى خَطٍّ مُسْتَوٍ وبه شُبِّهَ طريقُ الْمُحِقِّ نحو: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[4]. واسْتِقَامَةُ الإنسان لزُومُهُ المَنْهَجَ الْمُسْتَقِيمَ[5] .

القراءات القرآنية :

صِرَاطَكَ :

١. قرأ قنبل ورويس وابن محيصن والشنبوذي: (سراطك)[6] .

٢. قرأ حمزة، والمطوعي بإشمام الصاد الزاي[7] .

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦ .

(٢) الْعَيْن: مَادَةُ (قعد) ١/ ١٤٢؛ الْمُفْرَدَات: ٤٠٨-٤٠٩ .

(٣) الصِّحَاح: مَادَةُ (صرط) ٣/ ١١٣٩؛ الْمُفْرَدَات: ٢٨٠ .

(٤) سورة الفاتحة: الآية ٦ .

(٥) الْعَيْن: مَادَةُ (قوم) ٥/ ٢٣١؛ الْمُفْرَدَات: ٤١٦ .

(٦) غَيْث النَّفْع: ٢٢٣ .

(٧) إتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ١٢٣؛ غَيْث النَّفْع: ٢٢١ .

بعض الأوجه الإعرابية :

جملة (فبما أغويتني) جواب شرط مقدر، أي : إن أنظرتني، والباء جارّة تفيد السببية، (ما) مصدرية، والمصدر مجرور متعلق بـ(أقعدن). والتقدير: إن أنظرتني فلأقعدنَّ لهم بإغوائك إياي . وجملة (لأقعدنَّ) جواب الشرط المقدر، (صراطك) منصوب على نزع الخافض (على)، ويضعف إعرابه ظرفاً؛ لأنه مختص، والمختص يتعدى بـ(في) نحو: صليت في المسجد[١] .

وحكى سيبويه نصب (صراطك) على الظرفية، أي: في صراطك المستقيم، وحكى سيبويه أَيْضًا: ضرب زيد الظهر والبطن، ورجح أبو حيان انتصابه على نزع الخافض[٢] .

المعنى العام :

قال إبليس لما أبلس وأيس من رحمة اللّه: (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ)، والإغواء إيقاع الغي في القلب، أي: فبما أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار، وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل، بل هو كفر عناد واستكبار. وقيل: معنى الكلام القسم، أي: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم إلى صراطك، أو صراطك، فحذف، دليل هذا القول قوله في سورة (ص): ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣]، فأقسم به إعظاماً لقدره عنده. وقيل الباء بمعنى اللام، كأنه قال: فلإغوائك إياي وقيل: هي بمعنى مع، والمعنى: فمع إغوائك إياي، وقيل: هو استفهام كأنه سأل: بأي شيء أغواه ؟ وكان ينبغي على هذا أن يكون فيم أغويتني، وقيل: المعنى فبما أهلكتني بلعنك إياي، والإغواء الإهلاك قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[٤]، أي: هلاكاً، وقيل: فبما أضللتني، والإغواء الإضلال والإبعاد، قاله ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما -، وقيل: خيبتني من رحمتك، أي: من يحب. والراجح: أن

---

(١) يُنْظَرْ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إِعْرَابِ الْقُرْآن: ١/ ١٥٢ .

(٢) يُنْظَرْ: الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٢٧٧ .

(٣) سورة (ص): الآية ٨٢ .

(٤) سورة مريم: من الآية ٥٩ .

الله تعالى أضله وخلق فيه الكفر، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى، وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له صادر عن إرادته سبحانه وتعالى[١].

(لأقعدن لهم صراطك المستقيم)، أي: بالصد عنه وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلوا كما ضل، أو يخيبوا كما خيب حسب ما تقدم من المعاني الثلاثة في (أغويتني)، والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة، والمعنى: لألزمن الصراط وأقعد عليه ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه، وعدم سلوكهم إياه[٢].

ما يستفاد من النص:

هذا المشهد الذي يبين حقيقة العداء الشيطاني لبني آدم، في نقطة الانطلاق يتحدد مصير الرحلة كلها، ومصائر المرتحلين جميعاً، وتلوح طلائع المعركة الكبرى التي لا تهدأ لحظة طوال الرحلة، بين هذا العدو الجاهر بالعداوة، وبني آدم جميعاً. كما تلوح نقط الضعف في الكائن الإنساني جملة، ومنافذ الشيطان إليه منها. ومن ثم يتخذ السياق من المشهد مناسبة للتعقيب الطويل، بالإنذار والتحذير، تحذير بني آدم مما جرى لأبويهم من هذا العدو العنيد، وفي ظل هذا المشهد الذي يقف فيه الشيطان وجهاً لوجه مع آدم وزوجه. يتوجه السياق بالخطاب إلى بني آدم يذكرهم وينذرهم، ويحذرهم[٣].

فنحن في هذه الآية نقف في مواجهة أحد أخطر مصادر الغي، والداعي إِلَى تزيين الغواية بين الناس وإضلالهم، فمع أن الله تَعَالَى خلق الشيطان، وخلق له عدته التي يفتن بها الناس، إلا أن الإنسان مطالب بمواجهة غواية الشيطان، بتجنب مسالكها ودروبها.

---

(١) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٨/ ١٣٣؛ زَاد المَسِيْر: ٣/ ١٧٥؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ٧/ ١٧٤؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٢/ ٢٠٥؛ فَتْح الْقَدِير: ٢/ ١٩٢؛ تفسير اسعدي: ٢/ ٢١٤.

(٢) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٨/ ١٣٣؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ٧/ ١٧٤؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٢/ ٢٠٥؛ فَتْح الْقَدِير: ٢/ ١٩٢.

(٣) يُنْظَرْ: في ظلال القرآن: ٨/ ١٢٤٧.

المَطْلَب الثَّانِي

التهديد بالغواية

قال الله عَزَّ شَأْنُه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١] .

وهذه الآية امتداد للآية السابقة، وتنسحب عليها المعاني ذاتها .

تحليل الألفاظ :

فَبِعِزَّتِكَ :

العِزَّةُ حالَةٌ مانِعَةٌ للإنْسَان مَنْ أَنْ يُغْلَبَ، مَنْ قولِهِمْ: أَرْضٌ عَزازٌ أي: صُلْبَةٌ، وعَزَّ: كأنه حَصَلَ في عَزَازٍ يَصْعُبُ الوُصُولُ إليه، والعَزِيزُ الذي يُقْهِرُ ولا يُقْهَرُ، وقيلَ: (مَنْ عَزَّ بَزَّ)[٢]، أي: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ[٣].

القراءات القرآنية :

قريء: (المخلصين) على صيغة الفاعل أي الذين أخلصوا قلوبهم أو أعمالهم لله تعالى[٤] .

بعض الأوجه الإعرابية :

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

(فَبِعِزَّتِكَ) الفاء رابطة لجواب شرط مقدر ولترتيب مضمون الجملة على الإنظار، أي فأقسم بعزتك، أي : إن أنظرتني، فأنا أقسم، والجار متعلق بـ(أقسم) المقدرة، وجملة أقسم خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا، و (أجمعين) توكيد للهاء[٥] .

---

(١) سورة (ص): الآية ٨٢ .

(٢) الأمثال، لأبي فَيْد مُؤَرِّج بن عمرو بن الحارث السدوسي، (ت ١٩٥هـ)، تَحْقِيق: د. مُحَمَّد رمضان عَبْد التواب، الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، مصر ،١٩٧١م: ١١٣؛ بصائر ذوي التمييز: ٤/ ٦٢ .

(٣) المُفْرَدَات: ٣٣٢-٣٣٣؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (عزز) ٥/ ٣٧٧.

(٤) ينظر النشر: ٢ / ٢٩٥، وإرشاد العقل السليم: ٤ / ٢٩٨؛ والإتحاف: ٣٧٤ .

(٥) يُنْظَرْ: البحر المحيط: ٧ / ٤١٠؛ المُجْتَبَى مِن مُشْكِل إعْرَاب القُرْآن: ٣/ ٤٥٧ .

المعنى العام :

قال إبليس: فبعزتك يا رب وعظمتك، قسم بسلطان الله تعالى ـ عز وجل ـ وقهره، (لأغوينهم أجمعين)، أي: لأضلن بني آدم أجمعين، أي: أفراد هذا النوع بتزيين المعاصي لهم. (إلا عبادك منهم المخلصين)، وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم عن الغواية[١] .

وهذا هو المعنى الظاهر من الآية .

ما يستفاد من النص :

تقدم هذا في الطلب السابق .

المَطْلَب الثَّالِث

التزين بالغواية

قال الله تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[٢].

تحليل الألفاظ :

لأُزَيِّنَنَّ :

الزّينَةُ الحقيقة ما لا يَشِينُ الإنْسَانَ في شيءٍ مِنْ أحْواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأمَّا ما يَزِينُه في حالةٍ دون حالةٍ فهو منْ وجْهٍ شَيْنٌ، وقد نسب الله تعالى التّزْيين في مَواضِع إلى نفسه، وفي مواضِعَ إلى الشيطان وفي مواضِعَ ذَكَرَهُ غَيرَ مُسَمًّى فاعِلهُ، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ** ﴾[٣]، وتَزْيِينُ الله للأشياء قد يكونُ بإبْداعِهَا مُزَيَّنَةً وإيجَادِهَا كذلك، وتَزْيِينُ الناسِ للشيءِ بتَزْوِيقِهِمْ أَو بقولهمْ وهوَ أَنْ يَمْدَحُوهُ ويَذكُرُوهُ بما يَرْفَعُ منهُ[٤].

---

(١) يُنْظَرْ: زَاد المَسِيْر: ٧/ ١٥٧؛ البحر المحيط: ٧ / ٤١٠ .

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٩ .

(٣) سورة آل عمران: من الآية ١٤ .

(٤) الْمُفْرَدَات: ٢١٨؛ الْقَامُوس الْمُحِيط: مَادَةُ (الزينة) ٤/ ٢٣٢ .

بعض الأوجه الإعرابية :

(بما) الباء جارة للسببية، (ما) مصدرية، والمصدر المؤول مجرور بالباء متعلق بـ(أُزَين) ، ومفعول (أزين) محذوف، أي : المعاصي ،الجار (في الأرض) متعلق بحال من المفعول المقدر، وجملة (ولأغوينهم) معطوفة على جملة (لأزينن)، و(أجمعين) توكيد للضمير الهاء [(١)].

المعنى العام :

المعنى: لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه، ولأغوينهم، أي: ولأضلنهم عن طريق الهدى حتى يقعوا في الغواية أجمعين. وتزيين الشيطان هنا يكون بوجهين: إما بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة[(٢)].

وروي عن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ قال: ((قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن إبليس قال: يا رب وعزتك وجلالك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)) [(٣)].

ما يستفاد من النص:

تقدم ذكر ذلك في المطلبين السابقين .

المَطْلَب الرَّابِع

الحفظ من غواية الشيطان

قال الله تَعَالَى اسْمُهُ: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ** ﴾[(٤)] .

---

(١) يُنْظَرْ: الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إِعْرَابِ الْقُرْآن: ١/ ٢٦٤ .

(٢) يُنْظَرْ: زَاد المَسِيْر: ٤/ ٤٠١؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٠/ ٢٧؛ تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم: ١/ ٤٠٨.

(٣) مُسْنَد أَحْمَدَ: ٣/ ٧٦ رقم: (١١٧٤٧)؛ الْمُنْتَخَب من مُسْنَد عَبْد بن حُمَيْدٍ، لأبي مُحَمَّد عَبْد بن حُمَيْدٍ بن نصر الكسي، (ت ٢٤٩هـ)، تَحْقِيق: صبحي الْبَدْري السامرائي، ومحمود مُحَمَّد خليل الصعيدي، الطَبْعَة الأُولَى، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م: ٢٩٠ رقم: (٩٣٢) .

(٤) سورة الحجر: الآية ٤٢ .

تحليل الألفاظ :

سُلْطَانٌ :

السَّلاَطَةُ التَّمَكُّنُ مِنَ القَهْرِ، يُقَالُ سَلَّطْتُهُ فَتَسَلّط، ومنه سُمِّيَ السُّلْطَانُ، وقد يقَالُ لِذِي السَّلاطَةِ وهو الأكْثَرُ، وَسُمِّيَ الْحُجَّةُ سُلْطَاناً وذلك لِمَا يَلْحَقُ مِنَ الْهُجُومِ على القُلُوبِ، لكِنْ أكْثَرُ تَسَلُّطِهِ على أَهْلِ العلْمِ وَالحِكْمَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِين[١].

اتَّبَعَكَ :

تبعه واتبعه: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار، ويقال: أتبعه: إذا لحقه، يقال: أتبعت عليه، أي: أحلت عليه[٢].

بعض الأوجه الإعرابية :

الجار (لك) متعلق بخبر ليس، الجار (عليهم) متعلق بحال من (سلطان)، (من) موصول مستثنى منقطع، والمراد بالعباد المخلصون بدليل سقوطه في آية الإسراء : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً** ﴾[٣]، الجار (من الغاوين) متعلق بحال من ضمير الفاعل أي : اتبعك كائناً من الغاوين[٤].

المعنى العام :

في قوله تعالى: (إن عبادي) أربعة أقوال :

أحدها ـ إنهم المؤمنون، روي عن قتادة .

والثاني ـ المعصومون، روي عن قتادة أَيْضًا .

والثالث ـ المخلصون، قاله مقاتل .

والرابع ـ المطيعون، قاله ابن جرير .

---

(١) الصِّحَاح: مَادَةُ (سلط) ٣/ ١١٣٣؛ الْمُفْرَدَات: ٢٣٨ .

(٢) الْعَيْن: مَادَةُ (تبع) ٢/ ٧٨؛ الْمُفْرَدَات: ٧٢ .

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٦٥ .

(٤) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِلِ إِعْرَابِ الْقُرْآن: ١/ ٢٦٤ .

فعلى هذه الأقوال تكون الآية من العام الذي أريد به الخاص[١] .

وفي المراد بالسلطان قولان :

أحدهما ـ أنه الحجة، قاله ابن جرير. فيكون المعنى ليس لك حجة في إغوائهم .

والثاني ـ أنه القهر والغلبة إنما له أن يغرّ ويزين، قاله أبو سليمان الدمشقي. وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية، فقال: ليس لك عليهم سلطان أن تلقيهم في ذنب يضيق عفوي عنه[٢] .

ما يستفاد من النص:

تختلف هذه الآية عن سابقاتها أنها تضمنت تكفل الله تَعَالَى بحفظ عباده المؤمنين من غواية الشيطان، وعلى هذا يمكن لأي مسلم أن يرى إن كان محفوظاً من الله تعالى، مشمولاً بهذه الآية من عدمه، بمراقبة سلوكه، فإن كانت الغواية تصيبه بين حين وحين، علم أنه من الغاوين .

---

(١) جَامِع الْبَيَان: ١٤/ ٣٤؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٤/ ٢٩٣ .

(٢) يُنْظَرْ: زَاد المَسِيْر: ٤/ ٤٠٢؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٢/ ٥٥٢ .

المَبْحَث الخَامِس
سبيل الغَيّ
ويتضمن خمسة مطالب :

المَطْلَب الأَوْل: الانسلاخ من الآيات

المَطْلَب الثَّانِي: اتباع سبيل الغي

المَطْلَب الثَّالِث: مخالفة الهدي

المَطْلَب الرَّابِع: اتباع الشعراء

المَطْلَب الخَامِس: المشاكسة

المَطْلَب الأَوْل

الانسلاخ من الآيات

قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ ﴾[1] .

تحليل الألفاظ :

نَبَأَ :

النَّبَأُ خبَرٌ ذُو فائدَةٍ عظيمةٍ يَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ أو غَلَبَةُ ظَنٍّ، ولا يقالُ للخبَرِ في الأصلِ نَبَأٌ حتى يتضَمَّنَ هذه الأشْيَاء الثَّلاثة، وحقُّ الخبَرِ الذي يقالُ فيه نَبَأٌ أنْ يَتَعَرَّى عن الكذِبِ كالتَّواتُرِ، وخبَرِ اللَّهِ تعالى، وخبَرِ النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولتضَمُّنِ النَّبَإِ معنى الخَبَرِ يقالُ أنْبأْتُهُ بكذا كقَوْلِكَ أخبرْتُه بكذا، ولِتضمنِهِ معنى العِلْمِ قيلَ: أنْبأْتُه كذا كقولِكَ أعلَمْتُه كذا[2] .

فَانسَلَخَ :

السَّلْخُ نَزْعُ جِلْدِ الْحَيَوَان، يُقَالُ: سَلَخْتُهُ فَانْسَلَخَ، وعنه اسْتُعِيرَ سَلَخْتُ دِرْعَهُ نَزَعْتُهَا وَسَلَخَ الشهرُ وانْسَلَخَ، والسين واللام والخاء أصلٌ واحد، وهو إخراج الشيء عن جلده، ثم يُحْمَل عليه. والأصل سلختُ جلدةَ الشاةِ سلخاً[3] .

القراءات القرآنية :

فَأَتْبَعَهُ :

قرأ طلحة، والحسن: (فاتَّبعه)[4] .

بعض الأوجه الإعرابية :

جملة (واتل) مستأنفة . وجملة (فانسلخ) معطوفة على جملة (آتيناه) لا محل لها[5] .

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٥ .

(٢) الْمُفْرَدَات: ٤٨١؛ إعجاز القرآن: ١٥٧ .

(٣) الصِّحَاح: مَادَةُ (سلخ) ١/ ٤٢٣؛ الْمُفْرَدَات: ٢٣٨ .

(٤) الْكَشَّاف: ٢/ ١٠٤؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٤٢٣ .

(٥) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إِعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ١٢٤.

المعنى العام :

إيراد هذه القصة منه سبحانه، وتذكير أهل الكتاب بها؛ لأنها كانت مذكورة عندهم في التوراة. وقد اختلف في هذا الذي أوتى الآيات فانسلخ منها :

قيل: هو بلعم بن باعوراء، وكان قد حفظ بعض الكتب المنزلة، وقيل: كان قد أوتى النبوة، وكان مجاب الدعوة بعثه الله إلى مدين يدعوهم إلى الإيمان، فأعطوه الأغطية الواسعة، فاتبع دينهم، وترك ما بعث به، فلما أقبل موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ في بنى إسرائيل لقتال الجبارين، سأل الجبارون بلعم ابن باعوراء أن يدعو على موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ فقام ليدعو عليه، فتحول لسانه بالدعاء على أصحابه، فقيل له في ذلك، فقال: لا أقدر على أكثر مما تسمعون، واندلع لسانه على صدره، فقال: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة، وسأمكر لكم، وإني أرى أن تخرجوا إليهم فتياتكم، فإن الله يبغض الزنا، فإن وقعوا فيه هلكوا، فوقع بنو إسرائيل في الزنا فأرسل الله عليهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً .

وقيل: إن هذا الرجل اسمه باعم، وهو من بنى إسرائيل[1] .

وقيل: المراد به أمية بن الصلت الثقفي، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك، فلما أرسل الله مُحَمَّداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حسده وكفر به .

وقيل: هو أبو عامر بن صيفى، وكان يلبس المسوح في الجاهلية فكفر بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وقيل: نزلت في قريش، آتاهم الله آياته التي أنزلها على محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكفروا بها .

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، انتظروا خروج مُحَمَّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكفروا به[2] .

---

(١) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٩/ ١٢٦؛ زَاد المَسِيْر: ٣/ ٢٨٩؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ٧/ ٣٢٣؛ فَتح الْقَدِير: ٢/ ٢٦٥ .

(٢) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٩/ ١٢٦؛ زَاد المَسِيْر: ٣/ ٢٨٩؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ٧/ ٣٢٣؛ فَتح الْقَدِير: ٢/ ٢٦٥ .

قوله: (فانسلخ منها)، أي: من هذه الآيات التي أوتيها، كما تنسلخ الشاة عن جلدها، فلم يبق له بها اتصال، فأتبعه الشيطان، ثم انسلاخه عن الآيات، أي: لحقه، فأدركه وصار قريناً له، أو فأتبعه خطواته، فكان من الغاوين المتمكنين في الغواية، وهم الكفار[١].

ما يستفاد من النص:

بغض النظر عن سبب نزول هذه الآية، إلا أنها تحكي أحد السبل الخطيرة المؤدية إلى الغواية، فالإنسان قد يظن نفسه على خير، فيقع في الخطأ، ويسدر في غيه، فهو لا يعلم من نفسه السوء، وحال من يرتكب المعصية، ويعلم أنها معصية ويعلل نفسه بالآمال خير من هذا الذي يعتقد في نفسه الخير، لأن توبته بعيدة.

المَطْلَب الثَّانِي
اتباع سبيل الغي

قال الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾[٢].

تحليل الألفاظ:

سَأَصْرِفُ:

الصَّرْفُ: رَدُّ الشيءِ مِنْ حَالَةٍ إلى حَالَةٍ، أوْ إبْدَالُهُ بِغَيْرِهِ، يقَالُ: صَرَفْتُهُ فَانْصَرَفَ، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾[٣] فيجُوز أن يكُونَ دُعَاءً عليهم، وأنْ يكُونَ ذلك إشارةً إلى ما فَعَلَهُ بهِمْ. والتَّصْرِيفُ كالصَّرْفِ إلاّ في التَّكْثِيرِ، وأَكْثَرُ ما يُقالُ في صَرْفِ الشيءِ مِنْ حَالَةٍ إلى حالَةٍ، ومِنْ أمْرٍ إلى أمْرٍ[٤].

---

(١) يُنْظَرْ: فَتْح الْقَدِير: ٢/ ٢٦٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٧.

(٤) الصِّحَاح: مَادَةُ (صرف) ٤/ ١٣٨٥؛ الْمُفْرَدَات: ٢٧٩.

يَتَكَبَّرُونَ :

الْكِبْرُ وَالتَّكَبُّرُ والاسْتِكْبَارُ تتقَارَبُ، فَالْكِبْرُ الحالةُ التي يَتَخَصَّصُ بها الإنْسَانُ من إعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ، وذلك أن يَرَى الإنسانُ نَفْسَهُ أَكْبَرَ من غيرِهِ. وأعْظَمُ التَّكَبُّرِ التَّكَبُّرُ على اللَّهِ بالامْتِنَاعِ مِنْ قَبُولِ الحَقِّ، وَالإذْعَانِ له بالعِبَادَةِ. والاسْتِكْبَارُ يقالُ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أنْ يَتَحَرَّى الإنسانُ ويَطْلُبَ أَنْ يَصِيرَ كَبِيراً، وذلك متى كان على ما يَجِبُ، وفي المكان الذي يَجِبُ، وفي الوقْتِ الذي يَجِبُ فمحْمُودٌ، والثاني: أنْ يَتَشَبَّعَ فيُظْهِرَ مِنْ نَفْسِهِ ما ليسَ له، وهذا هو المَذْمُومُ وعلى هذا ما وَرَدَ في القُرْآن [١].

سَبِيلَ :

السَّبِيلُ: الطَّرِيقُ الذي فيهِ سُهولةٌ وَجَمْعُه سُبُلٌ؛ لأنَّ اسمَ الجنس إذا أُطْلِقَ يختَصُّ بِمَا هو الْحَقُّ. وقيل لِسَالِكِه: سَابِلٌ، وَجَمْعُهُ سَابِلَةٌ وَسَبِيلٌ سَابِلٌ، وَابْنُ السَّبِيل: الْمُسَافِرُ البعيدُ عَنْ مَنزلِهِ [٢].

غَافِلِينَ :

الغَفْلَةُ سَهْوٌ يَعْتَرِي الإنْسَانَ مِنْ قِلَّةِ التَّحَفُّظِ وَالتَّيَقُّظِ، يُقَالُ: غَفَلَ فهو غافلٌ [٣].

القراءات القرآنية :

آيَاتِي :

قرأ ابن عامر، وحمزة: (آياتِي) [٤].

يَرَوْا :

قرأ مالك بن دينار في الموضعين من الآية: (يُرَوْا) [٥].

الرُّشْدِ :

١. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الرَّشَد) [٦].
٢. قرأ ابن عامر: (الرُّشُد) [٧].

---

(١) الْمُفْرَدَات: ٤٢٠ – ٤٢٢؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (كبر) ٥/ ١٢٩ .
(٢) الصِّحَاح: مَادَةُ (سبل) ٥/ ١٧٢٤؛ الْمُفْرَدَات: ٢٢٣ .
(٣) الْمُفْرَدَات: ٣٦٢؛ الْقَامُوس الْمُحِيط: مَادَةُ (غفل) ٤/ ٢٥ .
(٤) السبعة: ٣٠١؛ النشر: ٢/ ٢٧٥ .
(٥) الْكَشَّاف: ٢/ ٩٣؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٧/ ٢٨٣؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٣٩٠.
(٦) التيسير: ١١٣؛ الكشف: ١/ ٤٧٦؛ النشر: ٢/ ٢٧٢؛ إتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ٢٣٠؛ غَيْث النَّفْعِ: ٢٢٩.
(٧) الْكَشَّاف: ٢/ ٩٣؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٣٩٠ .

٣. قرأ أبو عَبْد الرَّحْمَن: (الرَّشاد)[١].

فرق أبو عمرو بين الرشد والرشد، فقال: الرشد في الصلاح والرشد في الدين، وقال النحاس: سيبويه يذهب إلى أن الرشد والرشد مثل السخط والسخط، والصحيح عن أبي عمرو وغيره، ما حكاه أبو عبيد، عن أبي عمرو بن العلاء قال: إذا كان الرشد وسط الآية فهو مسكن، وإذا كان رأس الآية فهو محرك، قال النحاس: يعني برأس الآية نحو: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[٢] فهما عنده لغتان بمعنى واحد إلا أنه فتح هذا لتتفق الآيات[٣].

يَتَّخِذُوهُ :

قرأ ابن أبي عبلة: (يتخذوها)[٤].

بعض الأوجه الإعرابية :

الجار (بغير) متعلق بحال محذوفة من الواو في (يتكبرون)، (سبيلاً) مفعول ثان. المصدر (بأنهم كذّبوا) في محل جر بالباء متعلق بالخبر. وجملة (ذلك بأنهم) مستأنفة[٥].

المعنى العام :

أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق): قال قتادة: سأمنعهم فهم كتابي، وقاله سفيان بن عيينة[٦].

وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها.

وقيل: سأصرفهم عن نفعها، وذلك مجازاة عن تكبرهم نظيره، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، والآيات على هذا المعجزات أو الكتب المنزلة.

---

(١) الْكَشَّاف: ٢/ ٩٣؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٣٩٠.

(٢) الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٣٩٠.

(٣) سورة الكهف: من الآية ١٠.

(٤) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٧/ ٢٨٣.

(٥) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إِعْرَاب الْقُرْآن: ١/ ١٦٨.

(٦) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ٩/ ٥٩ ـ ٩٦؛ أَحْكَام الْقُرْآن للجَصَّاص: ٤/ ٢١٠؛ زَاد الْمَسِيْر: ٣/ ٢٦٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٧/ ٢٨٣؛ تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم: ٢/ ٢٤٨؛ فَتْح الْقَدِير: ٢/ ٢٤٤.

وقيل: خلق السماوات والأرض، أي: أصرفهم عن الاعتبار بها يتكبرون أنهم أفضل الخلق، وهذا ظن باطل، فلهذا قال بغير الحق، فلا يتبعون نبياً، ولا يصغون إليه لتكبرهم[١] .

وفي معنى يتكبرون قولان :

أحدهما يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ .

والثاني ـ يحقرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم[٢] .

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء المتكبرين، أخبر عنهم أنهم يتركون طريق الرشاد ويتبعون سبيل الغي والضلال، أي: الكفر يتخذوه ديناً، ثم علل فقال: ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا، أي: ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم، وكانوا عنها غافلين، أي: كانوا في تركهم تدبر الحق كالغافلين. ويحتمل أن يكونوا غافلين عما يجازون به، كما يقال: ما أغفل فلان عما يراد به[٣] .

ما يستفاد من النص:

في هذه الآيات إشارات مهمة للبضع الخصال الذين جانبوا طريق الحق، واتبعوا سبل الضلالة، فهم: يتكبرون في الأرض بغير الحق، وقوله تعالى: (بغير الحق) يدل على أن هناك تكبراً بحق، وهو من قبيل التكبر على الظلمة والكافرين والمتكبرين وأمثالهم .

وأنهم لا يؤمنون بالآيات البينات، بل يسدرون في غيهم، وهذه حالة إنسانية عامة لا تختص بزمان ولا مكان، بل تراها في كل زمان ومكان، فهم لا يصدعون للحق، ويغالطون أنفسهم، ويتمسكون بأفكارهم ومعتقداتهم وإن كان الخطأ قد ركبها، والذي أراه أن السبب الرئيس في هذا هو المنافع والمصالح الشخصية، مادية كانت أَوْ معنوية، فهي التي تقف وراء هذا التعصب .

---

(١) يُنْظَرْ: المَصَادِر نَفْسَهَا. .

(٢) يُنْظَرْ: فَتح الْقَدِير: ٢/ ٢٤٤ .

(٣) يُنْظَرْ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٧/ ٢٨٣ .

المَطْلَب الثَّالِث

مخالفة الهدي

قال الله تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[١] .

تحليل الألفاظ :

فَخَلَفَ :

خَلْفُ ضِدُّ القُدَّام، وخلَفَ ضِدُّ تقدَّمَ وسَلَفَ، والمتأخِّرُ لقصُورِ منزلتِهِ يقَالُ لهُ خَلْفٌ، ولهذا قيلَ: الخَلْفُ الرديءُ. والمتأخرٌ لا لقُصُورِ منزلتِهِ يقَالُ لهُ خَلْفٌ، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾[٢]. وقيلَ: سَكَتَ أَلفاً ونَطَقَ خَلْفاً[٣]. أي رَدِيئاً مِنَ الكلام، والخلف الأولاد[٤].

أَضَاعُوا :

الضاد والياء والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على فَوت الشَّيء وذَهابه وهلاكه. يقال: ضاع الشَّيءُ يَضيع ضَياعًا وضَيْعَةً، وأضعته أنا إضاعة[٥] .

الشَّهَوَات :

أَصْلُ الشَّهْوَةِ نُزُوعُ النَّفْسِ إِلَى ما تُرِيدُهُ، وذلك في الدُّنْيَا ضَرْبَان صَادِقَةٌ وكَاذِبَةٌ، فالصَّادِقَةُ ما يَخْتَلُّ البَدَنُ مِنْ دُونِهِ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ عِنْدَ الْجُوعِ، والكاذِبَةُ ما لا يَخْتَلُّ مِنْ دُونِه، وقد يُسَمَّى الْمُشْتَهى شَهْوَةً، وقد يُقَالُ للقُوَّةِ التي تَشْتَهِي الشيءَ شَهْوَةٌ، وقولُهُ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾[٦] يَحْتَمِلُ الشَّهْوَتَيْنِ، وقولهُ: ﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾[٧]، فهذا مِنَ الشَّهَوَاتِ الكاذِبَةِ ومِنَ الْمُشْتَهِيَاتِ الْمُسْتَغْنَى عنها. وقيلَ: رَجُلٌ شَهْوَانٌ وَشَهْوانِيٌّ وشيءٌ شَهِيٌّ[٨] .

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٩ .

(٢) سورة مريم: من الآية ٥٩ .

(٣) مجمع الأمثال: ١/ ٣٣ .

(٤) مجمل اللغة: ٢/ ٣٠٠؛ الْمُفْرَدَات: ١٥٦؛ بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٥٦١ .

(٥) الْمُفْرَدَات: ٣٠٠؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (ضوع) ٨/ ٢٣١ .

(٦) سورة آل عمران: من الآية ١٤ .

(٧) سورة مريم: الآية ٥٩ .

(٨) الْمُفْرَدَات: ٢٧٠؛ النِّهَايَة فِي غَرِيب الْحَدِيث والأثَر: ٢/ ٥١٦ .

القراءات القرآنية :

الصَّلَاةَ :

قرأ عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ، والحسن، وأبو رزين العقيلي، والضحاك، وابن مقسم: (الصلواتِ)[١] .

يَلْقَوْنَ :

قرأ الأخفش: (يُلَقَّوْن)[٢] .

بعض الأوجه الإعرابية :

جملة (فخلف) مستأنفة، (من بعدهم) حال، و (خلف) فاعل وجملة (أضاعوا) نعت (خلف) ، و (اتبعوا الشهوات) عطف على (أضاعوا الصلاة) وجملة (فسوف يلقون) معطوفة على جملة (اتبعوا)، والفاء الفصيحة، أي: إن شئت أن تعلم عاقبهم[٣] .

المعنى العام :

أخبر الله تَعَالَى عن اليهود، أنهم يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا لشدة حرصهم ونهمهم، ويقولون: سيغفر لنا، وهم لا يتوبون .

وفي الخلف ثلاثة أقوال :

أحدها ـ أنهم اليهود، رواه الضحاك عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ .

والثاني ـ اليهود والنصارى، قاله السدي .

والثالث ـ أنهم من هذه الأمة يأتون عند ذهاب صالحي أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتبارون بالزنا ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زناة، قاله مجاهد وقتادة[٤].

---

(١) الْكَشَّاف: ٥/ ٥١٤؛ الْجَامع لأَحْكَام الْقُرآن: ١١/ ١٢٣؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ٢٠١؛ إتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ: ٢٩٩ .

(٢) الْكَشَّاف: ٢/ ٥١٥؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ٢٠١ .

(٣) الْمُجْتَبَى مِن مُشْكِل إعْرَاب الْقُرآن: ٢/ ٣٠٩؛ إعْرَاب الْقُرآن الكَرِيم وَبَيَانُه: ٤/ ٦٢٢ .

(٤) يُنْظَرْ: الْكَشَّاف: ٢/ ٥١٥؛ زَاد المَسِيْر: ٥/ ٢٤٧؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ٢٠١ .

وفي المراد بإضاعتهم للصلاة قولان:

أحدهما ـ أنهم أخروها عن وقتها، قاله ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ والنخعي وعمر بن عبد العزيز والقاسم بن مخيمرة .

والثاني ـ تركوها، اختاره الزجاج[١] .

قوله تعالى: (واتبعوا الشهوات) وذلك مثل استماع الغناء وشرب الخمر والزنا واللهو وما شاكل ذلك، مما يقطع عن أداء فرائض الله عز وجل. وقوله تعالى: (فسوف يلقون غياً) ليس معنى هذا اللقاء مجرد الرؤية، وإنما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية[٢] .

وفي المراد بهذا الغي ستة أقوال :

أحدها ـ أنه واد في جهنم، رواه ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه قال كعب[٣] .

والثاني ـ أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ[٤] .

والثالث ـ أنه الخسران، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ .

والرابع ـ أنه العذاب، قاله مجاهد .

والخامس ـ أنه الشر، قاله ابن زيد، وابن السائب .

والسادس ـ أن المعنى فسوف يلقون مجازاة الغي كقوله تعالى: ﴿ **يَلْقَ أَثَامًا** ﴾[٥]، أي: مجازاة الآثام، قاله الزجاج[٦] .

---

(١) يُنْظَرْ: الْكَشَّاف: ٢/ ٥١٥؛ زَاد المَسِيْر: ٥/ ٢٤٨؛ أنوار التنزيل: ٣/ ٥٩؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ٢٠١؛ الجَوَاهِر الحسان فِي تَفْسِيْر الْقُرآن، لعَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي، (ت ٦٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بَيْرُوْت، (د. ت): ٢/ ٥٤ .

(٢) يُنْظَرْ: زَاد المَسِيْر: ٥/ ٢٤٨ .

(٣) التخويف من النار: ٦٦ .

(٤) الْمُعْجَم الكَبِيْر: ٩/ ٢٢٧ رقم: (٩١٠٦)، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٧/ ٥٥ وقال: رجاله ثقات، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ .

(٥) سورة الفرقان: من الآية ٦٨ .

(٦) الْكَشَّاف: ٢/ ٥١٥؛ زَاد المَسِيْر: ٥/ ٢٤٨؛ أنوار التنزيل: ٣/ ٥٩؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٦/ ٢٠١؛ الجواهر الحسان: ٢/ ٥٤ .

والذي يبدو راجحاً هو القول الأخير، لأنه أصح تفسيراً، إذْ هو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، ولا يمنع أن يكون الغي الجازاة، وأن يكون وادياً في جهنم، أَوْ نهراً أَيْضًا فهما بمعنى واحد تقريباً؛ لأن مصير الغي النار .

ما يستفاد من النص:

ينبه الْقُرآن الْكَرِيم إِلَى بعض وسائل الغي وهي: إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، وفضيلَة الصلاة معروفة، وكذلك ضرر الشهوات، والآية ذكرت حكمين: أحدهما وجوب العمل به، والآخر وجوب اجتنابه فجمعت بين الأمر والنهي .

المَطْلَب الرَّابع

اتباع الشعراء

قال الله جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾[١] .

سبب النزول :

روي عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قال: كان رجلان على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تهاجيا، فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، فقال الله: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾[٢] .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قال: ((هم شعراء المشركين)). قال مقاتل: منهم عبد الله بن الزبعري، وأبو سفيان بن حرب، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي في آخرين، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وقالوا الشعر فاجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروون عنهم[٣] .

تحليل الألفاظ :

وَالشُّعَرَاءُ :

شَعَرْتُ أَصَبْتُ الشَّعَرَ، ومنه اسْتُعِيرَ شَعَرْتُ كذا، أي: عَلِمْتُ عِلْماً في الدِّقّةِ كَإِصَابَةِ الشَّعْرِ، وَسُمِّيَ الشاعِرُ شاعِراً لِفِطْنَتِهِ وَدِقّةِ مَعْرِفَتِهِ[٤] .

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٤

(٢) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ١٩/ ١٢٩؛ زَاد المَسِيْر: ٦/ ١٥٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٣/ ١٥٢؛ تَفْسِيْر الْقُرآن العَظِيم: ٣/ ٣٥٥؛ فَتْح الْقَدِير: ٤/ ١٢١.

(٣) يُنْظَرُ المَصَادِر نَفْسَهَا.

(٤) مجمل اللغة: ٢/ ٥٠٥؛ أساس البلاغة: ٣٢٠ .؛ الْمُفْرَدَات: ٢٦٩ .

القراءات القرآنية :

وَالشُّعَرَاءُ :

قرأ عيسى بن عمر: (والشعراءَ)[١] .

يَتَّبِعُهُمْ :

١. قرأ نافع، والسلمي، والحسن: (يَتْبَعُهُمُ)[٢].

٢. قرأ أبو عمرو، والحسن، وعبد الوارث: (يَتْبَعْهُمُ)[٣] .

٣. قرأ يعقوب في رواية هارون عنه: (يَتَّبِعَهُمْ)[٤] .

المعنى العام :

قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والإنس، وقيل: الغاوون الزائلون عن الحق، ودل بهذا أن الشعراء أيضاً غاوون؛ لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك[٥] .

وفي الغاوين ثلاثة أقوال :

أحدها ـ الشياطين، قاله مجاهد وقتادة .

والثاني ـ السفهاء، قاله الضحاك .

والثالث ـ المشركون قاله ابن زيد[٦] .

ما يستفاد من النص:

من المعلوم أن الشعر ينقسم على أقسام، فمنه: المحرم، والمكروه والمباح، والمندوب، والواجب، والآية تتعلق بالشعر المحرم والمكروه، بدليل الاستثناء الوارد بعد ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾[٧] .

---

(١) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٣/ ١٥٢؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٧/ ٤٨ .

(٢) التيسير: ١١٥؛ الكشف: ١/ ٤٨٦؛ حجة القراءات: ٢٦٩ .

(٣) الْكَشَّاف: ٣/ ١٣٣؛ الْبَحْر الْمُحِيط: ٧/ ٤٨ .

(٤) الْبَحْر الْمُحِيط: ٧/ ٤٨ .

(٥) يُنْظَرْ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٣/ ١٥٢ .

(٦) يُنْظَرْ: جَامِع الْبَيَان: ١٩/ ١٢٩؛ زَاد الْمَسِيْر: ٦/ ١٥٠؛ الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ١٣/ ١٥٢؛ تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم: ٣/ ٣٥٥؛ فَتْح الْقَدِير: ٤/ ١٢١.

(٧) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧ .

فالشعر الذي يؤدي إلَى الغواية هو الشعر الذي يحث على الرذائل ويشيع الفاحشة، أو ينطق بها، أَوْ يحارب فيه الحق، وفي هذا بيان لأهمية الكلمة ودورها في الحياة الاجتماعية، وأرى أن هذه الآية تصلح أن تكون شاهداً على قوة التأثير الإعلامي بمصطلح اليوم، لأن الشعراء كانوا في الجاهلية، وفي صدر الإسلام يمارسون دوراً إعلامياً مهماً، ينوب عن دور أجهزة الإعلام اليوم .

وقد لا حظنا في العراق ما يفعله التضليل الإعلامي، وتحريف الحقائق من آثار خطيرة جداً، أولها احتلال العراق .

المَطْلَب الخَامِس

المشاكسة

قال الله تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾[1] .

تحليل الألفاظ :

يَتَرَقَّبُ :

رَقَبَه يَرْقُبَه رِقْبَةً ورِقْبَاناً بالكسر فيها، ورُقُوباً وتَرَقَّبَه وارْتَقَبَه انتظره ورصده. والتَّرَقُّب الانتظار، وكذلك الارْتِقَاب، والتَّرَقُّب تَنَظُّرُ وتَوَقُّع شيء[2].

وتفسير الرقيب على وجهين :

الوجه الأول: يعني حفيظاً كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾[3] يعني حفيظاً لأعمالكم .

الوجه الثاني: يعني الانتظار لقوله تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ** ﴾[4][5].

---

(١) سورة القصص: الآية ١٨ .

(٢) ينظر لِسَان العَرَب: مَادة (رقب) ١ / ٤٢٤ .

(٣) سُوْرَة النِّسَاء: الآية ١ .

(٤) سُوْرَة الدُّخَان: الآية ٥٩ .

(٥) الصِّحَاح: مَادَّةُ (رقب) ١/ ١٣٨؛ الْمُفْرَدَات: ٢٠١ .

اسْتَنصَرَهُ :

الاسْتِنْصار: اسْتِمْدَاد النَّصْر. واسْتَنْصَرَه على عَدُوّه، أَي: سأله أَن ينصُره عليه. والتَّناصُر: التَّعاون على النَّصْر. وتَنَاصَرُوا نَصَر بعضُهم بعضاً. والنَّصِير فعيل بمعنى فاعِل أَو مفعول لأَن كل واحد من المتَناصِرَيْن ناصِر ومَنْصُور. وقد نصَره ينصُره نصْراً إِذا أَعانه على عدُوّه وشَدَّ منه [١].

يَسْتَصْرِخُهُ :

الصَّرْخَة: الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة. الصارخ والصريخ: المستغيث. وقيل: الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث والمستصرخ المستغيث، والاستصراخ الاستغاثة، صرخ فلان يصرخ صراخاً إذا استغاث فقال: واغوثاه واصرختاه [٢].

مُبِينٌ :

بانَ واسْتَبَانَ وَتَبَيَّنَ وقد بَيَّنْتُهُ، ويقالُ: آيةٌ مُبَيِّنَةٌ اعْتِباراً بِمَنْ بيَّنَهَا وآيةٌ مُبَيَّنَةٌ وآياتٌ مُبَيِّنَاتٌ ومُبَيَّنَاتٌ، والبيِّنَةُ الدِّلالةُ الواضِحَةُ عَقْلِيّةً كَانَتْ أو مَحْسُوسَةً، والمبين: من البيان [٣].

بعض الأوجه الإعرابية :

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ :

قال مكي بن أبي طالب: " (خائفاً) خبر (أصبح) وإن شئت على الحال، و (في المدنية) خبر " [٤].

وقال ابن الأَنْبَاري: " (خائفاً) منصوب لأنه خبر (أصبح)، ويجوز أن يكون (في المدينة) خبرها، و (خائفاً) منصوب على الحال " [٥].

قال السمين الحلبي: " (يترقب) يجوز أن يكون خبراً ثانياً وأن يكون حالاً ثانية، وأن يكون بدلاً من الحال الأولى، أو الخبر الأول، أو حالاً من

---

(١) يُنْظَرُ: مجاز القرآن: ٢/ ٤٦؛ الْمُفْرَدَات: ٤٩٥؛ لِسَان العَرَب: مَادة (نصر) ٥ / ٢١٠ .

(٢) يُنْظَرُ: الْعَيْن: مَادَةُ (صرخ) ٤/ ١٨٥؛ تَهْذِيب اللُّغَة: ٧/ ١٣٦؛ لِسَان العَرَب: مَادة (صرخ) ٣ / ٣٣ .

(٣) الْعَيْن: مَادَةُ (بين) ٨/ ٣٨٠؛ الْمُفْرَدَات: ٦٨ .

(٤) مَشْكِل إِعْرَاب القُرْآن: ١/ ٥٤٢ .

(٥) البَيَان فِي غَرِيب إِعْرَاب القُرْآن: ٢ / ٢٣٠- ٢٣١. وينظر إعراب القرآن (النَّحَّاس): ٢/ ٥٤٧ .

الضمير في (خائفاً) فتكون متداخلة. ومفعول (يترقب) محذوف، أي: يترقب المكروه أو الفرج أو الخبر هل وصل لفرعون أم لا ؟ "[١] .

وأرجح الرأي الذي يجعل الجملة حالية لأنها أقوى في دلالة المعنى من كلّ الآراء الأخرى، لأن الحال يدلّ على الاستمرارية في كون فترة بقائه (عليه السلام) في المدينة كلّ الوقت بخوف وتوجس، فلو أعربناها صفة لكان المعنى أنه خاف مرة وترقب مرة، وهذا ما لا يدلّ عليه النصّ القرآني .

فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ :

قال مكي بن أبي طالب: " (الذي) مبتدأ وما بعده صلته، و (يستصرخه) الخبر، ويجوز أن تكون إذاً هي الخبر و(يستصرخه) حال "[٢] .

وقال ابن الأَنْبَارِي: " (الذي) في موضع رفع لأنه مبتدأ. وفي خبره وجهان :

أولهما ـ أن يكون خبره (يستصرخه) .

ثانيهما ـ أن يكون خبره (إذا) و (يستصرخه) في موضع نصب على الحال "[٣] .

قال النَّحَّاس: " (أمس) إذا دخلت عليه الألف واللام تمكنّ وأعرب عند أكثر النحويين، ومنهم من يبنيه وفيه الألف واللام، وإذا أضيف أو نُكِرَ تمكن أيضاً، والصلة في بنائه عند مُحَمَّد بن يزيد أن تصريفه ليس كتصريف المتمكنات، فوجب أنْ يبنى ولا يعرب، فكسر أخره لالتقاء الساكنين. ومذهب الخليل أن الياء محذوفة منه. وللكوفيين فيه قولان: أحدهما أنه منقول من قولهم أَمسى بخير، والآخر أن خِلقة السين الكسر، هذا قول الفراء، وحكى سيبويه وغيره أن من العرب من يجري أمسى مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصة "[٤] .

---

(١) الدُّرُّ المَصُون: ٥/ ٣٣٦ .

(٢) مَشْكِل إِعْرَاب القُرْآن: ١/ ٥٤٢ .

(٣) البَيَان فِي غَرِيب إِعْرَاب القُرْآن: ٢/ ٢٣١. وينظر إعراب القرآن (النَّحَّاس): ٢/ ٥٤٧ .

(٤) إعراب القرآن (النَّحَّاس): ٢/ ٥٤٩ .

إنّ إعراب (الذي) مبتدأ هو أوجه الأقوال لأن الرفع فيه يدلّ على الفاعلية، والخبر هو (يستصرخه). والتقدير: الذي هو يستصرخه. وإنما حذف (هو) وجعل تقديراً.

وأما إعراب (بالأمس) فهو جار ومجرور في موضع الظرف الزمني حالاً، وهذا ما نذهب إليه هاهنا في كون المعنى دلّ على أن الذي استنصره في اليوم الماضي هو نفسه الذي استنصره اليوم، بسوء فعله في قتاله القبطي، فكان إعراب الآية في كونها في موضع الحال مما يدلّ على أن خلق الإسرائيلي هو هو لم يتبدل.

قَالَ لَهُ مُوسَى :

قال أبو حيان: " الظاهر أن الضمير في (له) عائد على الذي ﴿ **إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ بكونك كنت سبباً في قتل القبطي بالأمس، قال ذلك على سبيل العتاب والتأنيب. وقيل: الضمير في (له) والخطاب للقبطي ودل عليه قوله (يستصرخه)، ولم يفهم الإسرائيلي أن الخطاب للقبطي "[(١)].

وقال القرطبي: " أي إنك لغويّ في قتال من لا تطيق دفع شره عنك "[(٢)].

الذي يدلّ عليه السياق الإعرابي أن المتكلم هو الإسرائيلي خلافاً لمن قال إنه القبطي لأن بعدها: ﴿ **أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ** ﴾، فاستخدم الاستفهام و(أن) المصدرية هنا بعدها، والفعل الماضي مع تاء الخطاب، والجار والمجرور (بالأمس) فيدل على أن المتكلم هو الإسرائيلي الذي هو من شيعته، وليس القبطي، فما أدرى القبطي أن موسى قتل نفساً بالأمس، وهذا من توجيه الإعراب للمعنى في سُوْرَة الْقَصَصِ.

القضايا البلاغية :

الصورة البلاغية واضحة كل الوضوح، وظاهرة كل الظهور في قوله تعالى: ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ** ﴾[(٣)]، فإن الفعل الناقص (أصبح)،

---

(١) البَحْر المُحِيْط: ٧/ ١١٠ .

(٢) الجَامِع لأَحْكَام القُرْآن: ٦/ ٤٩٨١ .

(٣) سُوْرَة الْقَصَصِ: الآية ١٨ .

والحال (خائفاً)، ثم الفعل المضارع التام(يترقب) يتركب منها تصوير بلاغي تام، يدل على إنسان يتلفت إلى يمينه ويساره وفي هذه الصورة إعجاز صوري لا يتأتى لأي أحد إعادة تصويره مهما بلغ من إجادة وإتقان، وتلك إحدى خصائص النص القرآني في إعجازه .

٥- الإلتفات:

هو (إنصراف المتكلم عن المخاطبة الى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، أو الإنصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر)[١]، مثل قوله تعالى فيها: ﴿ **فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾[٢]، فإن قوله تعالى: ﴿ **يَسْتَصْرِخُهُ** ﴾ إلتفاف في الخطاب، وتغير في سياقه من الإسرائيلي والمصري لموسى .

المعنى العام :

قال ابن عطية: " فأصبح عبارة عن كونه دائم الخوف في كل أوقاته كما تقول: أصبح زيد عالماً. ويترقب معناه عليه رقبة من فعله في القتل فهو متحسس. قال ابن عباس: فمرّ وهو بحالة الترقب، وإذا ذلك الإسرائيلي الذي قتل القبطي بالأمس يقاتل أخر من القبط، وكان قتل القبطي قد خفي عن الناس واكتتم، فلما رأى الإسرائيلي موسى استصرخه بمعنى صاح به مستغيثاً، فلما رأى موسى قتاله لأخر أعظم ذلك وقال له معاتباً ومؤنباً: ﴿**إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ**﴾، وكانت إرادة مع موسى مع ذلك أن ينصر الإسرائيلي، فما دنا منهما خشى الإسرائيلي وفزع منه، وظن أنه ربما ضربه وفزع من قوته التي رأى بالأمس، فناداه بالفضيحة وشهر أمر المقتول "[٣] .

---

(١) بديع القُرآن. ابن أبي الإصبع المصري. (٥٨٥ ـ ٦٥٤ هـ). تحقيق: حفني مُحَمَّد شرف. الطبعة الأولى. مكتبة نهضة مصر. الفجالة. ١٩٥٧ م: ص ٥٨. العمدة في مَحَاسِن الشعر وآدابه ونقده. أبو الحَسَن بن رشيق القيرواني الأزدي. ت ٤٥٦ هـ. تحقيق: مُحَمَّد محيي الدِّين عَبْد الحميد. دار الجيل. بيروت. لبنان. (د. ت.): ٢ / ٤٦.

(٢) سُوْرَة الْقَصَص: الآية ١٨ .

(٣) المحرر الوجيز: ١٢ / ١٥٨ .

وقد اختلف في سبب تقاتل هذين الرجلين، فقيل: كان أمراً دينياً. وقيل: كان أمراً دنيوياً، فقد روي أن القبطي كلف الإسرائيلي حمل الحطب إلى مطبخ فرعون، فأبي فاقتتلا لذلك، وكان القبطي خبازاً لفرعون كما ذكر ذلك سعيد بن جبير[١].

وذكر الرازي قولاً غريباً لمقاتل بأن الرجلين كانا كافرين إلا أن أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط، واستدل بقول سيدنا موسى في اليوم التالي: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾[٢].

ويمكن الجواب على ذلك: أن المشهور إن الذي من شيعته كان مسلماً، لأنه لا يقال فيمن يخالف الرجل في دينه وطريقة إنه من شيعته فالمقصود بـ(مِنْ شِيعَتِهِ)، أي: ممن شايعه وتابعه في أمره ونهيه، أو في الدين ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾، أي: " فاستنصر الإسرائيلي موسى على القبطي "[٣]، " فضربه بمجمع كفه فقتله "[٤].

واختلف العلماء فيمن قال: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ﴾ هل هو الإسرائيلي أم القبطي ؟

الرأي الأول ـ قال قسم من العلماء: هذا القول للإسرائيلي لما خاطبه سيدنا موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾، ورآه غضبان وقد هَمَّ موسى أن يبطش بالفرعوني، فظن أنه يريده، فخاف على نفسه، فقال ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ ﴾ الآية .

الرأي الثاني ـ قال آخرون: بل هو قول القبطي، وقد كان عرف القصة من الإسرائيلي[٥].

---

(١) ينظر روح المعاني: ٢٠ / ٥٣ .

(٢) ينظر مفاتيح الغيب: ١٢ / ٢٣٩.

(٣) الوسيط: ٣ / ٣٩٣ .

(٤) محاسن التأويل، المسمى: تَفْسِيْر القاسمي، تأليف مُحَمَّد جمال الدِّين القاسمي، (ت ١٩١٤م). تصحيح وتعليق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه: ١٣/ ٤٦٩٩ .

(٥) ينظر مفاتيح الغيب: ١٢/ ٢٣٤ .

والرازي يرجح هذا الرأي ويستدل بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى ﴾، " فهذا القول من القبطي. وقوله: ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلاَ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ﴾ لا يليق إلا أن يكون من كافر "[1].

والذي أرجحه أن القول للإسرائيلي وليس للقبطي لسببين :

أولاً - إن حادث القتل لا يعلم به إلا موسى، وهذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس وكان لقول الإسرائيلي: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ ﴾ سبباً لظهور قاتل القبطي .

ثانياً - وقوله: ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلاَ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ يدلّ على أنه قول الإسرائيلي لمعرفته بأخلاق موسى - عَلَيْهِ السَّلام - بأنه رجل صالح مصلح لا يحب البغي والتجبر، فأراد أن يذكره بهذا لأنه يخالف ما عرف عنه .

ما يستفاد من النص:

إن من الغي المشاكسة، واللجاجة في الخصومة، فعاقبتهما وخيمة فكما تسببت منازعة الإسرائيلي بقتل أحد الأقباط، فهي دائماً تتسبب بمشاكل لا أول لها ولا آخر، فكانت حقاً منفذاً للشيطان يتلاعب به ببني آدم، وينفذ منه إِلَى إضلاله، وإيقاعه في المحظور .

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٢ / ٢٣٤ .

المَبْحَث السَّادِس
جزاء الغواية
ويتضمن مطلبين :

المَطْلَب الأَوْل: إبراز الجحيم

المَطْلَب الثَّانِي: الكبّ في النار

المَطْلَب الأَوْل

إبراز الجحيم

قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾[1] .

تحليل الألفاظ :

وَبُرِّزَتْ :

البَـرَازُ: الفَضَـاء، وبَـرَزَ حَصَـلَ في بَـرَازٍ، ومنـه المُبَـارزَةُ للقتـال، وهـيَ الظُّهُـورُ مـنَ الصَّـفِّ وقولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ وَبُـرِّزَتْ الْجَحِـيمُ لِلْغَـاوِينَ ﴾ تنبيهـاً أنّهُمْ يُعْرَضُونَ عليها [2].

الْجَحِيمُ :

الجحمَـةُ: شِـدّةُ تـأَجُّجِ النّـارِ ومنـهُ الجَحِـيمُ، وجَحَـمَ وجْهُـهُ مِـنْ شِـدّةِ الغَضَبِ اسْتِعَارَةٌ مِنْ جَحْمَةِ النّارِ[3].

القراءات القرآنية :

وَبُرِّزَتْ :

١. قرأ الأعمش: (فبرزت) [4] .

٢. قرأ مالك بن دينار: (وبَرَزَت) [5] .

المعنى العام :

تفيـد الآيـة أن الجحـيم تـبرز للغـاوين، بخـلاف ﴿ وَأُزْلِفَـتِ الْجَنَّـةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[6] .

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٩١ .

(٢) الفَائِق فِي غَرِيب الْحَدِيث، لمحمود بن عُمَر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي، ومُحَمَّد أبي الْفَضْل إبْرَاهِيم. الطَّبْعَة الثانية، دَار المَعْرِفَة، لَبْنَان، (د. ت): ١/ ٩٢؛ الْمُفْرَدَات: ٤٣؛ الأفعال: ٤/ ١١٨.

(٣) الْمُفْرَدَات: ٨٨؛ لِسَان العَرَب: مَادَةُ (جحم) ١٢/ ٨٤ .

(٤) الْبَحْر الْمُحِيط: ٧/ ٢٧ .

(٥) الْبَحْر الْمُحِيط: ٧/ ٢٧ .

(٦) سورة الشعراء: الآية ٩٠ .

قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ: يكشف عنها فيراها تتلظى كل ذي بصر، وقيل: المراد الكافر؛ لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب، وقيل: يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة، ويصلى الكافر بالنار[١].

ويقال للغاوين: أين ما كنتم تعبدون من دون الله من الأنداد، هل ينصرونكم اليوم من الله فينقذونكم من عذابه، أو ينتصرون لأنفسهم كالمبدل مما يراد بها[٢]؟

ما يستفاد من النص:

لكل شيء نهاية، وهذه نهاية الغيّ والغاوين، نار جنهم يصلونها جزاء بما قدمت أيديهم. وعلى الإنسان أن يعتبر وأن يعي عاقبته، فلا يلج المسالك التي تختم له بسوء العاقبة.

المَطْلَب الثَّانِي

الكب في النار

قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾[٣].

تحليل الألفاظ:

فَكُبْكِبُوا:

الكَبُّ: إسْقَاطُ الشيءِ على وجْهِهِ، قال تعالى: ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾[٤]، وَالإِكْبَابُ جَعْلُ وَجْهِهِ مَكْبُوباً على العَمَلِ، يقالُ: كَبَّ وكَبْكَبَ، كبكبوا: قلبوا على رؤوسهم، وقيل: ألقي بعضهم على بعض وقيل: جمعوا مأخوذ من الكبكبة وهي الجماعة، وقال النحاس: هو مشتق من كوكوب الشيء، أي: معظمه، والجماعة من الخيل كوكب وكبكبة، وقيل: دهدهوا وهذه المعاني متقاربة وأصله كببوا بباءين الأولى مشددة من حرفين فأبدل من الباء الوسطى الكاف، وقد رجح الزجاج أن المعنى طرح بعضهم على بعض، ورجح ابن قتيبة أن المعنى ألقوا على رؤوسهم[٥].

---

(١) الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرآن: ١٩/ ٢٠٧.

(٢) جَامِع الْبَيَان: ١٩/ ٨٧.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٩٤.

(٤) سورة النمل: من الآية ٩٠.

(٥) مجمل اللغة: ٣/ ٧٦٦؛ الْمُفْرَدَات: ٤٢٠.

المعنى العام :

فكبكبوا فيها هم والغاوون، أي: ألقوا في جهنم، يعنى المعبودين والغاوون، يعنى العابدين لهم.

وقيل الضمير فى كبكبوا لقريش والغاوون الالهة، والمراد بجنود إبليس شياطينه الذين يغوون العباد، وقيل ذريته، وقيل كل من يدعو إلى عبادة الأصنام[1] .

وذكر عن قتادة أنه كان يقول: الغاوون في هذا الموضع الشياطين وتأويل الكلام على هذا القول: فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين[2] .

ما يستفاد من النص:

الآية كسابقتها تصور مصير الغاوين، وأن جزاءهم جهنم .

---

(١) فَتح القَدِير: ٤/١٠٦ .

(٢) جَامع البَيَان: ١٩/٨٨ .

المبحث السابع
الفصل بين الرشد والغيّ وملامحه
ويتضمن مطلبين :

المَطْلَب الأَوْل: المقابلة بين الرشد والغي

المَطْلَب الثَّانِي: اختلاط الرشد بالغي

المَطْلَب الأَوْل

المقابلة بين الرشد والغي

تقرر في الصفحات السابقة أن الرشد والغي منوط تقريرهما بالله تعالى، وفي هذا يقول عبد الله بن الزبير في خطبته وهو خليفة: " إن الله هو الهادي الذي يبين الرشد من الغي، وألهم طرق المصالح الدينية كل مكلف، والدنيوية كل حي "[1].

ومن الرشد الذي يمنّ به الله تَعَالَى على عباده، التيسير للخير، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[2]، فإن الرشد هو العلم بما ينفع والعمل به، وإن الرشد والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما بالآخر، فالهدى هو العلم بالحق، والرشد هو العمل به، وضدهما الغي واتباع الهوى، وقد يقابل الرشد بالضر والشر، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا ﴾[3] فالرشد يقابل الغي كما في قوله: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾[4] [5].

والرشد العمل الذي ينفع صاحبه، والغي العمل الذي يضر صاحبه فعمل الخير رشد، وعمل الشر غَيّ. فلهذا قال مؤمنو الجن: ﴿ وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[6]. ويقابل الضر والشر ـ كما تقدم ـ؛ لأن الغي سبب لحصول الشر والضر، ووقوعهما بصاحبه فالضرر والشر غاية الغي وثمرته، كما أن الرحمة والفلاح غاية الهدى وثمرته،

---

(١) شرح الزرقاني: ٤/ ٣٠٩ .

(٢) سورة الكهف: من الآية ١٠ .

(٣) سورة الجن: الآية ٢١ .

(٤) سورة الأعراف: من الآية ١٤٦ .

(٥) يُنْظَرْ: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن أَبي بَكْرٍ أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية)، (ت ٧٥١هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد حَامِد الفقي، الطَبْعَة الثانية، دَار المَعْرِفَة، بَيْرُوْت، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م: ٢/ ١٦٨ .

(٦) سورة الجن: الآية ١٠ .

فلهذا يقابل كل منهما بنقيضه وسبب نقيضه فيقابل الهدى بالضلال كقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[١] وقوله: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾[٢] [٣].

ويقابل بالضلال والعذاب كقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾[٤]، فقابل الهدى بالضلال والشقاء، وجمع سبحانه بين الهدى والفلاح والهدى والرحمة، كما جمع بين الضلال والشقاء والضلال والعذاب، كقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ﴾[٥]، فالضلال ضد الهدى والسعر العذاب، وهو ضد الرحمة، والمقصود أن من سلم من فتنة الشبهات والشهوات جمع له بين الهدى والرحمة والهدى والفلاح[٦].

فالغي هو خلاف الرشد، كما أن الضال هو الذي لا يعلم مصلحته وهو خلاف المهتدي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[٧] [٨].

ولهذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي))[٩].

---

(١) سورة النحل: من الآية ٦٣.

(٢) سورة النحل: من الآية ٣٧.

(٣) يُنْظَرْ: الزهد والورع والعبادة، لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، تَحْقِيق: حماد سلامة، ومُحَمَّد عويضة، الطَبْعَة الأُولَى، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٧هـ: ١٠.

(٤) سورة طه: من الآية ١٢٣.

(٥) سورة القمر: الآية ٤٧.

(٦) إغاثة اللهفان: ٢/١٦٨-١٦٩.

(٧) سورة النجم: الآيتان ١-٢.

(٨) يُنْظَرْ: الاستقامة، لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، تَحْقِيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم. الطَبْعَة الأُولَى، جَامِعة مُحَمَّد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ: ٢/ ٢٨٢.

(٩) سنن الترمذي: ٥/ ٤٤ رقم (٢٦٧٦)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومن هذا نستنبط أن الذي يتبع سبل الرشد ويتجنب سبل الغواية يهدى ويوفق لصالح الأعمال، وينذر أن يتأتى منه الفاحش والقبيح، وإن شئنا إقامة مجتمع صالح، فعلينا أن نهيّء له اتّباع سبل الرشد وتجنب سبل الغي، والإنسان إذا شاء الفلاح الدنيوي والأخروي، فهو مطالب بذلك أيضاً.

وهذا الأمر يوصلنا إلى البحث في وجوب تزكية النفس للعلاقة القوية القائمة بين اتباع سبل الرشاد وبين تزكية النفس، فالمؤمن لا يمكنه أن يتبع هذه السبل من دون تزكية نفسها وتهذيبها من العوائق التي تقف حائلاً أمام سبيل الرشاد.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1].

فالأنبياء ـ عَلَيْهِمِ السَّلام ـ جميعاً هُذِّبت نفوسهم، وطُهِّرت قلوبهم وعملوا على أن يكون أتباعهم كذلك على نهجهم، فأشرفوا مباشرة وبأنفسهم على تهذيب أتباعهم وتزكيتهم وتأديبهم وتعليمهم الأخلاق العالية والأعمال السامية حتى يميّزوا على غيرهم من بني البشر، وإلا فما الفرق بين المؤمن وغيره إن كانت أعمالهم واحدة ؟

إن تعاليم الدين الحنيف تأمر بالخير، والبر، والإحسان، وحسن الخُلق، والصبر، وكظم الغيظ، وكفّ الأذى، والرأفة، والرحمة، والحِلْم، والتواضع، والإحسان للمحتاجين، وخدمة المساكين، وحبّ المؤمنين صدقاً وغير ذلك، وينهى عن الغضب، والرياء، والغيبة، وسوء الخلق، والتكبُّر، وأفعال المنكر كلها، لذلك خاطب الله تَعَالَى نبيه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قائلاً له: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٨ .

(٢) سورة القلم: الآية ٤ .

إنَّ مسألة تهذيب النفس لا تتعلق بجماعة أو بفئة أو بطبقة، كما يعتقد بعضهم، بل هي تتعلق بكل فرد أسلم وجهه لله مشرّفاً باتِّباع دين الإسلام، معتزّاً بالانتماء إلى أمَّة المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم .

وليس لأحد فضل على أحد من المؤمنين إلا بقدر ما تقدم باكتساب الصفات الخُلقية، واجتناب المعاصي والذنوب، فها هو أحد المؤمنين يأتي إلى رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ مستفسراً عن أي المؤمنين أفضل، فيجيبه رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ بقوله: ((أحسنهم أخلاقاً)) (١) .

كان الجواب حاسماً وبعيداً عن أي شبهة أو التباس، حتى لا يتفاضل المؤمنون بعضهم على بعض، بالحَسَب أو النَسَب أو المال أو القوة، ولتكون المفاضلة بحسن الخُلُق فقط .

وفي هذا المجال يبدو أنه على المسلم الراجي اتباع سبيل الرشاد أن يستحضر أموراً ثلاثة، حتى لا تكون هذه الكلمات حجَّة علينا بل حجَّة لنا وهي :

أولاً ـ إن تهذيب النفس وتزكيتها هما من دأب أنبياء الله ورسله والصالحين من عباد الله عبر التاريخ .

ثانياً ـ إننا بقدر ما نتقدم في هذه المقامات بقدر ما نقترب من مكارم الأخلاق .

ثالثاً ـ إن كل أعمالنا في الدنيا يرتهن ثوابها في الآخرة بانتهاج هذا المنهج وسلوك هذا المسلك .

المَطْلَب الثَّانِي
اختلاط الرشد بالغي

من ينشد الآخرة والفوز بنعيمها، فإن سبل الرشد واضحة بينة، يستطيع تتبعها وتجنب سبل الغي، ولكن إن اختلطت سبل الغي والرشد، فقد المرء القدرة على التمييز بينها.

---

(١) مُسْنَد الشاميين، لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد بن أيوب الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تَحْقِيق: حمدي بن عَبْد المَجِيْد السلفي، الطَبْعَة الأُولَى، مؤسسة الرِسَالَة، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م: ٢/ ٣٩٢ رقم (١٥٥٩)، قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. يُنْظَرْ: مجمع الزوائد: ٨/ ٢٤ .

لقد أوضح تعالى الحجة على عباده بقوله: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، وإن كثيراً من الشرائع التي أنزل الله تعالى قد بطلت واختلطت بالباطل الموضوع والموهوم فيه اختلاطاً لا يتميز معه الرشد من الغي، ولا الحق من الباطل، ولا دين الله تعالى من دين إبليس أبداً[2] .

ذلك جاءت شريعة الإسلام لتزيل هذا الخلط، وتضع المسلمين على المحجة البيضاء، وبما أن تهذيب النفس وتزكيتها واجب على كل إنسان، فلا مفر له من أن يقوم بالتفتيش عن طرق معرفة عيوب النفس ونقاط ضعفها، وفي هذا المجال يذكر الإمام الغزالي سبلاً ثلاثة نستطيع بوساطتها أن نحدد بدقّة عيوب أنفسنا .

هذه الطرق الثلاث من السهل أن نتعلّمها، ولكن العلم في مثل هذه الأمور فقط، لا يكفي إن لم يكن هناك قرار حاسم وجازم في الأخذ بها، لأن إهمالها سيؤدي إلى استفحال أمراض النفس وأهوائها، وبالتالي يكون الهلاك الأبدي؛ لأن هلاك الروح أشد وأفدح من هلاك الجسد .

إن هلاك الجسد فيه خسارة الدنيا فقط، أما هلاك الروح ففيه خسارة الدنيا والآخرة واستحقاق العذاب الدائم والفراق الأليم، فمرض النفس وانحرافها أشد إيلاماً من مرض الجسد ووجعه، كما هو واضح من خلال مشاكلنا وهمومنا اليومية. وإنّنا جميعاً بحاجة لمعرفة هذه الطرق التي نستطيع أن نطبقها إذا أردنا ذلك وأخلصنا النيّة لله تعالى. وهذه السبل هي :

أولاً ـ أن يتخذ الواحد منّا أخاً مراقباً لأعماله، صادقاً، ورعاً، مخلصاً متبصّراً في أمور الدين، حريصاً على رضى الله سبحانه، لا يتملّقه ولا يداريه، وذلك ليدله على عيوبه .

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦ .

(٢) يُنْظَرُ: الأَحْكَام فِي أُصُول الأَحْكَام. لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد بن حزم الأندلسي، (ت ٤٥٦ هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الْحَدِيث، القاهرة، ١٤٠٤هـ: ١/ ١٢٢ .

ثانياً ـ أن نتخذ قدوة لنا نتبعه في سائر أعمالنا: حركاته وسكناته إذا توفر لنا ذلك، وإن كان من الصعب وجود مثل هذا النموذج بسهولة بحسب الأمكنة والأزمنة والتوفيق .

ثالثاً ـ أن ننظر إلى عيوب الناس التي ننتقدهم من أجلها، ولا نريدها لهم فمن باب أولى أن لا نرضى هذه الأمور لأنفسنا أيضاً كما لا نرتضيها لغيرنا[١] .

إن اختلاط الأوراق عند المسلم، وعدم وضوح الموقف تجاه بعض القضايا المطروحة لا يكون بين الحق والباطل، فالحق بين، والباطل بين ولكن يكون بينهما أمور متشابهة، كما روى النعمان بن بشير ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ قال: ((سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ـ وأهوى النعمان بإصبعيه إلى اليسرى ـ: إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[٢] .

أي إن الحلال بيّن واضح لا يخفى حله، وإن الحرام بيّن لا يخفى حرمته، وفيه تقسيم للأحكام على ثلاثة أشياء، وهو تقسيم صحيح؛ لأن الشيء إما أن ينص الشارع على طلبه مع الوعيد على تركه، أو ينص على تركه مع الوعيد على فعله، أو لا ينص على واحد منهما، فالأول الحلال البينّ، والثاني الحرام البين، والثالث المشتبه لخفائه، فلا يدرى أحلال هو أم حرام، وما كان هذا سبيله ينبغي اجتنابه؛ لأنه إن كان في نفس الأمر حراماً، فقد برئ من التبعة، وإن كان حلالاً، فقد استحق الأجر على الترك لهذا القصد؛ لأن الأصل مختلف فيه حظراً وإباحة[٣].

---

(١) يُنْظَرْ: إحياء علوم الدين: ٤/ ٢٥٩ .

(٢) صحيح البخاري: ١/ ٢٨ رقم (٥٢)؛ صحيح مسلم: ٣/ ١٢١٩ رقم (١٥٩٩) .

(٣) يُنْظَرْ: عون المعبود: ٩/ ١٢٧ .

وأما المشبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص، أو قياس، أو استصحاب ذلك[١].

فالعاقل إذا وازن بين ما اختاره أهل الباطل ورغبوا فيه، وبين ما رغبوا عنه، تبين له أن القوم اختاروا الضلالة على الهدى، والغي على الرشاد، والقبيح على الحسن، والباطل على الحق، وانهم اختاروا من العقائد أبطلها ـ ومن الأعمال أقبحها .

وكما يقال: إن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه[٢] .

وأنه لا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر، ولهذا قال علي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ: ((ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له)) [٣] [٤] .

---

(١) يُنْظَرْ: شرح صحيح مسلم: ١١/ ٢٧ .

(٢) هداية الحيارى فِي أجوبة اليهود والنصارى، لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية)، (ت ٧٥١هـ)، الْجَامِعة الإِسْلامِيّة، المدينة المنورة، (د. ت): ٢٢ .

(٣) الْجَامِع، لمَعْمَر بن رَاشِد الأزدي، (ت ١٥١هـ)، تَحْقِيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإِسْلامِيّ، الطَبْعَة الثانية، (منشور بهامش كِتَاب الْمُصَنَّف للصنعاني ج١٠)، بَيْرُوْت، ١٤٠٣هـ: ١١/ ٤٦٩ .

(٤) يُنْظَرْ: أمراض القلوب وشفاؤها، لأَحْمَد بن تيمية، (ت ٧٢٨ هـ)، الطَبْعَة الثانية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٩هـ: ٥٥ .

الخاتمة

بعد هذه الجولة في آيات مباركات اختصت بذكر الاجتباء والاختيار في الْقُرْآن الْكَرِيم، يمكن لي إيجاز أهم نتائج هذا البحث بما يأتي :

١. وردت كلمة (الرشد) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في الْقُرْآن الْكَرِيم (١٩) مرة .

٢. وردت كلمة (الغي) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في الْقُرْآن الْكَرِيم (١٨) مرة .

٣. يمكن تعريف الرُّشْدَ بأنَّه: إِصَابةُ الخَيْرِ وَطَرِيقُ الاسْتِقَامَةِ مَعَ التَّمسُّكِ بِهِ .

٤. الغي هو: : سوء التصرف في الشيء وإجراؤه على ما يسوء عاقبته .

٥. الرشد يعني الهدي والاستقامة، وهي تبين أن اتباع ما أنزله تَعَالَى اسْمُهُ هو سبب للهداية، في الأمور العامة والخاصة، والحكم مطلق غير مقيد، أي أن ما يترتب على الاستجابة لله تعالى هو الرشد .

٦. تناول الفقهاء الرشد في كثير من أبواب الفقه، فقد ذكروه في البيع، وفي الشركة، وفي الوكالة، وفي ضمان تلف العارية، وفي شرط المعير، وفي الإقرار فيما لو أقر أحد الوارثين بوارث والهبة، وفي الوقف، وفي ولي النكاح، وفي رضا الزوج بالنكاح وغيرها من المسائل .

٧. إن حقيقة الرشد لا تتأتى إلا بالتوجه إِلَى الله تَعَالَى، فهو الذي يمن على عباده بالرشد والتوفيق والسداد، ومن ابتغى طلب الرشد من غيره خاب وخسر. فالرشد هبة ربانية، يمنّ بها على من يشاء من عباده، وهو الذي ييسر لهم سبل الرشاد .

٨. إن أمر الرشد ومعرفته موكول إلَى الله تَعَالَى فلا يتأتى للبشر ولا لغيرهم الإحاطة به، وإن كانوا قادرين على الأخذ به، ولكن تفويض ذلك كله يعود إلَى الله جَلَّ جَلالُهُ .

٩. إن كلاً من الرشد والغي يملكهما الإنسان باختياره، ولا سلطان قاهر عليه في انحيازه إلَى هذه الجهة، أَوْ تلك، ولكن كلاً من الهداية والغواية أمرها يعود إلَى مشيئة الله تَعَالَى كما هو معلوم .

١٠. إن غواية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ ليست من الغي المتبادر إلَى الذهن، بل معناه فسد عليه عيشه، بسبب أكل الشجرة، وما ترتب على الأكل من شعور بالذنب، وإنزال إلَى الأرض .

١١. نفى الْقُرآن الْكَرِيم الغي عن رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ جملة وتفصيلاً، وتزكيه في أفعاله وأقواله، وفي شأنه كله. وهذا هو اللائق برسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ .

١٢. إن الخلق يضل بعضهم بعضاً، وهذه الآية الكريمة من الشواهد الدالة على ذلك، إذْ صرحت أن الشيطان، والإنسان سبب من أسباب الغواية، وعلى هذا فالإنسان مطالب بالحذر، وعدم التذرع بالقدر .

١٣. تكفل الله تَعَالَى بحفظ عباده المؤمنين من غواية الشيطان، وعلى هذا يمكن لأي مسلم أن يرى إن كان محفوظاً من الله تعالى مشمولاً بهذه الآية من عدمه، بمراقبة سلوكه، فإن كانت الغواية تصيبه بين حين وحين، علم أنه من الغاوين .

١٤. قد يظن نفسه على خير، فيقع في الخطأ، ويسدر في غيه، فهو لا يعلم من نفسه السوء، وحال من يرتكب المعصية، ويعلم أنها معصية ويعلل نفسه بالآمال خير من هذا الذي يعتقد في نفسه الخير، لأن توبته بعيدة .

١٥. لكل شيء نهاية، ونهاية الغي والغاوين، نار جنهم يصلونها جزاء بما قدمت أيديهم. وعلى الإنسان أن يعتبر وأن يعي عاقبته، فلا يلج المسالك التي تختم له بسوء العاقبة .

المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر فِي القراءات الأربع عشرة المسمى (منتهى الأماني والمسرات فِي علوم القراءات). لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الغني الدمياطي الشَّافِعِيّ الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ) الطَبْعَة الأُولَى. تَحْقِيق: د. شعبان مُحَمَّد إسماعيل. عالم الكتب. بَيْرُوْت. ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .

٢. الإجْمَاع. لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم بن المنذر النيسابوري. (ت ٣١٨هـ). تَحْقِيق: د. فؤاد عَبْد المنعم أَحْمَد. الطَبْعَة الثالثة. دار الدعوة. الإسكندرية. ١٤٠٢هـ .

٣. أَحْكَام الْقُرآن. لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه بن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه ابن أَحْمَد المَعَافري الإِشْبِيْلي المعروف بـ(ابن العَرَبِيّ). (ت ٥٤٣هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحَلَبي بمصر. سنة ١٩٧٤م .

٤. أَحْكَام الْقُرآن، لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن علي الرَّازي الجَصَّاص، (ت ٣٧٠هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد الصادق قمحاوي، دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ .

٥. الإحكام في أُصُوْل الأحكام. لأبي الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد الآمدي. (ت ٦٣١ هـ). تحقيق د. سيد الجميلي. الطبعة الأولى. دار الكِتَاب العربي. بيروت. ١٤٠٤ هـ .

٦. الأَحْكَام فِي أُصُول الأَحْكَام. لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد بن حزم الأندلسي، (ت ٤٥٦ هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الْحَدِيث، القاهرة، ١٤٠٤هـ .

٧. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. لأبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي. (ت ٢٧٥ هـ). تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش. الطبعة الثانية. دار خضر. بيروت. ١٤١٤هـ .

٨. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الْقُرآن الكريم. لأبي السعود مُحَمَّد بن

مُحَمَّد العمادي. (ت ٩٨٢هـ). دَار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. (د.ت) .

٩. أساس البلاغة. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي. (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: عبد الرحيم محمود. مطبعة أورفاند بالقاهرة. الطبعة الأولى. ١٩٥٣م. وهي طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١هـ .

١٠. الاستقامة، لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، تَحْقِيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم. الطَبْعَة الأُولَى، جَامِعة مُحَمَّد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ .

١١. الاسْتِيعَاب فِي معرفة الأصحاب. لأبي عُمَر يوسف بن عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد بن عَبْد البَرّ بن عاصم النَّمَري القُرْطُبِي. (ت ٤٦٣هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الجيل. بَيْرُوْت. ١٤١٢هـ .

١٢. أُسد الغابة فِي معرفة الصَّحَابَة. لعِزّ الدِّين أبي الْحَسَن علي بن أَبِي الكَرَم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَبْد الكريم الشَّيْبَانِيّ الجَزَرِي المعروف بابن الأَثِيْر. (ت ٦٣٠هـ). الناشر: المكتبة الإِسْلامِيّة بطِهْران سنة ١٣٧٧هـ. وهي طبعة مصورة عَلَى مطبوعة الطَبْعَة الوهبية بمصر سنة ١٢٨٠هـ .

١٣. الإِصَابَة فِي تمييز الصَّحَابَة. لأبي الْفَضْل شهاب الدِّين أَحْمَد بن علي ابن مُحَمَّد الكِنَاني العَسْقلاني المعروف بابن حَجَر (ت ٨٥٢هـ) تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الجيل. بَيْرُوْت. ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م .

١٤. إصلاح المنطق لابن السكيت. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. (ت ٢٤٤ هـ). تحقيق: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام محمّد هارون. الطبعة الرابعة. دار المعارف. القاهرة. ١٩٤٩م .

١٥. إِعَانَة الطَّالِبِين عَلَى حلّ أَلْفَاظ فَتْح المُعين. لأَبِي بَكْرٍ بن مُحَمَّد شطا المتوفى الدِّمْيَاطِيّ المَكِّيّ السيد البكري. أكمل تحريرها سنة ١٣٠٠هـ دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت) .

١٦. إِعْرَاب الْقُرآن. لأبي جعفر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إسماعيل النحاس.

(ت ٣٣٨هـ). تَحْقِيق: د. زهير غازي زاهد. عالم الكتب. مكتبة النهضة العَرَبِيّة. (د. ت.) .

١٧. إعْرَاب الْقُرآن الكَرِيمِ وبَيَانُه. لمحيي الدِّين درويش. الطَبْعَة السابعة. دَار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق ـ بَيْرُوْت. ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م .

١٨. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية)، (ت ٧٥١هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد حَامِد الفقي، الطَبْعَة الثانية، دَار المَعْرِفَة، بَيْرُوْت، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

١٩. الإقْنَاع فِي حل أَلْفَاظ أَبِي شجاع. لمُحَمَّد الْخَطِيب الشِّرْبِينِيّ. (ت ٩٧٧هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤١٥هـ .

٢٠. آكام المرجان في أحكام الجان. لبدر الدين لشبلي (ت ٧٦٩ هـ) مطبعة ديانا. بغداد ١٩٨٨م. وقد طبع مؤخراً باسم (غرائب الجان) وتعقبه الإمام السيوطي فأضاف إليه ونقح فيه، وسمى كتابه (لقط المرجان في أحكام الجان).

٢١. الأم. لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن إدريس الشَّافِعِيّ. (ت ٢٠٤هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٣٩٣هـ .

٢٢. الأمثال، لأبي فَيْد مُؤَرِّج بن عمرو بن الحارث السدوسي، (ت ١٩٥هـ)، تَحْقِيق: د. مُحَمَّد رمضان عَبْد التواب، الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، مصر ١٩٧١م .

٢٣. أمراض القلوب وشفاؤها، لأَحْمَد بن تيمية، (ت ٧٢٨ هـ)، الطَبْعَة الثانية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٩هـ .

٢٤. أَنْوَار التَّنْزِيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البَيْضَاوي. لأبي سعيد ناصر الدِّين عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَر بن مُحَمَّد الشِّيرَازي البَيْضَاوي الشَّافِعِيّ. (ت ٦٨٥هـ). تَحْقِيق: عَبْد القادر عرفات العشا حسونة دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .

٢٥. أنوار الربيع في أنواع البديع. لعلي صدر الدين بن معصوم المدني المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد. (ت ١١١٩هـ). تحقيق: شاكر هادي شاكر. مطبعة الغري الحديث. النجف الأشرف. ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

٢٦. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء. قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي. (ت ٩٧٨هـ). تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي. الطبعة الأولى. دار الوفاء. جدة. ١٤٠٦هـ .

٢٧. الْبَحْر الرَّائِق شَرْح كَنْز الدَّقَائِق. لزَيْن بن إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن بكر الشهير بابن نُجَيم. (ت ٩٧٠هـ). دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. (د. ت) .

٢٨. الْبَحْر الزَّخَّار الْجَامِع لمَذَاهِب عُلَمَاء الأَمْصَار. لأَحْمَد بن يحيى المرتضى. (ت ٨٤٠هـ). مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٩٧٥م .

٢٩. الْبَحْر الزَّخَّار المعروف بـ(مُسْنَد البزار). لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن عمرو بن عَبْد الخالق البزار. (ت ٢٩٢هـ). تَحْقِيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. الطَبْعَة الأُولَى. مؤسسة علوم الْقُرآن. يبروت، ومكتبة الْعُلُوم والحكم. المدينة. ١٤٠٩هـ. لأبي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار. (ت ٢٩٢ هـ). تحقيق: د. محفوظ أحمد زين الله. الطبعة الأولى. موسوعة علوم القرآن ـ مكتبة العلوم والحكم، بيروت ـ المدينة. ١٤٠٩هـ .

٣٠. البحر الْمُحِيط. لأبي عَبْدِ اللَّهِ أثِيْر الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي ابن يوسُف بن حَيَّان الأَندَلُسي. الشهير بابن حَيَّان وبأَبي حَيَّان. (ت ٧٥٤هـ). مطبعة السعادة. مصر. ١٣٢٩هـ .

٣١. بَدَائِع الصَّنَائِع فِي ترتيب الشرائع. لأَبِي بَكْرٍ علاء الدِّين بن مسعود أَحْمَد الكَاسَاني أو الكاشاني. (ت ٥٨٧هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار الكِتَاب العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. ١٩٨٢م.

٣٢. بديع القُرآن. ابن أبي الإصبع المصري. (٥٨٥ ـ ٦٥٤ هـ). تحقيق: حفني مُحَمَّد شرف. الطبعة الأولى. مكتبة نهضة مصر. الفجالة. ١٩٥٧ م .

٣٣. بصائر ذوي التمييز. أبو الطاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). تحقيق: مُحَمَّد علي

النجار. القاهرة. ١٩٦٤هـ ـ ١٩٦٩م .

٣٤. تاج العروس من جواهر القاموس. محيي الدين أبو الفضل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزَّبِيْدِيّ. (ت ١٢٠٥هـ). مكتبة الحياة. بيروت. (د. ت) .

٣٥. التَاج والإكْلِيل لمُخْتَصَر خليل. لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن يوسف بن أَبي القاسم العَبْدَري الشهير بالمَوَّاق. (ت ٨٩٧هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٩٨هـ .

٣٦. التَارِيْخ الكَبِيْر. لأبي عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبْرَاهِيم الْبُخَارِيّ الجعفي. (ت ٢٥٦هـ). تَحْقِيق: السيد هاشم الندوي. دَار الفكر للطباعة والنشر. (د. ت) .

٣٧. التِّبْيَان. لأبي جعفر مُحَمَّد بن الْحَسَن بن علي الطُّوْسي. (ت ٤٦٠ هـ). تَحْقِيق: أَحْمَد حبيب قصير العاملي. دَار الأندلس للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت) .

٣٨. التبيان فِي إعراب الْقُرآن. لأبي البقاء محب الدِّين عَبْدِ اللَّهِ بن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الحسين بن أَبِي البقاء عَبْدِ اللَّهِ بن الحسين العكبري. (ت ٦١٦ هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوى. إحْيَاء الكتب العَرَبِيّة (د. ت) .

٣٩. تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه). أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. (ت ٦٧٦ هـ). تحقيق: عبد الغني الدقر. الطبعة الأولى. دار القلم. دمشق. ١٤٠٨هـ .

٤٠. التَحْرِير والتَنْوِير، لمُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور، الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤ م .

٤١. التخويف من النار والتَّعْرِيف بحال دَار البوار، عَبْد الرَّحْمَن بن أَحْمَد ابن رجب الحنبلي أبو الفرج، (٧٣٦ ـ ٧٩٥)، مكتبة دَار الْبَيَان، دمشق، الطَبْعَة الأُولَى، ١٣٩٩ هـ .

٤٢. تذكرة الحُفّاظ. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان ابن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). دَار إحْيَاء التُراث العَرَبِيّ.

بَيْرُوْت (د. ت). وهي الطَبْعَة المصورة عَلَى الطَبْعَة الثالثة بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. ١٣٧٥هـ .

٤٣. تسهيل الْفَوَائِد وتكميل المقاصد. لمُحَمَّد جمال الدِّين بن مالك. (ت ٦٧٢هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد كامل بركات. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكِتَاب العَرَبِيّ للطباعة والنشر. مصر. ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

٤٤. التعريفات. أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف. (ت ٨١٦هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري. الطبعة الأولى. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٠٥هـ .

٤٥. تَفْسِيْر الجلالين. لمُحَمَّد بن أَحْمَد المحلي (ت ٨٦٤هـ)، وعَبْد الرَّحْمَن ابن أَبِي بَكْرٍ السيوطي. (ت ٩١١هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار الْحَدِيث. القاهرة. (د. ت) .

٤٦. تفسير الْقُرآن. لعَبْد الرَّزَّاق بن همام الصنعاني. (ت ٢١١ هـ) تَحقِيق: د. مصطفى مسلم مُحَمَّد. الطَبْعَة الثانية. مكتبة الرشد. الرياض. ١٤١٠هـ .

٤٧. تفسير الْقُرآن العظيم المسمى تفسير ابن كَثِير. لأبي الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عُمَر كَثِير القُرَشي الدَّمَشْقي. (ت ٧٧٤هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤٠١هـ .

٤٨. تفسير الْقُرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ والصَّحَابَة والتابعين. للإمام الحافظ عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن إدريس الرازي ابن أَبِي حاتم. (ت ٣٢٧هـ). تَحْقِيق: أسعد مُحَمَّد الطيب. الطَبْعَة الأول. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة. ١٩٩٧م .

٤٩. تَقْرِيْب التَهْذِيب، لأبي الْفَضْل أَحْمَد بن علي بن حَجَر العَسْقلاني الشَّافِعِيّ، (ت ٨٥٢ هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد عوامة، الطَبْعَة الأُولَى، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .

٥٠. تناسق الدرر في تناسب السور. لجلال الدِّين السيوطي. (ت ٩١١هـ). تَحْقِيق: عَبْد اللَّهِ مُحَمَّد الدرويش. الطَبْعَة الثانية. دَار عالم الكتب.

بَيْرُوْت. لَبْنَان. ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م .

٥١. التَّنْبِيه فِي الْفِقْه الشَّافِعِيّ. لأبي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن علي بن يوسف الفيروزأبادي الشيرازي. (ت ٤٧٦هـ). تَحْقِيق: عماد الدِّين أَحْمَد حيدر. الطَبْعَة الأُولَى. عالم الكتب. بَيْرُوْت. ١٤٠٣هـ .

٥٢. تَهْذِيب التَهْذِيب، لأبي الْفَضْل أَحْمَد بن علي بن حَجَر العَسْقلاني الشَّافِعِيّ، (ت ٨٥٢هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الفكر للطباعة والنشر بَيْرُوْت، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

٥٣. تهذيب اللغة. أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري. (ت ٣٧٠هـ). تحقيق: أحمد عبد العليم البرنوني. مراجعة: علي محمّد البجاوي. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة. مصر. (د. ت.) .

٥٤. التوقيف على مهمات التعاريف. مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي. (ت ١٠٣١هـ). تحقيق: د. مُحَمَّد رضوان الداية. الطبعة الأولى دار الفكر المعاصر ـ دمشق، دار الفكر ـ بيروت. ١٤١٠هـ .

٥٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت ١٣٧٦ هـ)، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م .

٥٦. التيسير فِي القراءات السبع. لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. (ت ٤٤٤هـ). تَحْقِيق: أوتو برتزل. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت ١٩٩٦م .

٥٧. الثِّقَات، لأبي حاتم التميمي مُحَمَّد بن حِبَّانَ بن أَحْمَد البستي، (ت ٣٥٤هـ)، تَحْقِيق: السيد شرف الدِّين أَحْمَد، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

٥٨. الْجَامِع، لَمْعْمَر بن رَاشِد الأزدي، (ت ١٥١هـ)، تَحْقِيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإِسْلامِيّ، الطَبْعَة الثانية، (منشور بهامش كِتَاب الْمُصَنَّف للصنعاني ج١٠)، بَيْرُوْت، ١٤٠٣هـ .

٥٩. جامع البيان عن تأويل آي الْقُرآن المعروف بـ(تفسير الطَبَري). لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يزيد بن خالد الطَبَري (ت ٣١٠هـ) دَار الفكر

للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤٠٥هـ .

٦٠. الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن، لأبي عَبْد اللَّه شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي، (ت ٦٧١هـ) تَحْقِيق: أَحْمَد عَبْد العليم البردوني، الطَبْعَة الثانية، دَار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ .

٦١. الجَرْح والتَّعْدِيل لأبي مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي حاتم مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التَّمِيمي الرَّازي. (ت ٣٢٧هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار إحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢م. وهي طبعة مصورة عَلَى الطَبْعَة الأُولَى التي طبعت سنة ١٩٥٢م. بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن .

٦٢. الجَوَاهِر الحسان فِي تَفْسِيْر الْقُرْآن، لعَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي، (ت ٦٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بَيْرُوْت، (د. ت) .

٦٣. حَاشِيَة البُجَيْرمي عَلَى شَرْح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد) للخَطِيْب. وهي حَاشِيَة الشيخ سُليمان بن مُحَمَّد بن عُمَر البُجَيْرمي الشَّافِعِيّ. (ت ١٢٢١هـ). المكتبة الإسْلامِيّة. ديار بكر - تركيا. (د. ت.) .

٦٤. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الخضري، محمد الدمياطي الشافعي، ت ١٢٨٧ هـ، الطبعة الأخيرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٩ هـ، ١٩٤٠م .

٦٥. حَاشِيَة الشيخ محيي الدِّين أَحْمَد القنوجي. والمسمى حَاشِيَة الشيخ زاده عَلَى تَفْسِيْر البيضاوي. (ت ١٣٠٧هـ). المطبعة السلطانية. الإستانة ١٢٨٣هـ .

٦٦. حَاشِيَة رَدّ المحتار عَلَى الدُّرِّ الْمُخْتَار شَرْح تَنْوِير الأَبْصَار المعروفة بـ(حَاشِيَة ابن عَابِدِين). للسيد مُحَمَّد أمين عَابِدِين بن السيد عُمَر عَابِدِين ابن عَبْد الْعَزِيز الدِّمَشْقي الْحَنَفِيّ. (ت ١٢٥٢هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٨٦هـ .

٦٧. حجة القراءات. لأبي زرعة عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن زنجلة. (ت ٥٩٠هـ). تَحْقِيق: سعيد الأفغاني. الطَبْعَة الثانية. مؤسسة الرِسَالَة.

بَيْرُوْت. ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .

٦٨. الحجة فِي القراءات السبع، لأبي عَبْد اللَّه الحسين بن أَحْمَد بن خالويه، (ت ٣٧٠ هـ)، تَحْقِيق: د. عَبْد العال سالم مكرم. الطَبْعَة الرابعة، دَار الشروق، بَيْرُوْت، ١٤٠١هـ .

٦٩. الحُدُودُ الأَنِيقَة والتعريفات الدقيقة. أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري. (ت ٩٢٦هـ). تحقيق: د. مازن المبارك. الطبعة الأولى. دار الفكر المعاصر. بيروت. ١٤١١هـ .

٧٠. الدُّرِّ الْمُخْتَار. لمُحَمَّد بن علي الملقَّب علاء الدِّين الْحَصْكَفِيِّ الدمشقي. (ت ١٠٨٨هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٨٦هـ .

٧١. الدُّرّ المصون فِي علوم الكِتَاب المكنون. لأبي العباس شهاب الدِّين ابن يوسف بن السمين الحلبي. (ت ٧٥٦هـ). تَحْقِيق: الشيخ علي بن معوض، والشيخ عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، وجاد مخلوف جاد، وزكريا عَبْد الحميد. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٢. الدُّرّ المنثور. لعَبْد الرَّحْمَن بن الكمال جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطي. (ت ٩١١هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٩٩٣م .

٧٣. دِيْوَان أَبِي تمام. لحبيب بن أوس الطائي، (ت ٢٣٢هـ)، شَرْح: الْخَطِيب التبريزي، تَحْقِيق: مُحَمَّد عبدة عزام. الطَبْعَة الثانية، دَار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٥١ – ١٩٥٧م .

٧٤. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، نشر كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢. ونشره هاشم الطعان ـ بغداد، ١٩٦٩ .

٧٥. دِيْوَان النابغة الذبياني. مطبعة الهلال. الفجالة. مصر. سنة ١٩١١هـ.

٧٦. ديوان امرئ القيس. تحقيق: مصطفى عبد الشافي. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٨٣ م .

٧٧. ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي. (ت ١١٧هـ). قدم له وعلق على حواشيه: سيف الدين الكاتب، وأحمد عاصم الكاتب. منشورات مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. (د. ت.) .

٧٨. ديوان رؤبة بن العجاج. صححه وليم بن الورد. الطبعة الثالثة. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ١٩٨٠م .

٧٩. روح المَعَانِي فِي تفسير الْقُرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الثَّنَاء شِهاب الدِّين السيد محمود بن عَبْدُ اللَّهِ الآلُوسي البَغْدَادي (١٢٧٠هـ) دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ. بَيْرُوْت. (د. ت) .

٨٠. الرَوْض المربع شَرْح زَادُ الْمُسْتَقْنِع. لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي. (ت ١٠٥١هـ). مكتبة الرياض الْحَدِيثة. الرياض. ١٣٩٠هـ .

٨١. الرَوْضة البَهِيَّة شَرْح اللمعة الدمشقية. لزين الدِّين الجبعي العاملي. (ت ٩٦٥هـ). طبع جَامِعة النجف الدِّينية. (د. ت) .

٨٢. رَوْضة الطَّالِبين وعُمْدَة المفتين. لأبي زكريا محيي الدِّين بن شرف النووي. (ت ٦٧٦هـ). إشراف زهير الشاويش. المكتب الإِسْلامِيّ بَيْرُوْت. ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م: ١٢/ ١٨٧ .

٨٣. زاد المسير فِي علم التَفْسِيْر. لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي. (ت ٥٩٧هـ). الطَبْعَة الثالثة. المكتب الإِسْلامِيّ للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٩٠م .

٨٤. الزهد والورع والعبادة، لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، تَحْقِيق: حماد سلامة، ومُحَمَّد عويضة، الطَبْعَة الأُولَى، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٧هـ .

٨٥. السبعة فِي القراءات. لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البَغْدَادي. (ت ٣٢٤ هـ). تَحْقِيق: د. شوقي ضيف. الطَبْعَة الثانية. دَار المعارف. القاهرة. ١٤٠٠هـ .

٨٦. سُنَن أبي داود. أبو داود سُليمان بن الأشعث السِّجِسْتَاني الأزدي. (ت ٢٧٥هـ). تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر للطباعة

والنشر. (د. ت) .

٨٧. سُنَن ابْنُ مَاجَهْ. لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن يَزَيْد القَزْويني. (ت ٢٧٣هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي. دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت).

٨٨. سُنَن التُّرْمِذيّ. أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى التُّرْمِذيّ السلمي. (ت ٢٧٩هـ). تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي. بيروت. (د. ت) .

٨٩. السُنَن الكُبْرَى. لأَبي بَكْرٍ أَحْمَد بن الحسين بن علي بن موسى البَيْهَقي. (ت ٤٥٨هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد عَبْد القادر عطا. مكتبة دَار الباز. مكة المكرمة. ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م .

٩٠. سُنَن النَّسَائي الكبرى. أبو عبد الله أحمد بن شُعَيب بن علي بن عبد الرحمن النسائي. (ت ٣٠٣هـ). تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م .

٩١. سِيَر أَعْلام النُّبَلاء. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: شعيب الأرناؤوط، ومُحَمَّد نعيم العرقسوسي. الطَبْعَة التاسعة. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٤١٣هـ .

٩٢. شَرْح الزَّرْقَانِيّ عَلَى مُوَطَّأ الإمام مالك بن أَنَس. (ت ١٧٩هـ). لمُحَمَّد ابن عَبْد الباقي ابن يوسُف الزَّرْقَانِيّ. (ت ١١٢٢هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤١١هـ .

٩٣. شَرْح الْعُمْدَة فِي الْفِقْه. لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني. (ت ٧٢٧هـ). تَحْقِيق: د. سعود صالح العطيشان. الطَبْعَة الثالثة. مكتبة العبيكان. الرياض. ١٤١٣هـ .

٩٤. شعر أبي زبيد الطائي، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٦٨ .

٩٥. شعر دريد بن الصمة. دار صادر. بيروت. لبنان. (د. ت) .

٩٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا. الطبعة الثانية. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

٩٧. صَحِيْح ابْن حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان. لأبي حاتم مُحَمَّد بن حِبَّانَ بن أَحْمَد التميمي البستي. (ت ٣٥٤هـ). تَحقِيق: شعيب الأرناؤوط الطَبْعَة الثانية. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .

٩٨. صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي، (ت ٢٥٦هـ)، تَحْقِيق: د. مصطفى ديب البغا، الطَبْعَة الثالثة، دَار ابن كثير، اليمامة، بَيْرُوْت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٩٩. صحيح مُسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيْسابوري. (ت ٢٦١هـ). تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بَيْرُوت. (د. ت) .

١٠٠. طبقات الحُفَّاظ. لأبي الْفَضْل عَبْد الرَّحْمَن بن أَبي بَكْرٍ السُّيُوطي. (ت ٩١١هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤٠٣هـ .

١٠١. طبقات الْقُرَّاء، شمس الدِّين أبو الخير مُحَمَّد بن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٢هـ .عني بنشره: ج، براجستراسر، طبع لأول مرة، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م .

١٠٢. العباب الزاخر واللباب الفاخر. الحسن بن مُحَمَّد بن الحسن الصاغاني. (ت ٦٥٠ هـ). تحقيق: مُحَمَّد حسن آل ياسين. الطبعة الأولى. دار الرشيد للنشر. بغداد. ١٩٨١م .

١٠٣. العبر فِي خبر من غبر. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد ابن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحقِيق: د صلاح الدِّين المنجد. الطَبْعَة الثانية. مطبعة حكومة الكويت. ١٩٤٨م

١٠٤. العجاب فِي بيان الأسباب. لأبي الْفَضْل شهاب الدِّين أَحْمَد بن علي (ت ٨٥٢ هـ). تَحقِيق: عَبْد الحكيم مُحَمَّد الأنيس. الطَبْعَة الأُولَى دَار ابن الجوزي. الدمام. ١٩٩٧م .

١٠٥. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لأبي مُحَمَّد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني، (ت ٨٥٥ هـ). مصر. (د. ت) .

١٠٦. العمدة في مَحَاسِن الشعر وآدابه ونقده أبو الحَسَن بن رشيق القيرواني الأزدي. ت ٤٥٦ هـ. تحقيق: مُحَمَّد محيي الدِّين عَبْد الحميد. دار الجيل. بيروت. لبنان. (د. ت.) .

١٠٧. عناية القاضي وكِفَايَة الراضي حَاشِيَة الشهاب الخفاجي عَلَى تفسير البيضاوي. لشهاب الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر الخفاجي. (ت ١٠٦٩ هـ). مطبعة بولاق. مصر. ١٢٨٣هـ: ١ / ٤٦٧ .

١٠٨. عَوْن الْمَعْبُود عَلَى سُنَن أَبِي دَاوُد سُليمان بن الأَشْعَث السِّجِسْتَاني، (ت ٢٧٥هـ)، لأبي عَبْد الرَّحْمَن شَمس الحقّ الشهير بمُحَمَّد أَشرف بن أَمير بن علي بن حيدر الصِّدِّيقي العظيم آبادي، الطَبْعَة الثانية، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤١٥هـ .

١٠٩. العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي. بغداد. الطبعة الأولى. طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥م .

١١٠. عُيُون الأخبار، لأبي مُحَمَّد عَبْد اللَّه بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينوري، (ت ٢٧٦هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د. ت) .

١١١. غرائب الْقُرآن ورغائب الفرقان. لنظام الدِّين الحسين بن مُحَمَّد القمي النيسابوري. (ت ٧٢٨هـ). الطَبْعَة الأُولَى. المطبعة الأميرية الكُبْرَى. بولاق، مصر. ١٣٢٩هـ. مطبوع عَلَى هامش تَفْسِيْر الطبري .

١١٢. غريب الحديث. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) تحقيق: د. محمّد عبد المعيد خان. الطبعة الأولى. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٣٩٦هـ .

١١٣. غَرِيب الْحَدِيث. لأبي مُحَمَّد عَبْد اللَّه بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينوري. (ت ٢٧٦هـ) تَحْقِيق: د. عَبْد اللَّه الجبوري. الطَبْعَة الأُولَى. مطبعة

العاني. بَغْدَاد. ١٣٩٧هـ .

١١٤. غيث النفع فِي القراءات السبع. لعلي النوري الصفاقسي. (ت ١١١٨هـ). مطبوع بذيل كِتَاب سراج القاري الْمُبْتَدِي و تذكار المقرئ المنتهي. الطَبْعَة الأُولَى. المكتبة التجارية الكُبْرَى بمصر ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م .

١١٥. الفَائِق فِي غَرِيب الْحَدِيث، لمحمود بن عُمَر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، تَحْقِيق: علي مُحَمَّد البجاوي، ومُحَمَّد أبي الْفَضْل إبْرَاهِيم الطَبْعَة الثانية، دَار المَعْرِفَة، لَبْنَان، (د. ت) .

١١٦. فَتْح الْقَدِير الْجَامِع بين فني الرواية والدِّرَايَة من علم التفسير. لمُحَمَّد ابن علي بن مُحَمَّد الشوكاني. (ت ١٢٥٠هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت) .

١١٧. الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عَبْد اللَّه مصطفى المراغي، الطبعة الثانية، مكتبة مُحَمَّد أمين دمج، بيروت، لبنان ١٩٧٤ م .

١١٨. فَتْح الوهاب بِشَرْحِ منهج الطلاب. لأبي يحيى زكريا بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن زكريا الأنصاري. (ت ٩٢٦هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٤١٨هـ .

١١٩. الفُتُوحَات الإلهية بتوضيح تَفْسِيْر الجلالين للدقائق الخفية، للعلامة الشيخ سليمان الجمل، القاهرة، مصر، (د. ت) .

١٢٠. الفروق اللغوية. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. (ت ٣٩٥هـ). ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. (د. ت) .

١٢١. الفِهْرِسْت. لأبي الفَرَج مُحَمَّد بن أَبِي إِسْحَاق النَّديم البَغْدَادي. (ت ٣٨٥هـ). الطَبْعَة الأُولَى. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م .

١٢٢. فهم الْقُرآن ومعانيه. لأبي عَبْد اللَّهِ الحارث بن أسد بن عَبْد اللَّهِ المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) تَحْقِيق: حسين القوتلي. الطَبْعَة الثانية. دَار الكندي، ودَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. ١٣٩٨هـ .

١٢٣. في ظلال الْقُرآن، سيد قطب، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الشروق، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .

١٢٤. القاموس المحيط. أبو الطاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). المؤسسة العربية للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. (د. ت) .

١٢٥. قانون البلاغة. لأبي طاهر مُحَمَّد بن حيدر البغدادي. الطبعة الرابعة. القاهرة. ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م .

١٢٦. الكَاشِف فِي معرفة من له رواية فِي الكتب الستة. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد عوامة. الطَبْعَة الأُولَى. دَار القبلة للثقافة الإِسْلامِيّة، مؤسسة علو. جدة. ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م .

١٢٧. كتاب الأفعال. أبو القاسم علي بن جعفر السعدي. (ت ٥١٥هـ) الطبعة الأولى عالم الكتب. بيروت. ١٩٨٣م .

١٢٨. الكشّاف عن حقائق التَّنْزِيل وعيون الأقاويل فِي وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمَخْشَري الخُوَارِزْمي. (ت ٥٣٨هـ). مطبعة مصطفى البابي الحَلَبي وأولاده. مصر. ١٩٤٨م .

١٢٩. الكَشْف عَلَى الكشاف، لعَبْد الرَّحْمَن الفارسي القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، مخطوط فِي مكتبة الأوقاف العامة، بَغْدَاد، رقم (٢٢٩٦) بخط عَبْد الغفار بن سعيد بن عبيد الله سنة (٨١٩هـ) .

١٣٠. الكَشْف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. لمُحَمَّد بن أَبِي طالب القيسي. (ت ٤٣٧هـ). تَحْقِيق: د. محيي الدِّين رمضان. بَيْرُوْت. لَبْنَان. ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م .

١٣١. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية). أبو البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي. (ت ١٠٩٤هـ). قابلة على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري. دار الكتب الثقافية. دمشق. ١٩٧٥م .

١٣٢. لباب النقول فِي أسباب النزول. لأبي الْفَضْل عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ ابن مُحَمَّد السيوطي. (ت ٩١١ هـ). دَار إِحْيَاء الْعُلُوم. بَيْرُوْت (د. ت) .

١٣٣. اللباب فِي علوم الكِتَاب. لأبي حفص عُمَر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي. (ت ٨٨٠هـ). الطَبْعَة الأُولَى. تَحْقِيق وتعليق عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض. شارك فِي تحقيقه: د. مُحَمَّد سعد رمضان حسن، ود. مُحَمَّد المتولي الدُّسُوقي الحرب. منشورات مُحَمَّد علي. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٩٩٨م .

١٣٤. لِسَان الحُكَّام فِي مَعْرِفَة الأَحْكَام. لأبي الوليد إبْرَاهِيم بن أبي اليمن مُحَمَّد. (ت ٨٨٣ هـ). الطَبْعَة الثانية. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م .

١٣٥. لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ). الطبعة الأولى. دار صادر. بيروت. لبنان. ١٩٦٨م .

١٣٦. المُبْدِع فِي شَرْح المقنع. لأبي إِسْحَاق إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه ابن مفلح الحنبلي. (ت ٨٨٤هـ). الطَبْعَة الأُولَى. المكتب الإِسْلامِيّ بَيْرُوْت. ١٤٠٠هـ .

١٣٧. المَبْسُوط. لشمس الأئمة أَبُي بَكْرٍ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي سَهْل السَّرَخْسِيّ الْحَنَفِيّ. (ت ٤٨٣هـ). وهو كِتَاب محتوٍ عَلَى كتب ظاهر الرواية للإمام مُحَمَّد بن الْحَسَن الشَّيْبَانِيّ عن الإمام أَبِي حَنِيفة شَرْح فيه الْمُصَنِّف كِتَاب الكافي للحاكم الشهيد المتوفى سنة (٣٣٤ هـ). الطَبْعَة الثانية. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٤٠٦هـ .

١٣٨. المجتبى من مشكل إعراب الْقُرْآن الْكَرِيم أبو عَبْد اللَّهِ مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن داود الصنهاجي المعروف بابن آجُرُّوم. (ت ٧٢٣ هـ). تَحْقِيق: أ. د. أحمد بن مُحَمَّد الخراط (محقق كتاب الدر المصون). مكتبة المشكاة الإسلامية. بيروت. ـ د. ت ـ .

١٣٩. مجمع الأمثال. أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم الميداني

النيسابوري. (ت ٥١٨هـ). تحقيق: محمّد محيى الدين عبد الحميد. دار المعرفة. بيروت. (د. ت) .

١٤٠. مجمع البحرين. فخر الدين الطريحي. (ت ١٠٨٥هـ). تحقيق أحمد الحسيني. الطبعة الثانية. مكتب نشر الثقافة الإسلامية. ١٤٠٨هـ .

١٤١. مجمع البلاغة، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ت.)

١٤٢. مَجْمَع الْبَيَان فِي تَفْسِيْر الْقُرآن المعروف بـ(تَفْسِيْر الطَّبَرْسِي). لأبي علي الْفَضْل بن الْحَسَن بن الْفَضْل الطَّبَرْسِي الطُّوْسي السَّبْزَواري (ت ٥٤٨هـ). تصَحِيْح وتعليق: هاشم الرسولي، وفضل الله الطباطبائي اليَزْدِي. الطَبْعَة الأُولَى. شركة المعارف الإسْلامِيّة. إيْرَان. ١٣٧٩هـ .

١٤٣. مَجْمَع الزوائد ومَنْبَع الفوائد. نور الدين علي بن أبي بَكْر الهَيْثَمي. (ت ٨٠٧هـ). الطبعة الأولى. دار الريان للتراث. بيروت، ودار الكتاب العربي. القاهرة. ١٤٠٧هـ .

١٤٤. المجمل. لأبي الحسين أَحْمَد بن فارس بن زكريا. (ت ٣٩٥هـ) تَحْقِيق: مُحَمَّد محيي الدِّين عَبْد الحميد. مطبعة السعادة. مصر. ١٩٤٧ م .

١٤٥. مَجْمُوْع الْفَتَاوَى. لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني. (ت ٧٢٨هـ). دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. (د. ت) .

١٤٦. محاسن التأويل، المسمى: تَفْسِيْر القاسمي، تأليف مُحَمَّد جمال الدِّين القاسمي (ت ١٩١٤م). تصَحِيْح وتعليق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

١٤٧. المُحْتَسَب فِي تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضَاح عنها. لأبي الفَتْح عُثمان ابن جِنِّي. (ت ٣٩٢هـ). تَحْقِيق: علي النجدي ناصف والدكتور عَبْد الحليم النجار، والدكتور عَبْد الفتاح إسماعيل شلبي. الطَبْعَة الأُولَى. لجنة إحْيَاء التُرَاث الإسْلامِيّ. القاهرة. ١٩٦٦م .

١٤٨. المحرر الوجيز فِي تفسير الكِتَاب العزيز (المعروف بتفسير ابن عطية). لأبي مُحَمَّد عَبْد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي. (ت ٥٤١هـ).

تَحْقِيق: عَبْدُ اللَّهِ بن إبْرَاهِيم الأنصاري، والسيد عَبْد العال السيد إبْرَاهِيم. الطَبْعَة الأُولَى. مؤسسة دَار الْعُلُوم. الدوحة ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م .

١٤٩. المُحَلَّى. لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد سعيد بن حَزْم الظاهري الأَنْدَلُسي. (ت ٤٥٦هـ). تَحْقِيق: لجنة إِحْيَاء التُراث العَرَبِيّ. دَار الآفاق الجديدة. بَيْرُوْت. (د. ت).

١٥٠. مختار الصحاح. مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (ت ٧٢١هـ). تحقيق: محمود خاطر. الطبعة الأولى. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م .

١٥١. مُخْتَصَر شواذ الْقُرآن (كِتَاب القراءات الشاذة) من كِتَاب البديع. لأبي عَبْدُ اللَّهِ الحسين بن أَحْمَد بن خالويه. (ت ٣٧٠ هـ). عنى بنشره برجستراسر. دَار الهجرة. (د. ت.) .

١٥٢. مدارك التَّنْزِيل وحقائق التأويل، المعروف بتَفْسِيْر النسفي. لعَبْد اللَّهِ ابن أَحْمَد بن محمود النسفي. (ت ٧١٠هـ). دَار الكِتَاب العَرَبِيّ طبع بهامش تَفْسِيْر الخازن. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. لَبْنَان. (د. ت.) .

١٥٣. المُدوَّنَة الكُبْرَى. للإمام مالك بن أَنَس الأصبحي. (ت ١٧٩هـ). بِروَايَةِ سَحْنُون عَبْد السلام بن سعيد التَّنُوخي. (ت ٢٤٠هـ)، عن عَبْد الرَّحْمَن بن قاسم بن خالد العُتَقي. (ت ١٩١هـ)، عن الإمام مالك. دَار صادر. بَيْرُوْت. وهي مصورة عَلَى الطَبْعَة الأُولَى التي طبعت بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٣هـ .

١٥٤. مُسْنَد أَحْمَد بن حنبل. لأبي عَبْد اللَّهِ أَحْمَد بن حنبل الشَّيْبَانِيّ. (ت ٢٤١هـ). شرحه ووضع فهارسه: أَحْمَد مُحَمَّد شاكر. دَار المعارف للطباعة والنشر بمصر. ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م .

١٥٥. مُسْنَد الشاميين، لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد بن أيوب الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تَحْقِيق: حمدي بن عَبْد المَجِيْد السلفي، الطَبْعَة الأُولَى، مؤسسة الرِسَالَة، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .

١٥٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن مُحَمَّد بن علي

الفيومي المقرئ. (ت ٧٧٠هـ). تصحيح: مصطفى السقا. الطبعة الأولى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ١٣٢٢هـ .

١٥٧. المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تَحقِيق: د. حاتم صالح الضامن، الطَبْعَة الأُولَى، مؤسسة الرِسَالَة، بَيْرُوْت، ١٤١٥هـ .

١٥٨. المطلع على أبواب الفقه. أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي. (ت ٧٠٩هـ). تحقيق: محمد بشير الأدلبي. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

١٥٩. معالم التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر البغوي). لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (ت ٥١٦هـ). تَحْقِيق: خالد العك، ومروان سوار. الطَبْعَة الثانية. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوْت. ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .

١٦٠. مَعَانِي الْقُرآن. صنفه الأخفش الأوْسَط. للإمام أبو الْحَسَن سعيد بن مسعده المجاشعي البلخي البصري. (ت ٢١٥هـ). تَحْقِيق: د. فائز فارس. الطَبْعَة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م .

١٦١. مَعَانِي الْقُرآن. لأبي زَكَرِيا يحْيى بن زياد الفَرَّاء. (ت ٢٠٧هـ) تَحقِيق: أَحْمَد يوسف نجاتي، ومُحَمَّد علي النَّجّار. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب المصرية. ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م .

١٦٢. مَعَانِي الْقُرآن وإِعْرَابه. لأبي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن السري بن سهل الزجاج. (ت ٣١١هـ). الطَبْعَة الأُولَى. تَحْقِيق عَبْد الجَلِيْل عبده شلبي. عالم الكتب. بَيْرُوْت. ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١٦٣. معترك الأقران فِي إعجاز الْقُرآن، الإمام جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن أَبُو بَكْرٍ السيوطي الشَّافِعِيّ، ت ٩١١هـ .الطَبْعَة الأُولَى، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أَحْمَد شمس الدِّين، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، البَنَان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

١٦٤. مُعْجَم البُلْدَان، لأبي عَبْد اللَّه شهاب الدِّين يَاقُوت بن عَبْد اللَّه

الحموي الرُّوْمِيّ البَغْدَادي، (ت ٦٢٦هـ)، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، (د. ت) .

١٦٥. الْمُعْجَم الكَبِيْر. لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد بن أيوب الطبراني. (ت ٣٦٠ هـ). تَحْقِيق: حمدي بن عبد المَجِيْد السلفي. الطَبْعَة الثانية. مكتبة الْعُلُوم والحكم. الموصل. ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م .

١٦٦. معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. (ت ٣٥٩هـ). تحقيق: عبد السلام هارون. دار الكتب العلمية. بيروت. (د.ت) .

١٦٧. معرفة القراء الكبار عَلَى الطَبَقَات والأعصار. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: بشار عواد معروف. وشعيب الأرناؤوط. وصالح مهدي عباس. الطَبْعَة الأُولَى. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوْت. ١٤٠٤هـ .

١٦٨. الْمُغْني. أبو مُحَمَّد مُوَفَّق الدِّيْن عَبْد اللَّه بن أَحْمَد بم مُحَمَّد بِن قُدَامة المَقْدِسي. (ت ٦٢٠ هـ). دار الكِتَاب العربي. بيروت. ١٩٧٢م.

١٦٩. مُغْني الْمُحْتَاج إلى مَعْرِفَة مَعَانِي أَلْفَاظ الْمِنْهَاج. لشمس الدِّين مُحَمَّد ابن أَحْمَد الشِّرْبِينِيّ القاهري الشَّافِعِيّ الْخَطِيب. (ت ٩٧٧هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت) .

١٧٠. مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكَبِيْر) وبـ(تفسير الرازي) لأبي عَبْدُ اللَّهِ فَخْر الدِّين مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِيّ الْمَذْهَب الرَّازي. (ت ٦٠٦هـ). الطَبْعَة الثالثة. المطبعة البهية المصرية. ميدان الأزهر. مصر. (د. ت.)

١٧١. مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر مُحَمَّد بن علي السكاكي. (ت ٦٢٦هـ). الطبعة الأولى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٣٧م .

١٧٢. المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم بن حسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني. (ت ٥٠٢هـ). أعده للنشر وأشرف على الطبع: د.

محمّد أحمد خلف الله. مكتبة الأنجلو المصرية. (د. ت.) .

١٧٣. منار السبيل فِي شَرْح الدليل. لإبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن سالم بن ضويان. (ت ١٣٥٣هـ). تَحْقِيق: عصام القلعجي. الطَبْعَة الثانية. مكتبة المعارف. الرياض. ١٤٠٥هـ .

١٧٤. المُنْتَخَب من مُسْنَد عَبْد بن حُمَيْدٍ، لأبي مُحَمَّد عَبْد بن حُمَيْدٍ بن نصر الكسي، (ت ٢٤٩هـ)، تَحْقِيق: صبحي الْبَدْري السامرائي، ومحمود مُحَمَّد خليل الصعيدي، الطَبْعَة الأُولَى، مكتبة السنة، القاهرة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م .

١٧٥. المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ ابن الجارود، أبو محمد عبد الله بن علي النيسابوري، ت ٣٠٧ هـ ومعه كتاب تيسير الفتاح الودود في تخريج المنتقى لابن الجارود، المدني، عبد الله بن هاشم، مطبعة الفجالة الجديدة، المدينة المنورة، ١٩٦٣ .

١٧٦. الْمُهَذَّب فِي فقه الإمام الشَّافِعِيّ. لأبي إِسْحَاق إبْرَاهِيم بن علي بن يوسُف الفَيْرُوْزَآبَادي الشَّيْرَازي. (ت ٤٧٦هـ). وبهامشه: النظم المُسْتَعْذَب فِي شَرْح غَرِيب الْمُهَذَّب لمُحَمَّد بن أَحْمَد بن بَطَّال الركبي اليَمَني. (ت ٦٣٣هـ). دَار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوْت. (د. ت) .

١٧٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. لأبي عَبْدُ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد ابن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: الشيخ علي مُحَمَّد معوض، والشيخ عادل أَحْمَد عَبْد الموجود. الطَبْعَة الأُولَى. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. ١٩٩٥م .

١٧٨. ناسخ الْقُرآن الْعَزِيز ومنسوخه، هبة الله بن عَبْد الرحيم بن إبْرَاهِيم (ت ٧٣٨ هـ)، تَحْقِيق: د. حاتم صالح الضامن، الطَبْعَة الثالثة، مؤسسة الرِسَالَة، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ .

١٧٩. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري المعروف بالنحاس، ت ٣٣٨ هـ، صححها: أحمد أمين الشنقيطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ هـ ـ

١٩٨٩ م.

١٨٠. الناسخ والمنسوخ، لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري، (ت ٤١٠هـ)، تَحقِيق زهير الشاويش، ومُحَمَّد كنعان، الطَبْعَة الأُولَى، المكتب الإِسْلامِيّ، بَيْرُوْت، ١٤٠٤هـ.

١٨١. النشر فِي القراءات العشر. لأبي الخير مُحَمَّد بن مُحَمَّد الدمشقي الشهير بـ(ابن الجزري). (ت ٨٣٣هـ). الطَبْعَة الثانية. صححه وراجعه علي مُحَمَّد الضباع. دَار الكتب العلمية. بَيْرُوْت. لَبْنَان. ١٩٧٨ م.

١٨٢. النكت والعيون (المسمى: تفسير الماوردي). لأبي الْحَسَن علي بن حبيب البصري. (ت ٤٥٠هـ). الطبعة الأولى. تَحْقِيق: خضر مُحَمَّد خضر. مطابع مقهوي. الكويت. ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م

١٨٣. النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير. (ت ٦٣٠هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُحَمَّد الطناحي. الطبعة الأولى. المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٨٤. نواسخ الْقُرْآن، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ.

١٨٥. هداية الحيارى فِي أجوبة اليهود والنصارى، لأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية)، (ت ٧٥١هـ)، الْجَامِعة الإِسْلامِيّة، المدينة المنورة، (د. ت).

١٨٦. الْهِدَايَة شَرْح بِدَايَة الْمُبْتَدِي. لأبي الحسين برهان الدِّين علي بن أَبِي بَكْرٍ بن عَبْد الجَلِيْل المَرْغِيْنَاني الفَرْغَاني. (ت ٥٩٣هـ). المكتبة الإِسْلامِيّة. بَيْرُوْت (د. ت).

١٨٧. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية. للإمام جلال الدين السيوطي. (ت ٩١١ هـ). دار المعرفة. بيروت. ١٣٢٧ هـ مصورة عن الطبعة الأولى، بولاق، مصر. (د. ت.).

١٨٨. الوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز. لأبي الْحَسَن علي بن أَحْمَد الواحدي(ت ٤٦٨هـ) تَحْقِيق: صفوان عدنان داوودي. الطَبْعَة الأُولَى. دَار القلم، والدار الشامية. دمشق، وبَيْرُوْت. ١٤١٥هـ .

١٨٩. الوَسِيْط فِي تَفْسِيْر الْقُرآن المَجِيْد، لأبي الْحَسَن علي بن أَحْمَد النيسابوري الواحدي، (ت ٤٦٨هـ)، تَحْقِيق وتعليق: الشيخ عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، و د. أَحْمَد مُحَمَّد صبرة، و د. أَحْمَد عَبْد الغني الحيل مكتبة الباز، مكتبة المدينة المنورة، (د. ت.) .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الْفَصْل الأَوْل: تعريف الرشد والغيّ	١٣
المَبْحَث الأَوْل: تعريف الرشد	١٥
المَبْحَث الثَّانِي: تعريف الغيّ	٢١
الْفَصْل الثَّانِي: آيات الرشد في الْقُرْآن الْكَرِيم	٢٧
المَبْحَث الأَوْل: الهداية إلى الرشد	٣١
المَطْلَب الأَوْل: الدعوة إلى الرشد	٣١
المَطْلَب الثَّانِي: هداية الْقُرْآن الْكَرِيم إلى الرشد	٤٤
المَطْلَب الثَّالِث: هداية الصالحين إلى الرشد	٥٥
المَبْحَث الثَّانِي: إيناس الرشد	٦٠
المَبْحَث الثَّالِث: سمات الراشدين	٨٤
المَبْحَث الرَّابِع: الرشد الإلهي	٩٥
المَطْلَب الأَوْل: الدعاء بالرشد	٩٥
المَطْلَب الثَّانِي: التقرب بالرشد	٩٨
المَطْلَب الثَّالِث: توقيف الرشد	١٠١
المَطْلَب الرَّابِع: إقرار الأنبياء بالرشد الإلهي	١٠٤
المَطْلَب الخَامِس: المنّ على الأنبياء بالرشد	١٠٦
المَطْلَب السَّادِس: الرشد والإسلام	١٠٩
الْفَصْل الثَّالِث: آيات الغَيّ في الْقُرْآن الْكَرِيم	١١٣
المَبْحَث الأَوْل: علاقة الغواية بالإرادة الإلهية	١١٥

المَطْلَب الأَوْل: الفصل بين الرشد والغيّ	١١٧
المَطْلَب الثَّانِي: النصح والغواية	١٢٦
المَبْحَث الثَّانِي: غواية الأنبياء	١٣١
المَطْلَب الأَوْل: غواية آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ	١٣٣
المَطْلَب الثَّانِي: تبرئة رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ من الغواية	١٤٠
المَبْحَث الثَّالِث: غواية الناس بعضهم بعضا	١٤٥
المَطْلَب الأَوْل: المدّ في الغي	١٤٧
المَطْلَب الثَّانِي: تبادل الغواية	١٥٠
المَطْلَب الثَّالِث: الاعتراف بالغواية	١٥٣
المَبْحَث الرَّابِع: غواية الشيطان	١٥٥
المَطْلَب الأَوْل: التبرؤ من الغواية	١٥٧
المَطْلَب الثَّانِي: التهديد بالغواية	١٦٠
المَطْلَب الثَّالِث: التزين بالغواية	١٦١
المَطْلَب الرَّابِع: الحفظ من غواية الشيطان	١٦٢
المَبْحَث الخَامِس: سبيل الغيّ	١٦٥
المَطْلَب الأَوْل: الانسلاخ من الآيات	١٦٧
المَطْلَب الثَّانِي: اتباع سبيل الغيّ	١٦٩
المَطْلَب الثَّالِث: مخالفة الهدي	١٧٣
المَطْلَب الرَّابِع: اتباع الشعراء	١٧٦
المَطْلَب الخَامِس: المشاكسة	١٧٨
المَبْحَث السَّادِس: جزاء الغواية	١٨٥
المَطْلَب الأَوْل: إبراز الجحيم	١٨٧
المَطْلَب الثَّانِي: الكب في النار	١٨٨